بلاغة الترتيب بين الجمل المتعاطفة بالواو
في
القرآن الكريم

إعداد

طارق عزت أحمد حسن

إشراف

الدكتور أحمد نوفل

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

نيسان، ٢٠١٤

نموذج ترخيص

أنا الطالب : طاهر عزت أحمد حسن أمنح الجامعة الأردنيـــة و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو اســتغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونيـــة أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

بلاغة الترتيب بين الجمل المتعاطفة بالواو في القرآن الكريم

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليميـــة والجامعـــات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميـــع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: طاهر عزت أحمد حسن

التوقيـــــع: طاهر

التاريـــــخ: ٢٤/٥/٢٠١٤م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الأطروحة(بلاغة الترتيب بين الجمل المتعاطفة بالواو في القرآن الكريم) وأجيزت بتاريخ ٢٠١٤/٤/٢٢

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور أحمد إسماعيل نوفل،مشرفا أستاذ مشارك- التفسير	....
الدكتور محمد خازر المجالي،عضوا أستاذ- التفسير	....
الدكتور جهاد محمد النصيرات،عضوا أستاذ مشارك- التفسير	....
الدكتور عودة خليل أبو عودة،عضوا أستاذ- الدراسات اللغوية(جامعة العلوم الإسلامية العالمية)	....

د. يوسف بني ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين.

وبعد،

فموضوع الدراسة من صميم الموضوعات البلاغية التي تعنى بإظهار جانب من جوانب الإعجاز القرآني في نظمه، وهو يعنى باستخراج اللطائف والأسرار الكامنة في ألوان ترتيبه، فهذا الرازي يقول عند تعليقه على الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ [النساء:٥٨] : " وَلَمَّا كَانَ التَّرْتِيبُ الصَّحِيحُ أَنْ يَبْدَأَ الْإِنْسَانُ بِنَفْسِهِ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ ثُمَّ يَشْتَغِلُ بِغَيْرِهِ، لَا جَرَمَ أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ الْأَمْرَ بِالْأَمَانَةِ أَوَّلًا، ثُمَّ بَعْدَهُ ذَكَرَ الْأَمْرَ بِالْحُكْمِ بِالْحَقِّ، فَمَا أَحْسَنَ هَذَا التَّرْتِيبَ، لِأَنَّ أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط " [(١)].

والدكتور أبو موسى أشاد بهذا اللون من البحث في ترتيب الجمل، وذلك عند ملاحظته توسع الزمخشري في دراسته التقديم والتأخير في تفسيره وأنه خرج به عن دائرة الجملة فشمل تقديم جملة على جملة وترتيبهما، قال: " وقد اهتم الزمخشري ببيان الأسس التي سار عليها نسق الجمل وترتيبها في القرآن كما اهتم كذلك ببيان ترتيب الآيات وهذا اللون من البحث جدير بالاهتمام ... " [(٢)].

وقال أيضا: " وقد أغفل المتأخرون هذا اللون من النظر في الدراسة البلاغية كما أغفلوا كثيرا من مباحثها" [(٣)].

مشكلة الدراسة:

من المشاكل البحثية التي لامسها الباحث عدم وجود معاجم تهتم بإحصاء الشواهد القرآنية المراد دراستها، ولا غيرها مما هو من عطف المفردات ، ولا ما جاء من ذلك متتابعا بغير عطف ، وكل ذلك من شأنه - لو وجد-أن ييسر على الباحثين النظر في هذه المواضع ودراستها .

---

(١) الرازي، محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ، ج١٠ ص ١١٠

(٢) أبو موسى،محمد ،**البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م، ص:٣٢٥،٤٥٨، ٤٦٣ .

(٣) المصدر السابق، ص: ٤٦٣

وثمة صعوبات اعترضتني أثناء البحث ، كصعوبة تحديد ماهية الواو في بعض المواضع، هل هي عاطفة أم حالية أم استئناف أو قسم ، وصعوبة تحديد المعطوف والمعطوف عليه، وصعوبة الوقوف على معنى الجمل المتعاطفة في بعض المواضع وأحيانا الاضطرار إلى الترجيح بين عدة معاني .

ويمكن إجمال الأسئلة التي تحاول الدراسة الإجابة عنها :

١- ما الاعتبارات المعقولة في تقديم معنى على معنى في حدود ما ينطوي عليه مدلولات المتعاطفات؟

٢- ما وجوه التناسب بين السياق وترتيب المتعاطفات؟

٣- ما وجوه التناسب بين غرض المتكلم وترتيب المتعاطفات ؟

٤- ما مقتضيات مجيء بعض الجمل المتعاطفة بالواو متغايرة في ترتيبها في متشابه النظم القرآني ؟

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من جوانب:

أولا: أن موضوع الترتيب لجانب من كلام الله من أدق موضوعات علم البلاغة وأهمِّها؛ وذلك لما يحتاجه دارسه إلى ذوق حسن، وبصيرة نافذة، وطبع سليم في إدراك أسراره.

ثانيا: أن الوقوف على أسرار اختلاف التعبير في متشابه النظم القرآني أمر بالغ الأهمية، يبرز تنوع المعاني وثرائها، وينفي التكرار.

ثالثا: هذا البحث متخصص في جانب من جوانب دراسة التقديم الذي ليس على نية التأخير، وهذا لم يفرده الدارسون - حسب علمي - بالبحث .

رابعا: هذا اللون من الدراسة جمع بين علمين من العلوم المتصلة بالقرآن الكريم هما: البلاغة والتفسير.

أهداف الدراسة:

وتسعى الدراسة لتحقيق جملة أهداف :

١- النظر في دلالة المعنى والسياق وغرض المتكلم، وأثر ذلك كله في الترتيب.

٢- الوقوف على أسباب تغاير ترتيب المتعاطفات نفسها في متشابه النظم.

حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على بحث الاعتبارات البلاغية في ترتيب الجمل المتعاطفة بالواو في القرآن الكريم دون البحث في عطف المفردات إلا على سبيل التوضيح إن لزم الأمر.

والاكتفاء ببحث ترتيب الجمل المتعاطفة بحرف (الواو) دون غيره من الحروف العاطفة، لأن الترتيب بها هو الذي يحتاج إلى لطف في الفهم، ودقة في الإدراك، لِأن الواو لا تفيد إلاَّ مُجردَ ضم وجمع المعطوف والمعطوف عليه في الاشتراك في حكم من غير دليل على وجوب الترتيب بينهما، بخلاف العطف بغير (الواو) فيفيد مع التشريك معاني أخرى - كالترتيب مع التعقيب في (الفاء) وكالترتيب مع التراخي في (ثُمَّ) (١) .

منهج الدراسة:

وتقوم هذه الدراسة على أساس

١- المنهج الوصفي: لتصنيف شواهد الدراسة إلى: أولا: العطف بين الجمل خبرية، والعطف بين الجمل الإنشائية. ثانيا: الجمل المتغايرة الترتيب في متشابه النظم في سياقات الموضوع الواحد، وفي سياقات الموضوعات المختلفة.

٢- المنهج التحليلي: لتحليل الشواهد القرآنية لكل نوع من الجمل السابقة لإظهار الأغراض البلاغية التي تندرج تحتها.

الدراسات السابقة:

وفيما يتعلق بالدراسات السابقة لم أجد – حسبما اطلعت عليه – دراسة سابقة أفردت لهذا الموضوع، فما زال هذا النوع – في ظني – بكرا، ولم أجد مما له صلة قوية بالموضوع إلا الدراسات التالية:

أولا: بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، علي أبو القاسم عون ، وهو بحث تقدم به الطالب لنيل رسالة الدكتوراه في الآداب في جامعة محمد الخامس، طبعته دار المدار الإسلامي في لبنان في ثلاثة مجلدات في ١٢٢٢ صفحة، قسم فيه البحث إلى قسمين:

---

(١) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت: ٤٧١هـ)، **دلائل الإعجاز**،(تحقيق: محمود شاكر)، مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة، ط: ٣، ١٩٩٢م ، ص: ٢٢٤ بتصرف.

القسم الأول: نظري: وهذا بدوره قسم في بابين: الأول: التقديم والتأخير مفهومه ومظاهره. والباب الثاني: في الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير. والقسم الثاني: تطبيقي: في ثلاثة أبواب: الباب الأول: بلاغة التقديم على نية التأخير في القرآن الكريم. والباب الثاني بلاغة التقديم لا على نية التأخير . والباب الثالث:بلاغة التقديم والتأخير في الأساليب في القرآن .

وهذه الرسالة في ظني أوسع بحث تناول التقديم والتأخير ، حيث تناول التقديم الذي على نية التأخير وهذا مجاله الجملة لا يتعداها ، فهو إما تقديم أحد ركني الجملة على الآخر كتقديم الخبر على المبتدأ، وإما تقديم أحد المعمولات على عاملها أو تقديم المتعلقات أو المعمولات بعضها على بعض، وهذا كله لا يخرج عن دائرة الترتيب داخل الجملة.

والذي له علاقة مباشرة بموضوع دراستي، مبحث: بلاغة التقديم والتأخير في العطف . وهو جزء صغير من الباب الثاني: بلاغة التقديم لا على نية التأخير، وقد جعله في مبحثين: في العطف وفي التعدد. ولم يتجاوز هذا المبحث الأربعين صفحة من أصل ١٢٠٠ صفحة من صفحات الرسالة ، ولم يقتصر على تحليل شواهد من عطف الجمل. والشواهد التي ذكرها من عطف الجمل- بعضها من العطف بغير الواو- كانت اثنين وعشرين شاهدا قرآنيا فقط، اقتصر الباحث على الإشارة إلى الأغراض البلاغية من وراء ترتيبها، دون الإشارة إلى نوع هذه الجمل.

مثلاً، تحت غرض بلاغي جعله مطلبا هو تقديم السبب على المسبب ذكر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقوله:﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠] ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [يس: ١١] .

ومن هنا أستطيع الجزم أن هذه الرسالة على سعتها لم تبحث جانب ترتيب الجمل المعطوفة بالواو في القرآن بما يكفي ويفي.

ثانيا: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دراسة تحليلية ، منير محمود المسيري، وهي أطروحة الدكتوراه التي تقدم بها الباحث إلى جامعة أتونوما – مدريد إسبانيا. قسم الدراسات العربية والإسلامية والدراسات الشرقية، للحصول على الدكتوراه في التخصص المذكور. جاءت الدراسة في بابين، الباب الأول (ص: ١٥-١٢٢)، وهو يبحث في جوانب نظرية جعلها في ستة فصول.

أما الباب الثاني (ص:١٢٣- ٧٢٣)، فهو جل هذه الرسالة في ٦٠٠ صفحة كان تطبيقا على التقديم والتأخير تناول الباحث سور القرآن كلها، فكان يقف عند فواتح الآيات وعلاقتها بموضوع السورة، وعلاقة خاتمة السورة بمطلعها وبالسورة بعدها وترتيب الكلام داخل الاية، ومناسبة الآيات بعضها ببعض. وعندما كان يقف عند الترتيب في الآيات كان يتعرض لترتيب بعض المفردات وأحيانا بعض الجمل دون الإشارة إلى أن هذا من ترتيب المفردات أو الجمل، ودون استيعاب كل ما جاء في السورة من مواضع تقديم أو تأخير، بل كان يقف عند بعض المواضع دون البعض الآخر على سبيل الانتقاء لا الاستيفاء لأنه أراد أن يجعل مجال تطبيقه القرآن كله. ولا تخلو الدراسة من فائدة خصوصا في هذا الجانب التطبيقي للشواهد المنتقاة.

ولكن يبقى ترتيب الجمل بحاجة لإفراده بالدراسة، والوقوف عند أسراره واستيعاب جميع مقتضياته، وهذه هي القيمة المضافة التي ستتكفل بها دراستي هذه.

ثالثا: الواو والفاء وثم في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية إحصائية إعداد صفاء عبد الله نايف حمدان، وهي رسالة ماجستير في جامعة النجاح في أربعة فصول، وما له علاقة مباشرة برسالتي جاء في المبحث الأول من الفصل الرابع، وهو مبحث الواو ووظيفتها في القرآن الكريم تحدثت فيه الباحثة عن أهمية المتقدم وأسبابه من خلال استخدام الواو في عطف جملة على جملة، والواو ودلالتها على المغايرة، والعطف واتفاق الجملتين في الخبر والإنشاء والعطف في الصفات و واو الثمانية و عطف الخاص على العام و عطف العام على الخاص .

ولكن الباحثة في مطلب أهمية المتقدم وأسبابه من خلال استخدام الواو ذكرت اثني عشر شاهدا قرآنيا في العطف بالواو لا غير، كان معظمها من عطف المفردات لا الجمل. وفي مطلب عطف جملة على جملة أتت بأربعة شواهد قرآنية لا غير، تناولت تحليلها لبيان أغراض التقديم والتأخير للجملة على الأخرى. وفي مطلب العطف واتفاق الجملتين في الخبر والإنشاء اكتفت بالإشارة إلى أنه متى اتفقت الجملتان في الخبر أو الإنشاء حَسُنَ العطف ومثلت بشاهد على كل نوع، وشاهدين على ما اتفق من الجملتين معنى فقط. فلا يعدو ما جاء في هذه الرسالة بخصوص بلاغة الترتيب في عطف الجمل أكثر من الإشارات السابقة.

رابعا: بلاغة العطف في القرآن الكريم: دراسة أسلوبية. عفت الشرقاوي. والجديد فيه أنه عرض لبحث بلاغة العطف في القرآن بمنهج جديد سماه تراسل ماهيات المعاني في السياق الأدبي متجاوزا فكرة الفصل والوصل التي توقف عندها البلاغيون - كما يقول- التي كانت قيدا يمنع انطلاق التفكير البلاغي والتفسير الأدبي. وقد جاءت دراسته في أربعة فصول: الثلاثة الأولى منها كانت دراسة نظرية لتوضيح فكرته، والفصل الرابع من أساليب العطف في القرآن الكريم أتى بما يقارب العشرة شواهد من عطف الجمل في القرآن. واختارها بعناية من الجمل التي اطرد العطف بين معانيها في آيات كثيرة كالعطف بين الصلاة والزكاة أو بين الأمر بالتوحيد والإحسان للوالدين أو العطف بين الكفر والشكر، ورغم أن هذه الدراسة اقتصرت على شواهد قليلة إلا أنها تميزت بعمق التحليل لتلك الشواهد ولم تقف عند الأغراض التي ذكرها المفسرون للتقديم ، بل حاول أن يقف على أغراض أخرى أكثر عمقا طبقا لنظريته تراسل ماهية المعاني .

خطة البحث:

جاءت خطة البحث من مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين رئيسين:أول وثاني، وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: فيها بيان لأهمية الدراسة ومشكلتها ومنهجيتها

الفصل التمهيدي: الجملة وعطفها

المبحث الأول : مفهوم الجملة وأنواعها

المطلب الأول: مفهوم الجملة

المطلب الثاني: أنواع الجمل

المبحث الثاني : الفصل والوصل

المطلب الأول: الأهمية والمفهوم

المطلب الثاني: قواعد الفصل والوصل

المطلب الثالث: حروف العطف وخصائصها

المطلب الرابع: تصنيف عطف الجمل بالواو

الفصل التمهيدي: الجملة وعطفها

المبحث الأول: مفهوم الجملة وأنواعها

المبحث الثاني: الفصل والوصل

المبحث الأول: مفهوم الجملة وأنواعها

المطلب الأول: مفهوم الجملة

المطلب الثاني: أنواع الجمل

المطلب الأول: مفهوم الجملة

وفيه مسائل :

أولا: تعريف الجملة لغة واصطلاحا.

ثانيا: علاقة الجملة بالكلام.

ثالثا: علاقة الجملة بالمركبات.

أولا: تعريف الجملة لغة واصطلاحا:

الجملة – في اللغة- "جَمَاعَةُ الشَّيْءِ" [(١)]. و" تشير بعض الدلائل إلى أن لفظي (الجملة) و(الجمل) قد استخدما في عنوانات عدد من المؤلفات النحوية التي قصد منها تقديم ملخصات لأهم قواعده تحقيقا لأهداف تعليمية قبل استعمال أي منهما مصطلحا محدد الدلالة في بحوث النحو وقضاياه التفصيلية"[(٢)].

وأقدم من ينسب إليه وضع مؤلف يحمل عنوان (الجمل) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، المتوفى سنة ١٧٥هـ، كما يقرر ياقوت صراحة [(٣)]. في حين نجد تلميذه سيبويه لا يستخدم هذا المصطلح ، وإنما أشار في غير موضع إلى فكرة (الإسناد) التي تقوم عليها الجملة[(٤)]، إذ يقول: "هذا باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدأ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه،

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ط٣،١٤١٤ هـ [١١ /١٢٨]

(٢) أبو المكارم ،علي : **مقومات الجملة العربية**، القاهرة، دار غريب ،٢٠١١م ، ص ١٨.

(٣) ياقوت الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، **معجم الأدباء(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)**، (تحقيق: إحسان عباس) ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٧ [١٢٦٠،١٢٧١/٣]

(٤) الإسناد فِي الْعرف " ضم أمر إِلَى آخر بِحَيْثُ يُفِيد فَائِدَة تَامَّة. وَقد يُطلق بِمَعْنى النِّسْبَة مُطلقًا وَلما كَانَ بحث النُّحَاة فِي الْأَلْفَاظ فسروه بِأَنَّهُ نِسْبَة إِحْدَى الْكَلِمَتَيْنِ إِلَى الْأُخْرَى بِحَيْثُ تفِيد الْمُخَاطب فَائِدَة تَامَّة يَصح السُّكُوت عَلَيْهَا بِأَن لَا يحْتَاج السَّامع إِلَى الْمَحْكُوم عَلَيْهِ أَو الْمَحْكُوم بِهِ." [الأحمد نكري ،القاضي عبد النبي بن عبد الرسول، **دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)**، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص ، دار الكتب العلمية ، لبنان ،بيروت ،ط١، ٢٠٠٠م ، ٨١/١]. وعرفه الصبان الإسناد بضم كلمة إلى أخرى على وجه الإنشاء أو الإخبار. [الصبان ، محمد بن علي ، **حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك** ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط١، ١٩٩٧م ، [٥٧/١]. ويقول الدكتور فاضل السامرائي : " تتألف الجملة من ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه وهما عمدتا الكلام، وهما : المبتدأ والخبر وما أصله مبتدأ وخبر، والفعل والفاعل ونائبه، ويلحق بالفعل اسم الفعل . فالمسند إليه هو المتحدث عنه ولا يكون إلا اسما وهو المبتدأ الذي له خبر وما أصله ذلك والفاعل ونائب الفاعل، والمسند هو المتحدث به ويكون فعلا واسما، فالفعل هو مسند على وجه الدوام ولا يكون إلا كذلك، والمسند من الأسماء هو خبر المبتدأ وما أصله ذلك والمبتدأ الذي له مرفوع أغنى عن الخبر نحو "أقائم الرجلان"ف "قائم" مسند والرجلان مسند إليه وأسماء الأفعال. " اه [السامرائي، فاضل صالح ، **الجملة العربية تأليفها وأقسامها**، دار الفكر، عمان، الأردن، ط ٤ ، ٢٠١٣م ،ص١٣].

وهو قولك "عبد الله أخوك"، و"هذا أخوك". ومثل ذلك "يذهب عبد الله"، فلا بدّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدّ من الآخر في الابتداء"(١).

ولعل أول من استخدم مصطلح الجملة أو الجمل بمعناها الاصطلاحي(٢) هو أبو العباس المبرد، المتوفى سنة ٢٨٥هـ، وذلك في كتابه "المقتضب" للإشارة إلى الفعل وفاعله أو المبتدأ وخبره(٣).

وعرفها الرضي: أقدمه(٤) ما قاله صاحب شرح الكافية: " الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا " (٥) .

والذي أرتضيه هو تعريف الباحث جمال عيد للجملة على أنها: " ما تضمنت تركيبا إسناديا أصليا، لفظا أو تقديرا،مقصودة لذاتها أوغير مقصودة لذاتها، أفادت أم لم تفد" (٦). وهو يشتمل على تعريف الرضي وزيادة محترزين:الأول: لفظا أو تقديرا ، والثاني: أفادت أم لم تفد.

فهذا التعريف يشتمل على المحترزات الآتية :

أولا:- (الإسناد الأصلي) يخرج بذلك المصدر واسما الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والجار والمجرور والظروف وما أسند إليها، لأن الإسناد في ذلك كله غير أصلي (٧).

ومرد عدم أصليتها إلى أن المسند فيها سواء كان المصدر أو اسم الفاعل أو غيره لا يؤدي وظيفته الأصلية، بل يقوم بوظيفة مغايرة لهذه الوظيفة الأصلية ، لكون الوصف أو المصدر ليس فعلا، وإنما هو بمنزلة الفعل ومعناه فالوصف أو المصدر "اسم" يعمل عمل "الفعل" فهو مسند لنيابته عن الفعل (٨).

---

(١) سيبويه ، عمرو بن عثمان، **الكتاب**، (تحقيق:عبد السلام هارون)،عالم الكتب،ط٣،١٩٨٣م. [٢٣/١]

(٢)حماسة ، محمد ، **في بناء الجملة العربية**، دار القلم، الكويت، ط١، ١٩٨٢ م ، ص٢٧ / علي أبو المكارم، **مقومات الجملة العربية**، ص٢٠١٨

(٣) المبرد، محمد بن يزيد ، **المقتضب**، (تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة)، عالم الكتب، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ (٨/١). ومن ذلك قوله:" وإِنَّما كَانَ الْفَاعِل رفعا لأَنَّه هُوَ وَالْفِعْل جملةٌ يحسن عَلَيْهَا السُّكُوت وَتجب بهَا الفائدةُ للمخاطب، فالفاعل وَالْفِعْل بِمَنْزِلَة الِابْتِدَاء وَالْخَبَر إِذا قلت قَامَ زيد فَهُوَ بِمَنْزِلَة قَوْلك الْقَائِم زيدُ" . وبنحوه قال ابن هشام ، عبد الله بن يوسف ، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، (تحقيق د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله) ، دار الفكر، دمشق ط٦، ١٩٨٥م (٤٩٠/١) .

(٤) أشار إلى أسبقية المبرد إلى تعريف الجملة بالمعنى الاصطلاحي، الدكتور جمال عيد، ينظر:عيد، جمال عبد الناصر، **الصدارة في الجملة العربية**، مكتبة الآداب،القاهرة،٢٠١٠ م، بلا طبعة، ص ١٨.

(٥) الرضي، محمد بن الحسن الاستراباذي، **شرح الرضي على الكافية**، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ، جامعة قاريونس، ١٩٧٨م، بلا طبعة ،ج١ ص ٣٢.

(٦)عيد، جمال عبد الناصر، **الصدارة في الجملة العربية**، ص ١٨

(٧) الرضي، **شرح الرضي على الكافية** ،ج١ ص ٣٢

(٨) أبو المكارم،**مقومات الجملة العربية**، ص ٥١ بتصرف

ثانيا:- (لفظا أو تقديرا) هذا لإدخال بعض الجمل التي قد ترد محذوفة أحد ركنيها نحو : نعم . جوابا عن سؤال.

ثالثا:- (مقصودة لذاتها أو غير مقصودة لذاتها) لتدخل فيها الجملة التي تقع صلة أو خبرا أو حالا أو صفة أو غير ذلك لأنها غير مقصودة لذاتها.

رابعا:- (أفادت أم لم تفد) لتدخل جملة فعل الشرط وجملة جواب الشرط كل على حدة في تعريف الجملة، لأن كل واحدة منهما بمفردها لا تفيد فائدة كاملة.

فالجملة قسمان: جملة مستقلة من حيث تمام المعنى وأكثر الجمل في العربية تستقل بنفسها وهي التي تسمى كلاما ، وجملة غير مستقلة [١].

ثانيا: علاقة الجملة بالكلام

عرف بعضهم الكلام بأنه ما اجتمع فيه أمران : اللفظ والإفادة [٢]. أو ما تضمن كلمتين أو أكثر بإسناد أصلي مقصود لذاته [٣]. والتعريف الأول للكلام يلتقي مع تعريف الجملة، لأنه يدخل فيه ما كان التركيب فيه غير مقصود لذاته كجملة الصلة و الخبر و الحال والصفة، لأنها مفيدة . والتعريف الثاني يفرق بينهما، لأنه لا يجعل من الكلام تلك التراكيب غير المقصودة لذاتها بينما الجملة تجعلها منها .

وانقسم النحاة إلى فريقين: الفريق الأول : يرى أن الجملة والكلام مترادفان، والفريق الآخر يرى أن الجملة أعم من الكلام، وفيما يلي تفصيل ذلك:

الفريق الأول: القائل بالترادف، كابن جني[٤]، وعبد القاهر الجرجاني[٥]، والزمخشري [٦].

---

(١)السامرائي، فاضل،**الجملة العربية تأليفها وأقسامها**، ص١٤٦، ينظر في الكتاب التفصيل في الجمل غير مستقلة وأنواعها: غير مستقلة أصالة وغير مستقلة لأمر عارض وغير مستقلة صناعة.

(٢) الأزهري ، خالد بن عبد الله ، **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو** ، دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان ،ط١، ٢٠٠٠م [١:١٨]

(٣) الرضي،**شرح الرضي على الكافية**،ج١ ص ٣١- ٣٣ بتصرف، وذكر أن مما يدخل في الإسناد المقصود بالإضافة لجملة الخبر ، جملة الحال و الصفة والمضاف إليه والصلة، وفعل القسم وجوابه وفعل الشرط وجوابه.

(٤) ابن جني ، عثمان ، **الخصائص**، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط٤ بلا تاريخ [١:١٨]

(٥) الجرجاني،عبد القاهر، **الجمل في النحو**، (تحقيق يسري عبد الغني عبد الله)،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط ١، ١٩٩٠ م ، ص ١٠٧

(٦) الزمخشري، جار الله محمود بن عمرو، **المفصل في صنعة الإعراب** ، (تحقيق د. علي بو ملحم)، مكتبة الهلال ، بيروت ،ط١، ١٩٩٣ ، ج١ ص ١٢٣

يقول ابن جني: " أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه . وهو الذي يسميه النحويون الجمل" (١).

وقال الجرجاني: " اعلم أن الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة ، فإذا ائتلف منها اثنان فأفاد نحو خرج زيد يسمى كلاما ، ويسمى جملة . والائتلاف يكون بين الاسم والفعل كما ذكرنا ، وبين الاسمين كقولك : زيد منطلق ، وبين الحرف والاسم في النداء خاصة نحو يا زيد" (٢).

وعرف الزمخشري الكلام بأنه "هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى. وذاك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك: زيد أخوك، وبشر صاحبك. أو في فعل واسم نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر. وتسمى الجملة " (٣).

الفريق الآخر: يرى أن الجملة أعم من الكلام، قال صاحب شرح الكافية: " والفرق بين الجملة والكلام، أن الجملة ما تضمن الاسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ " (٤)، (٤)، وقال أيضا: " والكلام ما تضمن الاسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس" (٥) (٥).

وهذه الفكرة القائلة بتنوع علاقات الإسناد وتعددها: من إسناد أصلي وغير أصلي ومقصود لذاته وغير مقصود لذاته هي التي بنى عليها ابن مالك – وهو معاصر للرضي- موقفه في تحرير مفهوم كل من (الكلام) و(الجملة) ، وتحديد ما بينهما من علاقة، ففي كل من الجملة والكلام إسناد، بيد أن الإسناد في كل منهما يختلف عن الإسناد في الآخر، فهو يقرر في "شرح التسهيل" أن الكلام " ما تضمن من الكلم إسنادا مفيدا مقصودا لذاته" (٦).

---

(١) ابن جني ،**الخصائص** [١:١٨]
(٢) الجرجاني، **الجمل في النحو**، ص ١٠٧
(٣) الزمخشري، **المفصل** ، [١/١٢٣]
(٤) الرضي،**شرح الرضي على الكافية** ،ج١ ص ٣٢
(٥) المصدر السابق ،ج١ ص ٣٣
(٦)ابن مالك، عبد الله محمد ، **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، (تحقيق محمد كامل بركات) بلا طبعة ولا تاريخ، ص ٣
وينظر أبو المكارم،**مقومات الجملة العربية**، ص ٢٠

ويحدد في "شرح التسهيل" الغاية من ذكر شرط "المقصود لذاته" بما يخرج الجملة، لأنها وإن تضمنت إسنادا فإن إسنادها إذا لم يقصد هو، ولا ما تضمنه لذاته، بل قصد لغيره، فليس كلاما، بل جزء من كلام، وذلك نحو: (قاموا)، من قولك: رأيت الذين قاموا ، وقمت حين قاموا" [١].

وقال ابن هشام: "الْكَلَام هُوَ القَوْل الْمُفِيد بِالْقَصْدِ، وَالْمرَاد بالمفيد مَا دلّ على معنى يحسن السُّكُوت عَلَيْهِ. وَالْجُمْلَة عبارَة عَن الْفِعْل وفاعله ك قَامَ زيد، والمبتدأ وَخَبره ك زيد قَائِم، وَمَا كَانَ بِمَنْزِلَة أَحدهمَا نَحْو: ضرب اللص، وأقائم الزيدان، وَكَانَ زيد قَائِما، وظننته قَائِما. وَبِهَذَا يظْهر أَنَّهُمَا ليسَا مترادفين كَمَا يتوهمه كثير من النَّاس، وَهُوَ ظَاهر قَول صَاحب الْمفصل فَإِنَّهُ بعد أَن فرغ من حد الْكَلَام قَالَ : " وَيُسمى جملَة "[٢].

وَالصَّوَاب أَنَّهَا أَعم مِنْهُ، إِذْ شَرطه الإفادة بِخِلَافِهَا، وَلِهَذَا تسمعهم يَقُولُونَ: جملَة الشَّرْط، جملَة الْجَواب، جملَة الصِّلَة. وكل ذَلِك لَيْسَ مُفِيدا فَلَيْسَ بِكَلَام" [٣].

ويؤيد الباحث هذا رأي الفريق الثاني ويرجحه، لأن الجملة هي وحدة التحليل النحوي، فينبغي أن تكون شاملة، بمعنى أنها تشمل كل الجمل كالجملة التي تقع خبرا أو حالا أو صفة أو غير ذلك ، أي تكون الجملة أوسع إطارا من الكلام [٤].

وتكمن ثمرة معرفة الخلاف بين الجملة والكلام في إدخال دراسة الجمل غير المقصودة لذاتها كجملة الخبر والحال والصفة وغيرها في باب الجمل على أنها من أقسامها، وإن لم تكن كلاما.

---

(١) ابن مالك ، **شرح التسهيل** ،(تحقيق عبد الرحمن السيد و محمد بدوي المختون) ،هجر للطباعة والنشر، القاهرة ، ط١، ١٩٩٠ م [٦/١]
(٢) الزمخشري، **المفصل** [١٢٣/١]
(٣) ابن هشام، **مغني اللبيب** ٤٩٠/١
(٤) وهو ما ذهب إليه جمال عيد في تحقيقه لهذه المسألة، جمال عيد،**الصدارة في الجملة العربية**، ص ٢١

ثالثا: علاقة الجملة بالمركبات

المركب [في علم النحو] ما يقابل المفرد (١)، فيطلق على ما تكون من كلمتين أو أكثر، وأصبح لهيئته التركيبية سمة خاصة يعرف بها، ويؤدي وظيفة نحوية (٢)، والمركب بهذا المعنى هو أعم من الجملة، فقد يكون من قبيل الجملة أو من قبيل المفردات.

والدكتور محمد عبادة وضع تصورا جديدا شاملا للهيئات التركيبية كلها، يؤيده الباحث فيه (٣)، وأهم هذه الهيئات :

- المركب الفعلي: والمقصود به الهيئة التركيبية المبدوءة بفعل ، وهذا من قبيل الجمل (٤).
- المركب الاسمي: والمقصود به الهيئة التركيبية المبدوءة باسم ليس مشتقا عاملا عمل فعله أو مضافا، وليس مصدرا عاملا عمل فعله أو مضافا ، وهذا: منه ما هو من قبيل الجمل، ومنه ما هو من قبيل المفردات .

فما هو من قبيل الجمل: المركب الاسمي الإسنادي، والمقصود به تحديدا ما يعرف بالمبتدأ والخبر أو الجملة الاسمية، وما هو من قبيل المفردات: المركب الاسمي الإضافي، والمركب الاسمي التمييزي و والمركب الاسمي النعتي أو التوصيفي (٥).

---

(١) التهانوى ،محمد على ، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، ١٩٩٦ م [٧١١/١]

(٢) عبادة، محمد إبراهيم، **الجملة العربية:مكوناتها-أنواعها-تحليلها**، القاهرة، مكتبة الآداب، ط٤ ،٢٠٠٧ م ، ص ٤٣

(٣) محمد عبادة، **الجملة العربية** ، ص ٤٣- ١٢٨ .

أما التصور القديم لتقسيم المركبات فلم يكن شاملا، ويقوم على التقسيم: وفقا للنسبة القائمة بين عناصرها إلى ثلاثة أقسام:
القسم الأول : المركب الإسنادي: وهو ما كان بين جزأيه إسناد أصلي، ويشمل الجملة الاسمية والفعلية.
القسم الثاني: المركب التقييدي: وهو ما كان بين جزئيه نسبة تقييدية بأن يكون أحد الجزأين قيدا للآخر، وهو ثلاثة أنواع:المضاف والمضاف إليه، الموصوف وصفته، المصدر والمشتقات مع مرفوعاتها.
القسم الثالث: المركب غير التقييدي وغير الإسنادي: ويشمل: الجار والمجرور، المركب التضميني: وهو ما تضمن الحرف سواء تضمن حرف العطف مثل :"خمسة عشر"، إذ الأصل خمسة وعشر ، أم تضمن حرف الجر مثل: "بيت بيت" إذ الأصل بيت منته إلى بيت أو ملصق به، المركب المزجي : وهو ما لا يتضمن الحرف، مثل: بعلبك، وحضرموت، المركب الصوتي: وهو نوع من المركبات المزجية إلا أنه مختوم بويه كسيبويه. ينظر: التهانوى،**كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم** [٧١٢/١] .

(٤) وهو نوعان : المركب الفعلي صورة ومعنى، ويدخل فيه المركب المبدوء بفعل تام مبني للمجهول، والمركب المبدوء بفعل تام مبني للمعلوم. والمركب الفعلي صورة لا معنى، والمقصود به: المركب المبدوء بفعل ناقص مثل كان وأخواتها وكاد وأخواتها، فهذه المركبات في عرف النحويين مركبات أو جمل فعلية لأنها مصدرة بفعل، وصورية لأنه ليس للفعل فيها وظيفة الإسناد. ينظر المصدر السابق ، ص ٦٨.

(٥) والأنواع الأخرى هي: المركب الاسمي الإضافي، وهذا من قبيل المفردات، وهو ما كان مركبا من اسمين أولهما نكرة وثانيهما معرفة أو نكرة، ويعد قيدا للاسم الأول، ويمكن أن يحل بينهما حرف جر من الحروف الثلاثة "من"، و "اللام"، و"في"، مثل :خاتم ذهب،باب حجرة ،مكر الليل،ويسمى الأول مضافا والثاني مضافا إليه ويكون مجرورا. والمركب الاسمي التمييزي، وهذا من قبيل المفردات، ونريد به المبدوء باسم مجمل يميزه ويفسره ويبينه اسم بعده،وهذا الاسم المجمل يكون من أسماء المقادير أو الأعداد. مثاله : {أحد عشر كوكبا}[يوسف:٤]. والمركب الاسمي النعتي أو التوصيفي، وهذا من قبيل المفردات، وهو الهيئة التركيبية المكونة من اسم وصفة.

- المركب المصدري: والمراد ما كان مكونا من مصدر صريح ومفعوله، وهو من قبيل المفرد.
- المركب الموصولي: والمراد به المبدوء بالموصول الاسمي أو الحرفي مع صلته، والأسماء الموصولة منها المختص ومنها المشترك، فالأول كالذي والتي، والثاني : كمن ، ما .والحروف الموصولة- ويصح أن تسمى مركباتها أيضا المركبات المصدرية المؤولة - هي : أنَّ ، وما ،وكي، ولو، وأنَّ. وهو من قبيل المفرد بنوعيه.
- المركب الظرفي : وهو الهيئة التركيبية المبدوءة بما يدل على زمان أو مكان إنجاز الحدث، ويكون على معنى "في"، وهو من قبيل المفرد.

وهو نوعان: مركب ظرفي إضافي إضافته غير لازمة ، وصدره ألفاظ معينة منها : يوم وحول ووقت وقبل وبعد ... وهي غير لازمة الإضافة لأنها قد تقطع عن الإضافة ومركب ظرفي إضافي إضافته لازمة ،ومن ذلك: إذ وإذا وحيث... وهو من قبيل المفرد بنوعيه.

- مركب الجار والمجرور: نريد به الهيئة التركيبية المبدوءة بحرف جر، وهو من قبيل المفرد.

المطلب الثاني: أنواع الجمل

تنقسم الجمل، وتتنوع بحسب الاعتبارات والمنطلقات التي ينظر إليها منها، ويمكن القول بأن هناك اعتبارات ثلاثة في تقسيم الجمل هي:

أولا: الاعتبار التركيبي

ثانيا: الاعتبار الوظيفي العام

ثالثا: الاعتبار الموقعي

أولا: تقسيم الجملة حسب الاعتبار التركيبي

الاعتبار التركيبي للجملة له أثره في تقسيمها من جانبين:

أولا:- الاعتبار بصدر الجملة ثانيا:- الاعتبار بالتركيب الداخلي للجملة

أ- الاعتبار بصدر الجملة

تقسم تبعا لذلك إلى: جملة اسمية وأخرى فعلية. فالاسمية ما كان صدرها اسما، والفعلية ما كان صدرها فعلا [(١)]. ولا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف والفضلات، فقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧] جملة اسمية، وقوله: ﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ﴾ [القمر: ٧] جملة فعلية .

جاء في المغني : " مرادنا بصدر الْجُمْلَة الْمسند أَو الْمسند إِلَيْهِ فَلَا عِبْرَة بِمَا تقدم عَلَيْهِمَا من الْحُرُوف، فالجملة من نَحْو "أقائم الزيدان" و"أزيد أَخُوك" و"لَعَلَّ أَبَاك منطلق" و"مَا زيد قَائِم" اسمية وَمن نَحْو "أَقَامَ زيد" و"إِن قَامَ زيد" و" قد قَامَ زيد" و"هلا قُمْت" فعلية وَالْمُعْتَبر أَيْضا مَا هُوَ صدر فِي الأَصْل، فالجملة من نَحْو:" كَيفَ جَاءَ زيد" وَمن نَحْو:﴿ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ [غافر: ٨١]، وَمن نَحْو:﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧] و﴿ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ ﴾ [القمر: ٧] فعلية، لِأَن هَذِه الْأَسْمَاء فِي نِيَّة التَّأْخِير وَكَذَا الْجُمْلَة فِي نَحْو يَا عبد الله وَنَحْوقوله: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾ [التوبة: ٦]،﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ﴾[النحل: ٥]، ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ [الليل: ١] لِأَن صدورها فِي الأَصْل أَفعَال وَالتَّقْدِير: أَدْعُو زيدا، وَإِن استجارك أحد، وَخلق الْأَنْعَام، وَأقسم وَاللَّيْل "[(٢)].

(١) ابن هشام: **مغني اللبيب** [١/ ٤٩٢]
(٢) المرجع السابق [١/ ٤٩٢- ٤٩٣]

وتعد الجمل الظرفية أي المصدرة بالظرف أو الجار و المجرور من قبيل الجمل الاسمية على الراجح، خلافا لصاحب المغنى الذي يجعلها قسما مستقلا ، فالجملة عنده : اسمية وفعلية وظرفية (١).

وتعد الجمل الشرطية في معظمها فعلية وفي أقلها اسمية، فهي ليست قسما مستقلا عن الاسمية والفعلية بل ترجع إليهما، وهذا ما يرجحه الباحث خلافا للزمخشري وغيره، إذ جعل الزمخشري الجمل أربعة أقسام: اسمية وفعلية وظرفية وشرطية (٢).

فالجمل الشرطية إجمالا، إما مصدرة بحرف شرط أو اسم شرط . والمصدرة بحروف شرط، أغلبها جمل فعلية وأقلها جمل اسمية ، مثال الأول : قوله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩]، ومثال الثاني قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ٨٣]. واسم الشرط قد يكون عمدة، وقد يكون فضلة ، فإذا كان عمدة كانت الجملة الشرطية من قبيل الجمل الاسمية، وإذا كان فضلة كانت من قبيل الفعلية : ففي قوله تعالى: ﴿أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠] ، وقولنا : (من تكرم أكرم) ، (متى تأتني آتك) ،(أينما تذهب أذهب معك) أسماء الشرط فيها كلها فضلات، وهي مقدمة عن تأخير ففي الآية فـ(أيا) مفعول به مقدم وفي الأقوال: في الأول مفعول به مقدم، وفي الثاني ظرف زمان، وفي الثالث ظرف مكان. فهذه الجمل الشرطية كلها من قبيل الجمل الفعلية، وفي نحو قوله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقولنا: (من يأتني أكرمه) و(أيُّ رجل يحضر أحضر معه) و(ما يرضك يرضني) اسم الشرط فيها جميعا عمدة، وهي كلها من قبيل الجمل الاسمية (٣) .

ب- الاعتبار بالتركيب الداخلي للجملة

تنقسم الجملة بهذا الاعتبار إلى جملة كبرى وأخرى صغرى، وجملة أصلية لا توصف بكبرى ولا صغرى (٤) . فالجملة الكبرى هي الاسمية التي خبرها جملة ، والصغرى هي المبنية على المبتدأ (٥).

---

(١) ابن هشام: **مغني اللبيب** ١ /٤٩٢
(٢) الزمخشري: **المفصل** ، ج١ ص٤٤
(٣) السامرائي، فاضل صالح ، **الجملة العربية:تأليفها وأقسامها** ، ص ١٦٠– ١٦١
(٤)السامرائي: المرجع السابق، ص ١٦٨– ١٦٩، وكذلك عباس،حسن، **النحو الوافي**، دار المعارف، ط١٥، بلا تاريخ ولا مكان نشر [١/١٦]
(٥) ابن هشام: **مغني اللبيب** ٤٩٧/١.

وَقد تكون الْجُمْلَة صغرى وكبرى باعتبارين نَحْو: (زيد أَبوهُ غُلَامه منطلق) فمجموع هَذَا الْكَلَام جملَة كبرى لَا غير وَغُلَامه منطلق صغرى لَا غير لِأَنَّهَا خبر وَأَبوهُ غُلَامه منطلق كبرى بِاعْتِبَار غُلَامه منطلق وصغرى بِاعْتِبَار جملَة الْكَلَام [١].

وقد تكون الجملة الكبرى ذات وجهين وقد تكون ذات وجه واحد ، فالأولى هي الاسمية الصدر الفعلية العجز أو العكس وذات الوجه هي ما كانت اسمية الصدر والعجز كقولنا : (زيد أبوه قائم) أو فعلية فيهما كقولنا: (ظَنَنْت زيدا يقوم أَبوهُ) .

وبهذا يتضح أن الجملة الكبرى والصغرى تختص بجملة المبتدأ والخبر وما أصله ذلك ولا تكون في غيره فلا تدخل فيها جملة الحال أو جملة النعت. فلا يوصف قولك (أقبل محمد غلامه ساع خلفه) بأنه جمل كبرى ولا توصف جملة (غلامه ساع خلفه) بأنها جملة صغرى فإن كلا منهما جملة مستقلة . ولا يوصف قولك (رأيت عاملا يساعده ولده) بأنه جملة كبرى، ولا توصف جملة (يساعده ولده) بأنها جملة صغرى [٢].

وأما الجملة التي ليست صغرى أو كبرى نحو قولك : (أخوك مسافر) و (سافر أخوك) يصفها الأستاذ عباس حسن بأنها الجملة الأصلية ، وبهذا يكتمل الحصر للجمل في أقسام ثلاثة، جملة أصلية تقتصر على ركني الإسناد من فعل وفاعل أو من مبتدأ وخبر مفرد . وجملة كبرى وجملة صغرى [٣] .

ثانيا: تقسيم الجملة حسب الاعتبار الوظيفي العام

تنقسم الجملة بحسب هذا الاعتبار إلى جملة خبرية وأخرى إنشائية [٤]. وتحته مسائل:

أ- مفهوم الخبر والإنشاء وتحقيق الفرق بينهما .

ب- الأساليب الإنشائية الطلبية، وغيرالطلبية .

ت- الجملة المختلف لفظها عن معناها من حيث الإنشاء والخبر.

ث- العطف بين الجمل المختلفة من حيث الإنشاء والخبر.

---

(١)ابن هشام: **مغني اللبيب** ٤٩٧/١

(٢) السامرائي، فاضل : **الجملة العربية:تأليفها وأقسامها** ، ص ١٧٠-١٧١

(٣) عباس حسن : **النحو الوافي** [١٦/١]

(٤)ابن هشام، عبد الله بن يوسف: **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، (تحقيق: عبد الغني الدقر) ،الشركة المتحدة للتوزيع ، سوريا [٤٠/١]، محمد إبراهيم عبادة ،**الجملة العربية: مكوناتها- أنواعها- تحليلها**، ص ١٣١.

أ- مفهوم الخبر والإنشاء وتحقيق الفرق بينهما

الخبر في اللغة: " العلم بالشيء، (يقال) : خبرتُ الشيء أخبره خبراً وخُبرة، ومن أين خبرت هذا؟ أي: [من أين] علمتهُ. "(١). والإنشاء بمعنى الإيجاد والإحداث (٢) ، وبمعنى الإبداع والابتداء(٣). وقد ذكر ابن هشام أن الإنشاء سمي كذلك لما اخْتصَّ هَذَا النَّوْع بِأَن إيجَاد لَفظه إيجَاد لمعناه (٤). وهذا المعنى اللغوي للخبر والإنشاء يضفي بظلاله على إدراك الفرق بينهما في الاصطلاح، فالمقصود في الإخبار حكاية المعنى، وفي الإنشاء إنشاؤه وإحداثه .

قال العلامة سعد الدين في الفرق بين الخبر والإنشاء: " وتحقيق ذلك ان الكلام إما ان يكون له نسبة بحيث تحصل من اللفظ ويكون اللفظ موجدا لها من غير قصد إلى كونه دالا على نسبة حاصلة في الواقع بين الشيئين وهو الإنشاء أو تكون له نسبة بحيث يقصد أن لها نسبة خارجية مطابقة أولا مطابقة، وهو الخبر، لأن النسبة المفهومة من الكلام الحاصلة في الذهن لابد وأن تكون بين الشيئين، ومع قطع النظر عن الذهن لابد وأن يكون بين هذين الشيئين في الواقع نسبة ثبوتية، بأن يكون هذا ذاك، أو سلبية بأن لا يكون هذا ذاك" (٥) .

فالخلاصة أن النسبة الكلامية والخارجية والمطابقة وعدمها أمور لا بد منها في الخبر والإنشاء والفارق بينهما إنما هو القصد وعدم القصد، فالخبر لا بد فيه من قصد المطابقة أو قصد عدمها، والإنشاء ليس فيه قصد للمطابقة ولا لعدمها (٦).

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، **مجمل اللغة** ، (تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان)، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢ ، ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ٢ [٣١٠/١]

(٢) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى ،**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** ،(تحقيق عدنان درويش - محمد المصري) ، مؤسسة الرسالة – بيروت [١٩٧/١]

(٣) كما نقل ابن منظور عن الزجاج قوله فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾ [الأنعام: ١٤١] ؛ أَي ابْتَدَعَها وابْتَدَأَ خَلْقَها. وكلُّ مَنِ ابْتَدأَ شَيْئًا فَهُوَ أَنْشَأَه . ابن منظور، **لسان العرب** [١٧٢/١]

(٤) ابن هشام، **مغني اللبيب** [٤٠/١]

(٥) التفتازاني، سعد الدين، **مختصر المعاني** ، دار الفكر،ط١، ١٤١١هـ[٢٣/١]

(٦) الدسوقي،محمد بن عرفة،**حاشية الدسوقي على المختصر**، دار الفكر،ط١، ١٤١١هـ [١٦٦/١] ، وينظر: أبو موسى، **دلالات التراكيب** ، محمد، مكتبة وهبة ،القاهرة ٢٠٠٨م [ص ١٩١،١٩٠، ١٩٥،١٩٦] بتصرف.

ب- الأساليب الإنشائية الطلبية، وغيرالطلبية

الإنشاء الطلبي ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، كأساليب الأمر والنهي والنداء والاستفهام والتمني والعرض والتحضيض [١]. والإنشاء غير الطلبي ما لا يستدعي مطلوبا، وله أساليب كثيرة، منها: صيغ المدح والذم، والعقود ، والقسم ، والتعجب ، والرجاء، ورب وكم الخبرية [٢] .

وقد اهتم البلاغيون بدراسة الإنشاء الطلبي أكثر ، لكونه تتوارد عليه المعاني التي تجعله من الأساليب الغنية ذات العطاء والتأثير، كأن تفيد أدوات الاستفهام في بعض السياقات معان غيرالاستفهام، كالتعجب في قوله تعالى: ﴿ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾ [النمل: ٢٠]، أو التنبيه على الضلال في قولـه: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير: ٢٦]، وهذا بخلاف الإنشاء الذي ليس وراءه طلب، فليست أساليبه مما تتوارد عليها المعاني، فالقسم هو القسم والتعجب كذلك والمدح والذم وبقية الباب [٣].

ت- الجمل المختلف لفظها عن معناها من حيث الإنشاء والخبر

قد تأتي الجملة الخبرية بأسلوب الإنشاء والعكس [٤]، نحو قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾[النمل: ٨ - ١٠]، " فإن الكلام مشتمل على تضمين الطلب معنى الخبر، وذلك أن قوله: وألق عصاك معطوف على قوله أن بورك. المعنى فلما جاءها قيل بورك وقيل ألق عصاك [٥]، ونحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ [مريم: ٧٥] أي يمد له [٦]، ونحو قوله:﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ

---

(١) الخطيب ، محمد بن عبد الرحمن ،**الإيضاح في علوم البلاغة**، (تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي) ، دار الجيل ، بيروت،ط٣، عدد الأجزاء: ٣ [٥١/٣، ١٢٥،٥٢]
(٢) ابن هشام ، عبد الله بن يوسف (ت: ٧٦١هـ)، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، (تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي) ، دار الفكر بلا طبعة، عدد الأجزاء: ٤ [١٩٣/٢] . جاء في الهامش قول المحقق: " هذا [أي الواقع في الخبر] هو النوع الثاني المقابل لقوله سابقا "واقع في الطلب"، والمراد بالخبر هنا: ما ليس بطلب، فيشمل الإنشاء غير الطلبي كصيغة التعجب، والمدح والذم، وجملة القسم، لا جملة الجواب. ومثل حمدا وشكرا. وقد جعل النحاة ذلك من قسم الخبر، نظرا لصورة العامل ولفظه. وقيل: إنها أساليب خبرية لفظا ومعنى" . وينظر أيضا: المراغي ،أحمد بن مصطفى (ت: ١٣٧١هـ)، **علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢٠٠٢،٤م [٦١/١]
(٣) أبو موسى، **دلالات التراكيب** ، ص ١٩٧، بتصرف.
(٤)السكاكي، يوسف بن أبي بكر (ت: ٦٢٦هـ)، **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط٢، ١٩٨٧ م ،عدد الأجزاء: ١ [٢٥٨/١] ، الزركشي، محمد بن عبد الله (ت: ٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن** ، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان ، ط١، ١٩٥٧م عدد الأجزاء: ٤ [٣/ ٣٥٠]
(٥) السكاكي،المرجع السابق، [٢٥٩/١]
(٦) الزركشي : المرجع السابق [٣/ ٣٥٠]

مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف: ٢٩] فالمراد إقمة وجوهكم عند كل مسجد . قال أبو موسى: "ولما كان ذلك من الأهمية بمكان كبير خالف الأسلوب نغمة سياقه والتفت ووجه الأمر لأن إقامة الوجوه عند كل مسجد يتبعها صلاح في النفس والسلوك يثمر ضروبا كثيرة من الخير، والقسط واحد منها" [(١)].

وقد أشار العلوي إلى أن مجيء الخبر بلفظ الإنشاء مما يقع نادرا، والسر في ذلك أن الإنشاء إذا ورد بمعنى الخبر فليس فيه مبالغة بخلاف عكسه فإنه يفيد المبالغة [(٢)].

ومما عبر به عن الإنشاء بلفظ الخبر "لا تعبدون " في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ... ﴾ [البقرة: ٨٣]، فهو في موضع " لا تعبدوا " ،ونحو: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ [البقرة: ٨٤] فهو في موضع "لا تسفكوا "و"لا تخرجوا"[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [الصف: ١١ ـ ١٢]، في موضع آمِنُوا وَجَاهِدُوا" [(٤)].

وجاء في الطراز التأكيد على معنى الإنشاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ ﴾[البقرة: ٢٣٣] ، وقوله:﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾[آل عمران: ٩٧]، " وأن الكلام في نحو ذلك ليس واردا على جهة الإخبار، لأنه يلزم منه الكذب، وهو محال في كلامه تعالى، لأن كثيرا من الوالدات لا ترضع الحولين، بل تزيد وتنقص، وهكذا قد يدخل البيت من هو خائف، فلهذا وجب تأويله على جهة الإنشاء، والمعنى فيه، لترضع الوالدات أولادهن حولين على جهة الندب والإرشاد إلى المصالح، وهكذا قوله: وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناًمعناه ليأمن من دخله، ومخالفة الأوامر لا فساد فيها، ولا يلزم عليه محال، بخلاف الأخبار فإنه يلزم من مخالفتها الكذب" [(٥)].

ويتضح مما سبق أن الأساس في تصنيف هذه الجمل يعتمد على المعنى والمدلول، لا على القالب اللفظي، فما كان إنشائي المعنى بلفظ الخبر يلحق الجمل الإنشائية، وما جاء خبري المعنى بلفظ الإنشاء يلحق الجملة الخبرية .

---

(١) أبو موسى، **دلالات التراكيب** ص ١٩٤
(٢) العلويّ، يحيى بن حمزة ، **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز** ، المكتبة العصرية – بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ عدد الأجزاء:٣ [١٦٢/٣]
(٣) السكاكي،**مفتاح العلوم** [٣٢٥/١]
(٤) المرجع السابق [٣٢٦/١]، الزركشي ، **البرهان** [٣/ ٣٤٩]
(٥) العلوي، **الطراز** [١٦٢/٣]

قال الدكتور فاضل السامرائي: " والخلاصة إن العبرة بمدلول العبارة لا بصورتها فإن كان مدلولها إنشاء كانت إنشاء، وإن كان مدلولها خبرا كانت خبرا بغض النظر عن صورة التعبير فقولك (صبرك يا خالد) طلب سواء قدرت اصبر صبرك أم أسألك صبرك، وقوله تعالى ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٥] طلب أي اغفر لنا سواء قدر الكلام (اغفر غفرانك) أو نسألك غفرانك" [(١)] .

ث- عطف الإنشاء على الخبر والعكس

هذه مسألة مختلف في جوازها عند النحويين والبيانيين ، أكثر الأقدمين على منعها مطلقا لاشْتِرَاطِهِم اتِّفَاقِ الْمَعَانِي بمعنى تناسب المتعاطفين في الخبرية أو الإنشائية كابن هشام [(٢)].

وأجازها آخرون إجازة مطلقة كصاحب البحر، حيث قال: "عَطْفُ الْجُمَلِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ لَيْسَ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ تتفق مَعَانِي الْجُمَلِ، فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ عَطْفُ الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ عَلَى الْجُمْلَةِ غَيْرِ الْخَبَرِيَّةِ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِيهَا اخْتِلَافٌ. ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ إِلَى اشْتِرَاطِ اتِّفَاقِ الْمَعَانِي، وَالصَّحِيحُ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِشَرْطٍ" [(٣)]. وأشار العلامة سعد الدين إلى أن عطف الإنشاء على الإخبار كثير[(٤)].

وقيد السيد منع البيانيين بالجمل التي لا محل لها بخلاف التي لها محل، فإن ذلك جائز فيها[(٥)].

والذي أستصوبه وأرتضيه هو القول بتقييد إجازة العطف في الجمل ذات المحل الإعرابي كما ذكر السيد في اقتباسي السابق عنه.

أما ما كان بين الجمل التي لا محل لها، فالراجح عندي كون الواو فيها للاستئناف [(٦)]، أو نعد تلك الواوات حروف عطف تعطف الجمل بعدها على مقدرات مماثلة لها حذفت من الكلام بغية الإيجاز[(٧)].

---

(١)السامرائي ،**الجملة العربية تأليفها وأقسامها** ، ص ١٨١، أبو موسى، **دلالات التراكيب** ص ١٩٤
(٢) ابن هشام،**المغني**: ١ /٦٢٧
(٣) أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، **البحر المحيط في التفسير** (تحقيق: صدقي محمد جميل) ، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ ١ /١٧٩
(٤)البربري، عبد الفتاح ،**أطروحة دكتوراه في تحقيق الجزء الأول من حاشية العلامة سعد التفتازاني على الكشاف**،جامعة الأزهر،١٩٧٨ [ص ١٥٧]
(٥) قال السيد: "منع البيانيين إنما هو في الجمل التي لا محل لها بخلاف التي لها محل، فإن ذلك جائز فيها وكفاك حجة قاطعة على جوازه قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ، وليس مختصا بالجمل المحكية بالقول إذ لا يشك من له مسكة في حسن قولك: (زيد أبوه صالح وما أفسقه) ووجه الجواز أن الجمل التي لها محل واقعة موقع المفردات، فليست النسب بين أجزائها مقصودة بالذات فلا التفات إلى اختلاف تلك النسب بالخبرية والإنشائية بخلاف ما لا محل لها". ينظر: الصبان ، **حاشية الصبان** [٣ /١٧٩-١٨٠].
(٦) هو اختيار ابن هشام من الأقدمين [المغني: ١/٤٧٠]، ومن المحدثين أبو موسى [دلالات التراكيب: ٣٢٢، ٣٢٤] وكذلك [هارون، عبد السلام ، **الأساليب الإنشائية في النحو العربي**، دار الجيل، بيروت ، ص ١٢٠].
(٧)هارون، عبد السلام ،**الأساليب الإنشائية** [ص ١٢٠]

ثالثا: تقسيم الجملة حسب الاعتبار الموقعي

يقسم النحاة الجمل إلى نوعين: جمل لا محل لها من الإعراب ، وجمل لها محل من الإعراب (١) .

وهذا التقسيم قائم على إمكانية حلول المفرد محلها أو لا ، فإن أمكن كانت الجملة لها محل من الإعراب وإلا فلا .

أ- الجمل التي لا محل لها من الإعراب

وهي أنواع (٢) : كالجملة الاستئنافية، والجملة المعترضة ، والجملة التفسيرية، وجملة جواب القسم ، وجملة جواب الشرط غير الجازم أو الجازم غير المقرنة بالفاء ولا بإذا الفجائية، والجملة الواقعة صلة للموصول الاسمي أو الحرفي، و جملة الشرط الواقعة بعد حروف الشرط غير العاملة ، وجملة جواب النداء والجملة التابعة لما لا محل له من الإعراب.

ب- الجمل التي لها محل من الإعراب

وهي أنواع(٣): كالجملة الواقعة خبرا، والجملة الواقعة حالا ، والواقعة مفعولا، والواقعة مضافا إليها، والواقعة جوابا لشرط جازم إذا اقترنت بالفاء أو إذا، والتابعة للمفرد، وهي ثلاثة أقسام: الواقعة نعتا ، والمعطوفة بالحرف، والمبدلة من مفرد، والتابعة لجملة لها محل إعرابي، وذلك في أبواب التوابع في عطف النسق والبدل.

---

(١) ابن هشام،**مغني اللبيب** [٥٠٠/١، ٥٣٦]

(٢) المرجع السابق: [٥٠٠/١]، السلاوي ، محمد بن عمران، **شرح النظم المجرادية في الجمل** ، (شرح بيروك عبد الله بن يعقوب السملالي)،اعتنى به وراجعه عبد الكريم قبول، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ٢٠٠٧م [ص ١٠،١١] ، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١هـ)، **الأشباه والنظائر**، دار الكتب العلمية ، ط ١٩٩٠،١،١٨/٢ ، الأفغاني، سعيد بن محمد (ت : ١٤١٧هـ) **الموجز في قواعد اللغة العربية**، دار الفكر، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٣م عدد الأجزاء : ١ [٤٠١/١].

(٣) السلاوي ، **شرح النظم المجرادية في الجمل**، ص ٥٢-٦٢

المبحث الثاني: الفصل والوصل

المطلب الأول: الأهمية والمفهوم

المطلب الثاني: قواعد الفصل والوصل

المطلب الثالث: الواو العاطفة وخصائصها

المطلب الرابع: تصنيف عطف الجمل بالواو

المطلب الأول : الأهمية والمفهوم

أولا: الأهمية

فيما يخص أهمية مبحث الفصل والوصل في علوم البلاغة قال عبد القاهر: "اعلمْ أنَّ العلمَ بما ينبغي أن يُصْنَعَ في الجملِ من عطفِ بعضها على بعضٍ، أو تركِ العطفِ فيها والمجيءَ بها منثورة، تُسْتَأْنَفُ واحدةٌ منها بعد أخرى من أسرارِ البلاغة، ومما لا يتأتَّى لتمامِ الصَّوابِ فيه إلاَّ الأعرابُ الخُلَّص، وإلاَّ قَوْمٌ طُبِعُوا على البلاغة، وأوتوا فنَّاً مِنَ المعرفة في ذوقِ الكلامِ هم بها أفرادٌ. وقد بلغَ من قوة الأمر في ذلك أنَّهم جعلوهُ حَدّاً للبلاغة، فقد جاء عَنْ بعضهم أنه سُئِل عنها فقال: "مَعْرِفَةُ الفَصلِ منَ الوصلِ"، ذاك لغموضِه ودقِة مَسْلكِه، وأنَّه لا يَكْمُلُ لإحرازِ الفضيلة فيه أحدٌ، إلاَّ كَمَلَ لسائِر معاني البلاغة " [١].

وقال أيضا: " واعلمْ أنَّه ما من عِلْمٍ من علوم البلاغة أنت تقول فيه: "إنه خَفيٌّ غامضٌ، ودقيقٌ صَعْبٌ" إلاّ وعِلْمُ هذا البابِ أغمضُ وأخفى وأدقُّ وأصعبُ. وقد قِنَعَ الناسُ فيه بأنْ يقولوا إذا رأوا جملة قد تُرِكَ فيها العطفُ: " إنَّ الكلامَ قد استؤنفَ وقُطِعَ عما قبله"، لا تطلبُ أنفسُهم منه زيادة على ذلك. ولقد غَفِلوا غَفْلَةً شديدة "[٢] .

ثانيا:- المفهوم

أولا: الفصل والوصل لغة:

"الْفَاءُ وَالصَّادُ وَاللَّامُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَمْيِيزِ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ وَإِبَانَتِهِ عَنْهُ"[٣] . و" الْوَاوُ وَالصَّادُ وَاللَّامُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى ضَمِّ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى يَعْلَقَهُ"[٤]. فمادة (فصل) تدور على الانقطاع والتميز والتباين بين الشيئين، ومادة (وصل) تدورعلى الجمع والضم.

ثانيا: الفصل والوصل اصطلاحا:

عرف الخطيب الفصل بـترك عطف بعض الجمل على بعضها الآخر، والوصل بعطف ذلك [٥].

---

(١) الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، [٢٢٢/١]
(٢) المصدر السابق [٢٣١/١]
(٣) ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت: ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**(المحقق: عبد السلام محمد هارون) دار الفكر،عام النشر: ١٩٧٩م.عدد الأجزاء: ٦، [٥٠٥/٤]
(٤)المرجع السابق [١١٥/٦]
(٥) الخطيب،**الإيضاح**،[٩٧/٣]، حيث جاء فيه: "الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه" وعلى الهامش:"خص الجمل؛ لأنها أكثر أحكامًا وإن كان الوصل والفصل يجريان أيضًا في المفردات فإن وجد الجامع بينهما فالوصل وإلا فالفصل" .

وعرفه المراغي: العلم بمواضع العطف أو الاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند الحاجة إليها [(١)].

وأكثر النحاة والبلاغيين إلى أن الوصل يكون بالواو العاطفة فقط دون بقية حروف العطف ، وعليه يمكن أن يكون التعريف عندي للوصل والفصل بأنه العلم بمواضع العطف بالواو أو الاستئناف بين المفردات أو بين الجمل أو بين المفردات والجمل .

وقصر الوصل بـ (الواو) لأنها هي الأداة التي تخفى الحاجة اليها، ويحتاج العطف بها إلى لُطف في الفهم، ودِقة في الإدراك، إذ لا تفيد إلاَّ مُجردَ الربط، وتَشريكَ ما بعدها لما قبلها في الحكم الذي يقتضيه الإعراب نحو: جاءني زيد وعمرو ، بخلاف العطف بغير (الواو) فيفيد مع التشريك معاني أخرى - كالترتيب مع التعقيب في (الفاء) وكالترتيب مع التراخي في (ثُمَّ) وهكذا باقي حروف العطف التي إذا عطف بواحد منها ظهرت الفائدة، ولا يقع اشتباه في استعماله [(٢)].

وذكر الصعيدي أن هذا مذهب عبد القاهر الجرجاني وكثير من المتقدمين، وأن السكاكي وكثير من المتأخرين ذهبوا إلى جريان الفصل والوصل في غير الواو من حروف العطف[(٣)].

وللأمانة لم أستطع أن أقف على صحة ما نسبه إلى السكاكي، ولكني وجدت من المتأخرين من نادى بذلك، وهو الدكتور محمد أبو موسى [(٤)]، واعتذر بأن ما ذهب إليه ليس استدراكا على الجرجاني، وإنما ترك الجرجاني البحث فيما لا يغيب عن أهل زمانه كالعطف بغير الواو، والعطف بين المفردات، والعطف بين الجمل التي لها محل من الإعراب، وبحثنا في كل ذلك لأنه من البحث فيما يغيب على أهل زماننا، وكل يكتب على شريطة زمانه [(٥)].

---

(١)المراغي، **علوم البلاغة**، ص١٩٣.
(٢) الجرجاني، **دلائل الإعجاز**[٢٢٤] .
(٣)الصعيدي،عبد المتعال، **البلاغة العالية (علم المعاني)**، راجعه، عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢،١٩٩١م، ص ١٠٤ .
(٤)أبو موسى، **دلائل التراكيب**، ص ٢٦٨
(٥) المرجع السابق، ص ٢٦٨ بتصرف

المطلب الثاني: قواعد الفصل والوصل

الفصل والوصل يأتي في حالين:

الأول: بين المفردات، وكذلك بين الجمل التي لها محل من الإعراب: وحكمها حكم المفرد، لأنها مؤولة به. وفائدَة العطف في هذه الحال أن يُشْرِكَ الثاني في الحكم الإعرابي للأول، نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعلٌ مثلُه، والمعطوفَ على المنصوبِ بأنَّه مفعولٌ به أو فيه أوْ لُه شريكٌ له في ذلك. فوجهُ الحاجة إلى "الواو" ظاهراً والأمرُ فيها يَسْهُلُ[١].

الثاني: بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب: والفصل والوصل هنا هو المشكل ، وقد بين الجرجاني الإشكال بقوله: "فإذا قلنا: "جاءني زيد وعمرو" لم تفد بالواو شيئاً أكثر من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبتَّه لزيدٍ، والجمْعِ بينُه وبينَه، ولا يُتَصوَّرُ إشراكٌ بينَ شيئين حتَّى يكونَ هناك معنى يقعُ ذلك الإشراكُ فيه. وإذا كانَ ذلك كذلكَ، ولم يكن مَعَنا في قولنا: "زيد قائم وعمرو قاعدٌ" معنى تزعمُ أن "الواو" أشركتْ بَينَ هاتين الجملتين فيه، ثبت إشكال المسئلة"[٢].

ومعنى الجمع الذي تفيده الواو في هذه الحال ليس الإشراك في الحكم الإعرابي كما في الحال الأول ، وإنما الإشراك المعنوي: وقد بينه الجرجاني بقوله : "يجبُ أن يكونَ المحدَّثُ عنه في إحدى الجملتين بسببٍ من المحدَّثِ عنه في الأخرى، كذلكَ ينبغي أنْ يكونَ الخبرُ عن الثاني مما يَجْرِي مَجْرى الشبيهِ والنظيرِ أو النَّقيضِ للخبر عن الأولِ"[٣] . وبتعبير آخر لا بد من وجود الجامع المصحح للعطف بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب، ويجب أن يكون باعتبار المسند إليه والمسند جميعاً، فلا يقال: خليل قادم، والبعير ذاهب، لعدم الجامع بين المسند اليهما كما لا يقال: زيد طويل القامة، وعمرو شاعر، لعدم الجامع بين المسندين [٤] .

---

(١)الجرجاني،**دلائل الإعجاز**،[ص ٢٢٢-٢٢٣]
(٢)المرجع السابق [ص ٢٢٢]
(٣)المرجع السابق [ص ٢٢٥]
(٤)الهاشمي، **جواهر البلاغة** [١/١٨٠]، وحاول السَّكّاكي أن يقدّم تصنيفاً للكليّات الّتي يمكن أن يندرج تَحْتَها الجامع، فرأى أنّ الجامع، إمَّا أن يكون عقليّاً، أو وهْميّاً، أو خياليّاً. ولكل واحد منها صور. ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: ١/٢٥٣-٢٥٤.

قواعد الفصل والوصل بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب

ذكر الإمام الجرجاني أن للفصل حالين، وللوصل حالا واحدا ، فالفصل إمَّا للاتصالِ إلى الغاية أوِ الانفصال إلى الغايةِ، والعطفُ لما هو واسطةٌ بينَ الأمرينِ، وكانَ له حالٌ بينَ حاليَنْ .

فالاتصالِ إلى الغاية في كل جملة حالُها مع التي قبلَها حالُ الصفةِ معَ الموصوفِ والتأكيدِ مع المؤكَّدِ، فلا يكونُ فيها العطفُ البتَّةَ، لِشبْهِ العَطْفِ فيها، لو عُطِفَتْ، بعَطْفِ الشيءِ على نَفْسِه.

والواسطةُ بينَ الاتصالِ إلى الغاية أو الانفصال إلى الغايةِ في كل جملةٌ حالها مع التي قبْلها حالُ الاسمِ يكونُ غيرَ الذي قَبْله، إلاَّ أَنه يُشارِكُهُ في حكْم، ويدخلُ معه في معنًى، مثْلَ أن يكونِ كِلا الاسْمَيْن فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه، فيكون حقُّها العطفَ.

والانفصال إلى الغايةِ في كل جملة ليستْ في شيء مِنَ الحالين، بل سبيلُها مع التي قبْلَها سبيلُ الاسم مع الاسم لا يكونُ منه في شيءٍ، فلا يكونُ إيَّاه ولا مشارِكاً له في معنى، بل هو شيء إذا ذُكِرَ لم يُذْكَر إلا بأمرٍ يَنفردُ به، ويكونُ ذكْرُ الذي قبلَه وتَرْكُ الذكْر سواءٌ في حالِه، لعدم التعلُّق بينَهُ وبينَهُ رأساً[١].

وقد ذكر البلاغيون من بعده تقسيمات أكثر تفصيلا، فذكروا أن الفصل يأتي في الكلام في أحوال هي: كمال الاتصال وشبه كمال الاتصال وكمال الانقطاع وشبه كمال الانقطاع[٢] .

أولا: قواعد الفصل

يمكن أن أجمل قواعد الفصل فيما يلي:

الأولى: أن تكون العلاقة بين الجمل شبيهة بعلاقة الشيء بنفسه لقوة الروابط من داخل الجملتين، بحيث لا تحتاج لرابط لفظي خارجي، وله صور ثلاث: التوكيد والبيان والبدل، ويسمى كمال الاتصال[٣].

فمثال التوكيد قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] . ومثال البيان قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه: ١٢٠]. ومثال البدل مما كانت الجملة الثانية منزلة بدل كل قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨١ - ٨٢]، ومثال بدل البعض قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ

(١) الجرجاني، **دلائل الإعجاز** [٢٤٣]
(٢) الخطيب، **الإيضاح** [٣/١٠٤]
(٣) المرجع السابق [٣/١٠٧-١١٣].

أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء: ١٣٢ – ١٣٤] أو ومثال بدل الاشتمال كقوله تعالى: ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [يس: ٢٠ – ٢١] [١].

الثانية: وقوع الجملة الثانية بمنزلة الجواب عن سؤال اقتضته الجملة الأولى[٢]. وسموا ذلك شبه كمال الاتصال، وهو المعبرعنه بالاستئناف البياني، ومعنى الاستئناف فيه أنه استئناف جواب، وليس ابتداء كلام منقطع عن سابقه كما يشعر بذلك لفظ الاستئناف [٣].

وهذا الضرب الذي تتواصل جمله هذا التواصل كثير جدا. قال فيه عبد القاهر: **"**وإذا استقريتَ وجدتَ هذا الذي ذكرتُ لك، من تنزيلِهم الكلام إذا جاء يعقب ما يقتضي سؤالًا، منزلته إذا صريح بذلك السؤالِ كثيراً **"**[٤] .

الثالثة: أن يكون بين الجملتين تباين تام، وذلك في صورتين: الأولى: اختلاف الجملتين، خبرا وإنشاء[٥]، نحو قوله تعالى: ﴿ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨]، والثانية: ألا يكون بينهما جامع معنوي يصحح العطف [٦]. وسموا ذلك كمال الانقطاع .

الرابعة: أنْ يكون بين الجملَتَيْن "شبْه كَمَالِ الانقطاع".وهذا يكون حينما تكون الجملة التالية مسبوقةً بجملَتَيْنِ يَصِحُّ عطفها على إحداهما، ولا يصحّ عطفها على الأخرى، لأنه يُفْسِدُ المعنى المقصود للمتكلم، فَيُتْركُ العطف، ويجب حنيئذٍ الفصل دفعاً لما قد يحدث من إيهام بالوصل بالواو.

الخامسة: أن تكون الجملتان متفقتين خبرا أو إنشاء، وبينهما رابطة قوية، ولكن يمنع من العطف مانع، وذلك بأن يكون للجملة الأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية. مثال ذلك قولهُ تعالى: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [البقرة: ١٤] ، الظاهر كما لا يخفى يقتضي أن يعطف على ما قبله من قوله {إنما نحن مستهزؤون}، وذلك أنه ليس بأجنبي مِنْه، بل هو نظيرُ ما جاءَ معطوفاً من قولهِ تعالى: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [النساء: ١٤٢] وقوله: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ} [آل عمران: ٥٤] ، وما أشبهَ ذلك مما يُرَدُّ فيه العَجُزُ على الصَّدر، ثم إنك تجدهُ قد جاءَ غير معطوف، وذلك لأمر أوجب أن لا يُعطَفَ، وهو

(١) الخطيب، **الإيضاح** [٣/ ١١١-١١٣]
(٢) الجرجاني، **دلائل الإعجاز** ٢٣٥/١
(٣) أبو موسى، **دلالات**، ص٣١٢
(٤) الجرجاني، **دلائل الإعجاز** ٢٣٥/١
(٥) المرجع السابق٢٣٣/١]
(٦) الخطيب،**الإيضاح** [١٠٥/٣-١٠٧]

أنَّ قوله: {إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ} ، حكاية عنهم أنهم قالوا، وليس يخبر من الله تعالى وقولُه تعالى: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} ، خبرٌ منَ الله تعالى أنه يجازيهم على كُفْرِهم واستهزائِهم. وإذا كان كذلك، كانَ العطفُ مُمتنعاً [(١)]. ويمكن تسمية ذلك (التوسط بين الكمالين) مع قيام المانع من الوصل .

ثانيا : قواعد الوصل

القاعدة الأولى: أن تكون العلاقة بين الجملتين متوسطة تماماً بين حالَتَيْ "كمالِ الانقطاع" و"كمال الاتصال".

ويُلاحظ هذا التوسط حينما تتفق الجملتان التالية والسابقة خبراً أو إنْشاءً، لفظاً ومعنىً، أو معنىً فقط، مع جامع يجمع بينهما، فتُعْطَفُ التالية على السَّابقة إلاَّ إذا أوهم العطفُ خلاف المقصود. كما في قوله تعالى: {إِنَّ الأبرار لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الفجار لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار: ١٣ - ١٤] .

القاعدة الثانية: الوصل ، مع صرف النظر عما بين الجملتين من كمال انقطاع، لأجل دفع إيهام السامع خلاف مراد المتكلم لولم يعطف، كقولنا: لا وأيدك الله [(٢)] .

---

(١) الجرجاني،**دلائل الإعجاز**،[١/٢٣١-٢٣٣]
(٢)الخطيب، **الإيضاح**، ص ١٢٧- ١٢٨

المطلب الثالث: الواو العاطفة، وخصائصها

كل بَاب فأصله شَيْء وَاحِد ثمَّ تدخل عَلَيْهِ دواخل لاجتماعها فِي الْمَعْنى ، والواو هي أصل باب العطف [(١)]، وتنفرد الواو عَن سَائِر أحرف الْعَطف بأحكام[(٢)]، أهمها:

- **الواو لمطلق الجمع**[(٣)]**أو العطف المجرد**[(٤)]، فيجوز أن يكون المبدوء به داخلاً في الحكم قبل الآخر، وأن يجتمعا في وقت واحد وجائز عكسهما[(٥)] إلا أن كَونها للمعية رَاجِح وللترتيب كثير ولعكسه قَلِيل[(٦)] .
- **أَنَّها تُفِيدُ الإشراك في الحكم في عطف المفردات وفي عطف الجمل التي لها محلٌّ من الإِعراب، لأنها مؤولة بالمفردات التي حلَّت محلّها**[(٧)].
- **أنّ الربط بها يتَطَلَّبُ مُنَاسبَةً معنوية بَيْنَ المعطوف والمعطوف عليه بها في عطف الجمل التي لا محلٌّ من الإِعراب تُسَوّغُ عند البلغاء هذا العطف**[(٨)].

---

(١) الواو المفردة انتهى مجموع ما ذكر من أقسامها إلى خمسة عشر، أهمها بالإضافة لواو العطف: واوان يرْتَفع مَا بعدهمَا : وَاو الِاسْتِئْنَاف نَحْو: {لنبين لكم ونقر فِي الْأَرْحَام مَا نشَاء} إِذْ لَو كَانَت وَاو الْعَطف لَا نتصب نقر. ووَاو الْحَال الدَّاخِلَة على الْجُمْلَة الاسمية نَحْو جَاءَ زيد وَالشَّمْس طالعة، والدَاخِلَة على الْجُمْلَة الفعلية، وواوان ينْتَصب مَا بعدهمَا، وهما: وَاو الْمَفْعُول مَعَه ك سرت والنيل، وَالْوَاو الدَّاخِلَة على الْمُضَارع الْمَنْصُوب لعطفه على اسْم صَرِيح أَو مؤول، وواوان ينجر مَا بعدهمَا : وَاو الْقسم و وَاو رب. [ابن هشام،**مغني اللبيب**:١/٤٦٣- ٤٨٢].
وعرف لمرادي واو الاستئناف، " ويقال: واو الابتداء، وهي الواو التي يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها، في المعنى، ولا مشاركة له في الإعراب. ويكون بعدها الجملتان: الاسمية والفعلية. فمن أمثلة الاسمية قوله تعالى " ثم قضى أجلاً، وأجل مسمى عنده ". ومن أمثلة الفعلية " لتبين لكم، ونقر في الأرحام ما نشاء. وواو الحال: وقدرها النحويون ب إذ، من جهة أن الحال، في المعنى، ظرف للعامل فيها. وتدخل على الجملة الاسمية، نحو: جاء زيد ويده على رأسه، وعلى الفعلية، إذا تصدرت بماض. الأكثر اقترانه ب قد، نحو: جاء زيد وقد طلعت الشمس. وتدخل على المضارع المنفي، ولا تدخل على المثبت " المرادي ، حسن بن قاسم (ت: ٧٤٩هـ)، **الجنى الداني في حروف المعاني**، (تحقيق:فخر الدين قباوة) دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م، [١/١٥٣- ١٧٣].
(٢) ذكر ابن هشام أن واو العطف تنفرد بخمسة عشر حكما، منها: أنها لمُطلق الْجمع، واقترانها بإما نَحْو: {إِمَّا شاكرا وَإِمَّا كفورا}،واقترانها ب (لا) إِن سبقت بِنَفْي وَلم تقصد الْمَعِيَّة نَحْو مَا قَامَ زيد وَلَا عَمْرو، ولتفيد أَن الْفِعْل منفي عَنْهُمَا فِي حالَتي الِاجْتِمَاع والافتراق، واقترانها بلكن نَحْو {وَلَكِن رَسُول الله}،وعطف مَالا يسْتَغْنى عَنهُ كاختصم زيد وَعَمْرو واشترك زيد وَعَمْرو وَهَذَا من أقوى الْأَدِلَّة على عدم إِفادتها التَّرْتِيب وَمن ذَلِك جَلَست بَين زيد وَعَمْرو،عطف الْعَام على الْخَاص وَبِالْعَكْسِ ، وعطف الشَّيْء على مرادفه نَحْو {إِنَّمَا أَشْكُو بثي وحزني إِلَى الله} ابن هشام،**مغني اللبيب** [١/٤٦٣-٤٦٩]
(٣) سيبويه،**الكتاب** :١/٣٨٦، حيث قال سيبويه:"وإنما جئت بالواو لتضم الآخر إلى الأول وتجمعهما. وليس فيه دليلٌ على أن أحدهما قبل الآخر." ، وينظر أيضا: ابن هشام،**المغني**١/٤٦٣
(٤) أبو موسى، **دلالات التراكيب**، ص ٣٣٩.
(٥) ابن هشام،**المغني**١/٤٦٣
(٦) ففي التسهيل : "وتنفرد الواو بكون متبعها في الحكم محتملًا للمعية برجحان، وللتأخر بكثرة، وللتقديم بقلة." [ابن مالك، **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، ص ١٦٦] ، الأشموني ، علي بن محمد (المتوفى: ٩٠٠هـ) ، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك** ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ط١، ١٩٩٨مـ عدد الأجزاء ٤ [٢/٣٦٣]
(٧)الجرجاني،**دلائل الإعجاز**،[ص ٢٢٢-٢٢٣]
(٨)المرجع السابق،[ص ٢٢٥]

- **دلالتها على التغاير والتمايز والاستقلال بين المعطوفات**(١). ولأجل ذلك نراها تدخل في :

- عطف الصِّفَات لموصوف واحد، سواء كانت صفات متضادة أم غير متضادة ، للدلالة على الكمال في كل صفة لما في عطفها من معنى المغايرة الدالة على استقلالية وأهلية كل منها في ذاتها حسنا أو قبحا نحو قول الله تعالى: ﴿ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧] . قال الزمخشري: "والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها "(٢) .

فالأصل أن تترادف الصفات من غير الواو، لأن الصفة جارية مجرى الموصوف لاتحاد الذات فكأنها تكرار لذكره وهي من هذا الوجه لا تعطف، ولكنها لما كانت دالة على معنى غير الذوات جاز العطف لتغاير هذه المعاني (٣).

ففي الآية السابقة جاءت الواو للدلالة على فضل حفاوة بكل صفة أي كمال اتصاف الموصوف في كل واحدة من الصفات، وترادف الصفات من غير واو في قوله تعالى ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١٢] للإشارة إلى أنهم الجامعون لهذه الخصال (٤) .

فـ " الواو أشارت إلى أنهم كاملون في كل واحدة على حدة ، وسقوطها أشار إلى أنها مجتمعة فيهم، وكأنها صفة واحدة، وهذا أصل مهم راجع إلى معنى التغاير في الواو (٥). وقال الزمخشري في سر مجيء مجيء الواو في آية التحريم: " فإن قلت: لم أخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والأبكار؟ قلت: لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات"(٦).

---

(١) ابن هشام، **المغني**/١ ٤٦٥ ، الزمخشري، جار الله ، محمود بن عمرو ، (المتوفى: ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣ سنة ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: ٤ [٣٤٣/١].

(٢)، الزمخشري،الكشاف ٣٤٣/١ ، وينظر أيضا ابن هشام،**المغني**٤٦٥/١

(٣) العلوي،**الطراز** ٢٠/٢ . قال العلوي : "ويجوز عطف بعضها على بعض [أي الصفات لموصوف واحد] باعتبار المعانى المعانى الدالة عليها، فلهذا تقول: مررت بزيد الكريم، والعاقل، والعالم، باعتبار ما ذكرناه، كأنك قلت. مررت بشخص اجتمع فيه الكرم، والعقل، والعلم، فقد اجتمع فى الصفة دلالتها على ذات الموصوف ودلالتها على معنى فى الذات، فلأجل تلك المعانى التى تدل عليها جاز فيها العطف، ولأجل كونها دالة على الذات قل فيها عطف بعضها على بعض، وتعذر عطفها على الموصوف"، أبو موسى، **دلالات التراكيب** ص ٢٧٩

(٤) الزمخشري، **الكشاف** ج١ ص ٢٤٦

(٥) أبو موسى، **دلالات التراكيب** ، ص ٢٧٩

(٦) الزمخشري،**الكشاف**[٥٦٧/٤]

وأحيانا يحسن دخولها بين الصفات المتضادة في معناها لرفع توهم استبعاد اجتماعها في ذات واحدة[(١)] .

– بين الصفة والموصوف، وهوعلى خلاف الأصل لاعتبار الصفة والموصوف شيئا واحدا لا يعطف بينهما، فلا تقول: جاء زيد والكريم،على أن الكريم هو زيد، لاستحالة عطف الشيء على نفسه [(٢)]. وإنما سوغ الدخول لغرض بلاغي هو فضل حفاوة بالصفة بالإشعار باستقلالها عن سابقتها والإيهام بأنها شيء آخر لمعنى التغاير الذي لا يبرح الواو،نحو قوله تعالى ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾[الكهف:٢٢].

فجملة ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ صفة للنكرة وقد دخلت عليها الواو لإفادة قوة لصوق هذه الصفة بالموصوف فآذنت بثبات هذه الصفة وصوابها، وأشارت إلى أن الذين قالوا هذا القول أصدروا رأيهم عن ثبات وعلم وطمأنينة نفس كما قال الزمخشري[(٣)]. وثبات لصوق الصفة بالموصوف وتأكيدها جاء من شوب معنى التغاير الذي لا يفارق الواو ويشير إلى فضل حفاوة بهذه الصفة.

ومثال آخر للواو بين الصفة وموصوفها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، فالفرقان معطوف على الكتاب، ولو أسقطت الواو لكان صفة ولكن معنى التغاير الذي لا يبرح الواو أوهم أنه شيء آخر ، وذلك ليبرز صفة كونه فرقانا، وكأنه بها يستقل عن سابقه [(٤)].

– بين الشيء ومرادفه في الظاهر [(٥)]، للتفكر في الفروق الدقيقة بين هذه المترادفات ظاهرا ، تلك الفروق التي تخرجها عن دعوى الترادف وتعطيها تمايزها واستقلالها بما دل عليه عطفها بالواو من

(١) العلوي،**الطراز**: ٢١/٢ قال العلوي: " وإنما جاءت معطوفة فى قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديد: ٣] لأنها متضادة المعانى فى أصل موضوعها، فلهذا جاءت الواو رافعة لتوهم من يستبعد ذلك فى ذات واحدة؛ لأن الشىء الواحد لا يكون ظاهرا باطنا من وجه واحد، فلأجل هذا حسن العطف ... ومنه قوله تعالى ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ﴾ [التوبة: ١١٢] إلى آخرها بغير واو، وقال فى آخرها ﴿ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ١١٢] لما كانت هاتان الصفتان متضادتين، فلا جرم وجب فيهما العطف كما ترى " ، وفي دلالات:٢٨٠ ، ذكر أبو موسى أن هذا الدخول للواو بين الصفات المتضادة ليس على سبيل الوجوب خلافا لما قد يفهم من كلام العلوي عندما يقول: "فلا جرم وجب فيهما الواو" واستشهد بالشعر على مجيء ذلك من غير واو.

(٢) العلوي،**الطراز** ٢/ ٢٠

(٣) الزمخشري،**الكشاف**: ٧١٤/٢ قال : "وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا: سبعة وثامنهم كلبهم، قالوا عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم. والدليل عليه أنّ الله سبحانه أتبع القولين الأولين قوله رَجْماً بِالْغَيْبِ وأتبع القول الثالث قوله ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ وقال ابن عباس رضى الله عنه: حين وقعت الواو انقطعت العدّة، أى: لم يبق بعدها عدّة عادّ يلتفت إليها. وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات."

(٤) أبو موسى، **دلالات التراكيب**:٢٧٨-٢٧٩

(٥) ابن هشام،**المغني**١/ ٤٦٧

معنى المغايرة بينهما، نحو قوله تعالى﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦] وَ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة: ١٥٧] وَنَحْو﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [طه: ١٠٧] .

- **العطف بين المتباعدين في المنزلة للإفراغ من معنى أعلاها على أدناها فيستشرف إلى منزلة أعلى** [١] .

فيحدث عطاء من الكلمة ذات السخاء للكلمة التي هي دون ذلك فيتجاوز العطف فكرة التشريك في الحكم إلى أن تفرغ الكلمات من مضموناتها وفيوضاتها على غيرها كما في قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [النساء: ١] فعطف الأرحام على ضمير ذي الجلالة أشعر أنها عنده بمكان، ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقد يؤتى بالمعطوف عليه لهذا الغرض خصوصا، وأنه ليس مقصودا بالحكم الواقع عليه، كقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات: ١]، وكقوله : ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ [النمل:١٨] [٢].

- **انفراد الواو بدخولها على بعض حروف العطف الأخرى لأنها أصل العطف**[٣]

مثل "إما" نَحْو ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣] و "لا" إن سبقت بِنَفْي وَلم تقصد الْمَعِيَّة نَحْو (مَا قَامَ زيد وَلَا عَمْرو) ولتفيد أَن الْفِعْل منفي عَنْهُمَا فِي حالتي الِاجْتِمَاع والافتراق وَمِنْه ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾ [سبأ: ٣٧] والعطف حِينَئِذٍ من عطف الْجمل عِنْد بَعضهم على إِضْمَار الْعَامِل وَالْمَشْهُور أَنه من عطف الْمُفْردَات - والكلام لابن هشام ويؤيده الباحث -و "لكن" نَحْو ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

---

(١) أبو موسى، **دلالات التراكيب** ، ص ٢٧٥
(٢) المرجع السابق ص ٢٧٥-٢٧٦
(٣) ابن هشام، **المغني** ١/٤٦٤-٤٦٥

المطلب الرابع : تصنيف عطف الجمل بالواو

سبق قول الرازي: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط "[(١)]. وهذه الترتيبات والروابط تأتي داخل الجملة القرآنية وخارجها ، فما كان منها داخل الجملة يأتي على صورتين [(٢)]:

أولا:- بتقديم أحد جزئي الجملة على الآخر، والكلام فيه على قسمين:

- إما بتقديم الخبر على المبتدأ سواء أكان مفردا أو جارا ومجرورا أو ظرفا.
- وإما بتقديم المبتدأ على الخبر سواء أكان هذا الخبر فعلا أو اسما.

ثانيا:- بالتقديم في المتعلقات، والكلام فيه على قسمين أيضا :

- إما بتقديم المتعلقات على العامل
- وإما بتقديم بعض المتعلقات على بعض.

وما كان منها خارج الجملة، يأتي إما بين الجمل القرآنية أو الآيات أو المقاطع أو السور .

وهذه الروابط والترتيبات التي تكون بين الجمل خاصة – موضوع الدراسة- نجدها على صورتين [(٣)]:

- بحث الترتيب بين الجمل في العطف
- بحث الترتيب بين الجمل في التعدد بأنواعه الثلاثة: تعدد الأخبار والنعوت و الأحوال.

وقد قسم عبد القاهر ترتيب الكلام باعتبار الجزء المقدم منه إلى نوعين[(٤)] :

أ- **تقديم على نية التأخير**، وعبر عنه الزركشي[(٥)] بـ " التقديم وَهُوَ فِي الْمَعْنَى مُؤَخَّرٌ " ، ويسمى أيضا التقديم المعنوي[(٦)]، ويكون فيه المقدم باقيا على حكمه وإعرابه قبل التقديم.

وهذا القسم يشمل[(٧)] : تقديم المسند الذي هو خبر المبتدأ وخبر كان وإن وأخواتها وتقديم متعلقات المسند المسند سواء أكان الخبر في الجملة الاسمية أو الفعل في الجملة الفعلية، ونعني بالمتعلقات: المفعولات، والظرف، والجار والمجرور.

---

(١) تقدم ذكره ص ١ من هذه الأطروحة.
(٢) أبو موسى :**البلاغة القرآنية**،ص ٣٣٦
(٣)عون، علي أبو القاسم ، **بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، دار المدا الإسلامي، ط ٢٠٠٣،١،ج٣ص٩٣١
(٤)الجرجاني،**دلائل الإعجاز** :١٠٦/١-١٠٧
(٥) الزركشي،**البرهان**،٢٣٨/٣
(٦)عون، **بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم** ص ٦٣، قال : فالذي يتحقق فيه التقديم بالنقل والتحريك مع اعتبار الوضع الاعرابي السابق هو تقديم معنوي، والذي يفقد وضعه الإعرابي السابق هو تقديم لفظي.
(٧) المصدر السابق ص ٧٠

ب- **تقديم لا على نية التأخير**، وعبر عنه الزركشي[١]بالتقديم والمعنى عليه ويسمى أيضا التقديم اللفظي[٢]، فهذا القسم المقدم فيه يزول حكمه الأصلي قبل التقديم ويصير له حكم آخر بالتقديم.

ويشمل هذا القسم: كل اسمين يحتمل كلٌّ واحدٍ منهما أَنْ يكونَ مبتدأً ويكونُ الآخرُ خبراً له، فعلى فرض المؤخر هو الخبر يصبح بالتقديم المبتدأ ويصبح المقدم الذي افترض أنه المبتدأُ الخبرَ بتأخيره، كقولنا مرة: "زيدٌ المنطلقُ"، وأُخرى، "المنطلقُ زيدٌ"[٣]. ويشمل أيضا نحو قولنا: "ضَربتُ زيداً" و "زيد ضربتُه"، فلم فلم تُقدِّم "زيداً" على أن يكون مفعولاً منصوباً بالفعل كما كان، ولكن على أن تَرْفَعه بالابتداءِ، وتشغلَ الفعلَ بضميرِه، وتجعلَه في موضع الخبر له[٤]. ومن هذا القسم : التقديم بين المعطوفات والتقديم في المتعددات من الأخبار أو النعوت أو الأحوال[٥] .

مما تقدم نخلص إلى أن ما نحن بصدد بحثه من لطائف الترتيب بين الجمل المتعاطفة بالواو هو من قسم التقديم الذي لا على نية التأخير على حد تعبير عبد القاهر أو مما قدم والمعنى عليه على حد تعبير الزركشي.

---

(١) الزركشي،**البرهان**،٣/٢٣٨
(٢)مرجع سابق
(٣) الجرجاني،**دلائل الإعجاز** :١/١٠٦-١٠٧ بتصرف
(٤)مرجع سابق
(٥)عون، **بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم** ص٧٠، ١٠٦-١١٩

الفصل الأول

بلاغة الترتيب بين الجمل المتعاطفة بالواو

التمهيد

المبحث الأول: الترتيب بين الجمل الخبرية

المبحث الثاني: الترتيب بين الجمل الإنشائية

التمهيد

يمكن أن أمهد بين يدي هذا الفصل بجملة من النقاط أجملها فيما يلي:

أولا: إن قولنا: " العطف بالواو لا يوجب ترتيبا" [(١)] نعني به أنه لا يوجب ترتيبا زمانيا، لا أن الكلام غير مرتب على الإطلاق. فالقول إن الواو لا توجب ترتيبا لأنها لمجرد الجمع، والبناءعلى ذلك جواز التقديم والتأخير للمتعاطفات بها كيفما اتفق، ومحاولة إضفاء القبول على ذلك بالقول: إن ذلك من التفنن في التعبير، واعتماد ذلك في تعليل ما جاء من الكلام غير مرتب زمانيا، كل ذلك مما لا يرتضيه الباحث خصوصا في القرآن الكريم، فلا بد من تكلف عناء البحث في مقتضيات ترتيب كل ما جاء معطوفا بالواو سواء أكان مرتبا زمانيا أم غير مرتب، لأن ما جاء مرتبا زمانيا هو أيضا قد يضم مقتضيات أخرى لترتيبه جنبا إلى جنب مع ملحظ التقديم لسبق الزمان.

وكما أن أعظم مواقع "الفاء" و "ثم" ما جازت فيه معانيها الوضعية إلى معان أخرى، تكسوها رداء الزمن، وتفيض عليها من البعد الحسي ما ينفخ في روحها، ويملؤها حركة ونماء [(٢)]، كذلك أرى أن أعظم مواقع الواو ما جاء الترتيب بها لدواع بلاغية غير السبق الزماني.

إن إغفال البحث في تلك الدواعي والتعلل بعبارات ك "الواو لا تفيد ترتيبا" أو "التفنن في التعبير " ، لا يوفي حق كتاب الله علينا في الكشف عن روافد إعجازه وتجليتها للخلق.

ثانيا: إن تقديم أحد الشيئين على الآخر في الكلام بشكل عام يكون للعناية والاهتمام بالمقدم[(٣)]، وهذا أصل عظيم يجب الاعتناء به لعظم منفعته في كتاب الله تعالى، ولكنه كلام مجمل يحتاج إلى بسط وتبيين، فيقال: متى يكون أحد الشيئين أحق بالتقديم ويكون المتكلم ببيانه أعنى؟ وما الحكمة في تقديم ما قدم في القرآن وتأخير ما أخر؟. فلا يكفي أن يقال : التقديم يكون لما هو أولى وأهم دون تبيين تلك الأهمية وتحديدها[(٤)].

---

(١) ينظر في الواو وخصائصها في هذا الفصل التمهيدي ص ٣٢ .

(٢)الأمين الخضري، محمد، **من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم"الفاء وثم"**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢ ،٢٠٠٧م [ص ١٨٦]

(٣) سيبويه،**الكتاب**: ٣٤/١، قال سيبويه: " يقدمون في كلامهم الذي بيانه أهمُّ لهم وهُمْ ببيانه أَعْنَى وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم"اه.

(٤) الجرجاني، **دلائل الإعجاز**،ص ١٠٨.

وقد اهتم البلاغيون ببيان أوجه هذه العناية والاهتمام في المتقدم ، فذكروا اعتبارات بلاغية لتقديمه كالتقديم للسببية أو للسبق الزمني في الوجود أو للرتبة أو للشرف والفضل أو للكثرة والغلبة وغير ذلك من الاعتبارات التي أشار الزركشي إلى كثرتها عندما تحدث عن مقتضيات نوع التقديم والمعنى عليه، وعدد منها خمسا وعشرين على سبيل المثال لا الحصر(١).

ثالثا: يرى الباحث أن هناك موقعا آخر في الكلام يمكن أن يعكس العناية والاهتمام غير موقع التقدم في الكلام، وهو موقع التوسط فيه. وقد جاء في المثل: "خير الأمور أوساطها"(٢) ، إلا أنه يأتي في الأهمية بعد موقع التقدم، لأنه أخص منه، فهو يتطلب كلاما مركبا من ثلاثة أجزاء على الأقل : متقدم ومتوسط ومتأخر. كما أنه لا يظهر أهميته في كل توسط ولا في أكثره ، لأن أكثر التوسط يكون ترتيبه طبيعيا، بحيث يشكل مع المتقدم والمتأخر ترقيا أو تدليا في الترتيب.

إن التوسط الذي أتحدث عنه هو توسط مخصوص يمكن أن أسميه: التوسط بين الشجر ولحائه . ووجوده لا يقتصر على عطف الجمل، فقد جاء في عطف المفردات أيضا ، منه على سبيل المثال توسط الكفر بالله بين الصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، و الكفر المتوسط - وهو في الأصل تأخير من تقديم، لأن أصل الترتيب (وكفر به وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام)- للتنبيه بهذا الفصل وبهذا الموقع المتوسط على أنه أعظم ما اقترفوه، فليس بعد الكفر ذنب. والدليل على أنه من التوسط بين الشجر ولحائه مجيء الصد عن سبيل الله موصولا بالمسجد الحرام بدون فاصل، وتقدم الكفر عليهما بترتيب طبيعي، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [الحج: ٢٥]. وقد يأتي كذلك في الجملة المعترضة بين الجمل، نحو توسط الجملة المعترضة: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥] .

---

(١) الزركشي،**البرهان**،٣/ ٢٣٨

(٢) الميداني، أحمد بن محمد (ت: ٥١٨هـ)، **مجمع الأمثال** ، (تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد)، نشر دار المعرفة - بيروت، لبنان عدد الأجزاء: ٢ [٢٤٣/١]

رابعا: سوف أبحث في عوامل أراها مؤثرة في ترتيب الجمل بشكل عام، هي:

- **النظر في دلالة معنى المتعاطفات بمعزل عن السياق وأثر المتكلم**، لمعرفة ما جاء منها مرتبا ترتيبا طبيعيا وعلى الأصل حسب معايير مقررة سلفا في الترتيب.

فقد ينظر هنا إلى دلالة التركيب اللغوي بمعزل عن السياق وغرض المتكلم كما فعلوا في تعريف الخبر، قال الكفوي: "الْخَبَر هُوَ الكَلام الَّذِي يقبل الصدْق وَالكذب لأجل ذاته، أَي لأجل حَقِيقَته من غير نظر إِلَى المخبر والمادة الَّتِي تعلق بهَا الكَلام، كَأن يكون من الأُمُور الضرورية التِي لا يقبل إِثبَاتهَا إلا الصدْق وَلَا يقبل نَفيهَا إِلا الْكَذِب، فقول غير مَعْصُوم: فلان من أهل الجنَّة وفلان من أهل النَّار يحْتَمل الصدْق وَالكذب مُطلقا، سَوَاء نَظرنَا إِلَى صُورَة نسبته أو إِلى مادته وَمَعْنَاهُ، أَو إِلَى الْمُتَكَلم بِهِ، وأخبار الله وَرَسُوله إِذا نَظرنَا إِلَى حقائقها اللغَوِيَّة وقطعنا النّظر عَمَّا زَاد على ذَلِك نجدها لمُجَرّد صورتهَا تقبل الِاحْتِمَال، أما إِذا نَظرنَا إِلَى زَائِد على ذَلِك وَهُوَ كَون المخبر بهَا هُوَ الله المنزه وَرَسُوله المَعْصُوم من الْكَذِب عقلا فَحِينَئِذٍ يتحتم لهَا الصدْق لا غير" (١). " كأنهم يريدون عزل العبارة عن ما يحيط بها من تأثيرات، وأن يحكموا عليها في حدود ما ينطوي عليه مدلولها، فقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة:٢]، نقول فيه أنه يحتمل الصدق والكذب مع اعتقادنا أنه صادر من معدن الحق، وكذلك في الجهة المقابلة نقول إن قول مسيلمة الكذاب: "إنما بعث محمد في عظائم الأمور وبعثت في محقراتها"، فهذا يقال فيه : كلام يحتمل الصدق والكذب مع أنه صادر من معدن الكذب والافتراء "(٢).

وقد بحث السهيلي في أصول ذلك التقديم، فقال: " ما تقدم من الكلام فتقديمه في اللسان على حسب تقدم المعاني في الجنان. والمعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء: إما بالزمان، وإما بالطبع، وإما بالرتبة(٣)، وإما بالسبب وإما بالفضل والكمال. فإذا سبق معنى من المعاني إلى الخلد والفكر بأحد هذه الأسباب الخمسة، أوبأكثرها سبق اللفظ الدال على ذلك المعنى السابق، وكان ترتيب الألفاظ بحسب ذلك ، نعم، وربما كان

---

(١)الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** ، تحقيق عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت:٤١٥/١.

(٢) أبو موسى، **دلالات التراكيب** ص ١٩٦

(٣)الرُّتْبَةُ في اللغة: الْمَنْزِلَةُ وَالْمَكَانَةُ وَالْجَمْعُ رُتَبٌ[المعجم الوسيط[٣٢٦/١]. وعرف الرازي التقدم بالرتبة - عند ذكره الوجوه المعقولة لتَقَدُّم الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ - فقال: " وَهُوَ إِمَّا [تقدم] مِنْ مَبْدَأٍ مَحْسُوسٍ كَتَقَدُّمِ الْإِمَامِ عَلَى الْمَأْمُومِ، أَوْ مِنْ مَبْدَأٍ مَعْقُولٍ، وَذَلِكَ كَمَا إِذَا جَعَلْنَا الْمَبْدَأَ هُوَ الْجِنْسَ الْعَالِي، فَإِنَّهُ كُلَّمَا كَانَ النَّوْعُ أَشَدَّ تَسَفُّلًا كَانَ أَشَدَّ تَأَخُّرًا، وَلَوْ قَلَبْنَاهُ انْقَلَبَ الْأَمْرُ " الرازي،التفسير الكبير[٤٤٤/٢٩]، وفي حاشية الشهاب: " التقدم بالرتبة وهو ما كان أقرب من مبدأ محدود كصفوف المسجد بالنسبة إلى المحراب ". ينظر: شهاب الدين ، **حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي** [٨/٢].

ترتيب الألفاظ بحسب الخفة والثقل لا بحسب المعنى... ومن هذا النحو " الجن والإنس "، فإن الإنس أخف لفظاً لمكان النون، الخفيفة والسين المهموسة، فكان (تقديم) الأثقل أولى بأول الكلام من الأخف لنشاط المتكلم وجماحه. وأما في القرآن فلحكمة أخرى سوى هذه قدم الجن على الإنس في الأكثر والأغلب" (١).

وأوسع من بحث في أسباب الترتيب في العطف بالواو - فيما وجدت- كان الإمام الزركشي حيث أشار إلى أن مقتضيات نوع التقديم والمعنى عليه كثيرة وعدد منها خمسا وعشرين(٢) .

- **النظر في دلالة السياق**، والسياق القرآني هو " تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال "(٣).

والمقصود من "تتابع المعاني": ترابط المعاني الفرعية لخدمة المعنى الأصيل الوارد ذكره في السورة أو المقطع. و"انتظامها": أي إن هذه المعاني تسير سيرا منتظما مقصودا من قبل المتكلم، غير مشتتة ولا مبعثرة. و"في سلك الألفاظ القرآنية": باعتبار أن اللفظ القرآني هو الحامل للمعاني، وبه تظهرصورتها. و"لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المقصود": الغاية الأصيلة للسياق القرآني هي إعطاء معنى تام كامل يؤدي الغرض الذي لأجله أنزل القرآن، فكان لا بد لهذه المعاني المتتابعة من إبرازه وتوضيحه. و"دون انقطاع": أي:من غير انقطاع المعاني التي تتحدث عنها الآيات، فلا يصح أن تقف الآيات رأسا دون أن تكتمل المعاني وتتجسد للرائي. و"دون انفصال": أي: دون أن يكون هناك فاصل أجنبي، من غير أن يكون له داع، أو ارتباط بموضوع الآيات(٤).

ويتنوع السياق من حيث العموم والخصوص إلى: سياق السورة، وسياق المقطع، وسياق الآية (٥) .

وسياق الآية – وهو الأخص- ينقسم من حيث الترجيح السياقي إلى: ترجيح بسباق الآية، وترجيح بلحاقها، وترجيح بهما معا(٦).

---

(١)السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت: ٥٨١هـ)، **نتائج الفكر في النَّحو** ، دار الكتب العلمية – بيروت ط١، ١٤١٢ - ١٩٩٢ م عدد الأجزاء: ١، [٢٠٩/١-٢١٠]
(٢) الزركشي،**البرهان**،٣/ ٢٣٨ - ٢٨٣
(٣) المثنى عبد الفتاح محمود، **نظرية السياق القرآني:دراسة تأصيلية دلالية نقدية**، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط١، ٢٠٠٨م [ص ١٥]
(٤) المرجع السابق، [ص ١٦]
(٥)المرجع السابق .
(٦)ينظر المثنى، عبد الفتاح ، **نظرية السياق القرآني** [ص ١١٦] .

ودلالة السياق بأنواعه كلها اعتبار مؤثر في ترتيب الكلام، وهذا الاعتبار لا يختص عند وجوده ببيان مقتضى التقديم، بل يبين كذلك في بعض السياقات مقتضى التأخير، وفي بعضها الآخر يبين مقتضى التقديم والتأخير معا ومعهما التوسط - إن وجد - وذلك عندما نجد ترتيب المتعدد من المتعاطفات يتناسب مع ترتيب متعدد آخر في السياق .

وممن أشار إلى دلالة السياق وأثره في ترتيب الكلام الإمام الزركشي ضمن حديثه عن مقتضيات نوع التقديم والمعنى عليه(١)، لكنه اقتصر على دلالة السياق على التقديم.

ويختلف مستوى النظر في السياق في هذا الفصل عن الذي يليه: ففي هذا الفصل يغلب الاقتصار على النظر في السياق القريب والأخص بموضع الشاهد أعني : سياق الآية ، وسياق المقطع على أوسع تقدير، لوجود ضالتي - أي المناسبة التي أبحث عنها- في السياق القريب في الأعم الغالب .

في حين احتجت إلى النظر الأوسع في السياق من كل جوانبه، فيما يتعلق بتوجيه التغاير في الترتيب في متشابه النظم - موضوع الفصل الثاني - لدقته وصعوبة مسلكه.

- **النظر في غرض المتكلم**، لأن الناظم أي المتكلم قد يعمد إلى التصرف في الترتيب والإتيان به على نحو ما، لإيصال الغرض الذي يتوخاه من خلال هذا الترتيب ، وقد يكون هذا الغرض متعلقا به بتقديم الأهم عنده أو متعلقا بالمتلقي بتقديم الأهم عنده أو متعلقا بالتركيب نفسه بتقديم الأهم الذي يراه هو كذلك، ولو جاء على خلاف الترتيب الطبيعي.

قال حبنكة:" وعلى دارس النصّ البليغ أن يبحث ليكتشف ما دَعا منشيء الكلام إلى أن يقدّم وأن يؤخّر. ولا سيما حينما يأتي الترتيب على خلاف الأصل، أمّا إذا جاء الترتيب على وفق الأصل فيحسنُ أن لا يتعب نفسه بالبحث عن العلة، إلاّ أن يكتشف عَرَضاً داعياً مناسباً، فعندئذٍ يمكن أن يجعله عاملاً مرجّحاً لإبقاء الشيء على أصله. فمن الدواعي هنا ما يلي: الداعي الأول: أن يكون ذكر المقدّم أهمّ في نظر منشيء الكلام لغايةٍ ما يَرْمي إليها. الداعي الثاني: مراعاة الترتيب الطبيعي في المعاني... " (٢).

---

(١) الزركشي،**البرهان**،٣/ ٢٦٢
(٢)حبنكة،**البلاغة العربية** [١/٣٩٠-٣٩١]

ويتبين مما سبق أن النظر في ترتيب الكلام هو ملتقى الدراسات النحوية والبلاغية : فالنظر في السياق وغرض المتكلم هما محط نظر صاحب المعاني ، والنظر في الأصول المقررة في الترتيب كتقديم السبب على المسبب والترتيب بالسبق الزماني إلى ما هنالك هو محط نظر النحوي.

وهذا التفريق هو ما ذهب إليه الدكتور أحمد العلوي: " وإنما هناك علاقة بين مستويين من التحليل النحوي الذي ينظر إلى الإنتاج اللغوي مستقلا عن المتكلمين ، ويدرس فيه المسلك الشائع العام، والتحليل النظمي (علم المعاني) الذي يدرس الإنتاج اللغوي من جهة كونه في جانب فيه راجع إلى قدرات المتكلمين واختياراتهم، فهو بحث في العلم اللغوي الخاص بالمتكلم" [١].

وبنحو ذلك فرق السكاكي بين حدي: علم النحو وعلم المعاني[٢] . فالنحو عنده يهتم بالتراكيب من جهة أدائها أصل المعنى، أما علم المعاني فيهتم بخواص التراكيب من جهة مراعاتها لمقتضى الحال بما فيه من مقام وناظم للكلام ومتلقي له.

وبناء على ما سبق يمكن أن يكون تقسيم هذا المبحث والذي يليه كما يلي:

المطلب الأول: الترتيب بدلالة المعنى

المطلب الثاني: الترتيب بدلالة السياق

المطلب الثالث: الترتيب بدلالة غرض المتكلم

المطلب الرابع: تعدد اعتبارات الترتيب في الموضع الواحد

(١)العلوي،أحمد،**الطبيعة والمثال**، مسائل في الإسلام والمعرفة، الشركة المغربية للناشرين المتحدين،الرباط، **ص**:٢٣١
(٢) السكاكي، مفتاح العلوم. حيث بين حدي علم النحو وعلم المعاني ، فحد علم النحو " أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية " ٧٥/١ . وحد علم المعاني: ""هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره وأعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة وهي تراكيب البلغاء ... وأعني بخاصية التركيب ما يسبق منه على الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له لكونه صادرا عن البليغ لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو أو لازما له هو حينا وأعني بالفهم فهم ذي الفطرة السليمة...". ١٦١/١

المبحث الأول: الترتيب بين الجمل الخبرية

المطلب الأول: ترتيب المتعاطفات بدلالة المعنى

المطلب الثاني: ترتيب المتعاطفات بدلالة السياق

المطلب الثالث :ترتيب المتعاطفات بدلالة غرض المتكلم

المطلب الرابع: تعدد اعتبارات الترتيب في الموضع الواحد

المطلب الأول: ترتيب المتعاطفات بدلالة المعنى

من الجمل الخبرية المعطوفة بالواو ما يأتي ترتيبها طبيعيا على حسب معايير واعتبارات معقولة مقررة في الترتيب.

من هذه الاعتبارات:

- **التقديم للسبق الزمني في الإيجاد والحدوث**

من أعرق اعتبارات الترتيب – ولعله أعرقها- الترتيب بتقديم الأسبق في زمن الإيجاد أو الحدوث.

ومن ذلك ما يأتي في سرد القصص والأحداث كقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ [النساء: ١٥٤]، فقد أشارت الآية إلى ثلاثة أحداث من تاريخ بني إسرائيل بتسلسل زماني .

وكقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٦]، فهذه منن ثلاث أكرم الله بها المهاجرين إلى المدينة بالترتيب الزمني في الحدوث، فأولا: نعمة الإيواء في المدينة، فالانتصار على الكفار في بدر، فالتوسعة عليهم بعد ذلك بالغنائم وغيرها .

وكقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [الأنفال: ٧٢]، فالمقصود بما في حيز الصلة الأولى المهاجرون: آمنوا فهاجروا فجاهدوا، والمقصود بالصلة الثانية الأنصار:آووا إخوانهم المهاجرين في مدينتهم ونصروهم بعد ذلك على أعدائهم.

وهناك صور روعي في ترتيبها هذا الاعتبار، تحتاج إلى مزيد تدبر وإمعان نظر،منها:

- السبق في وجوب الأداء، كما هو الحال في تقديم لعان الزوج زوجته على لعان المرأة زوجها ، وهو ظاهر الآيات: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [النور: ٦ - ٩].

قال الكاساني: "وَإِنَّمَا بُدِئَ بِالرَّجُلِ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إلا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ} [النور: ٦]، وَالْفَاءُ لِلتَّعْقِيبِ فَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ لِعَانُ الزَّوْجِ عَقِيبَ الْقَذْفِ فَيَقَعُ لِعَانُ الْمَرْأَةِ بَعْدَ لِعَانِهِ. وَكَذَا رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ اللِّعَانِ وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يُجْرِيَ اللِّعَانَ عَلَى ذَيْنَك الزَّوْجَيْنِ بَدَأَ بِلِعَانِ الرَّجُلِ وَهُوَ قُدْوَةٌ؛ لِأَنَّ لِعَانَ الزَّوْجِ وَجَبَ حَقًّا لَهَا؛ لِأَنَّ الزَّوْجَ أَلْحَقَ بِهَا الْعَارَ بِالْقَذْفِ فَهِيَ بِمُطَالَبَتِهَا إيَّاهُ بِاللِّعَانِ تَدْفَعُ الْعَارَ عَنْ نَفْسِهَا وَدَفْعُ الْعَارِ عَنْ نَفْسِهَا حَقُّهَا وَصَاحِبُ الْحَقِّ إذَا طَالَبَ مَنْ عَلَيْهِ الْحَقُّ بِإِيفَاءِ حَقِّهِ لَا يَجُوزُ لَهُ التَّأْخِيرُ كَمَنْ عَلَيْهِ الدَّيْنُ فَإِنْ أَخْطَأَ الْحَاكِمُ فَبَدَأَ بِالْمَرْأَةِ ثُمَّ بِالرَّجُلِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُعِيدَ اللِّعَانَ عَلَى الْمَرْأَةِ؛ لِأَنَّ اللِّعَانَ شَهَادَةٌ وَالْمَرْأَةُ بِشَهَادَتِهَا تَقْدَحُ فِي شَهَادَةِ الزَّوْجِ فَلا يَصِحُّ قَبْلَ وُجُودِ شَهَادَتِهِ؛ وَلِهَذَا فِي بَابِ الدَّعَاوَى يُبْدَأُ بِشَهَادَةِ الْمُدَّعِي ثُمَّ بِشَهَادَةِ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ بِطَرِيقِ الدَّفْعِ لَهُ كَذَا هَهُنَا" (١).

ومن السبق في وجوب الأداء : وجوب تحصيل ما هو شرط مسبق لغيره ، كوجوب استغفار المنافقين عن ذنوبهم قبل حصول الانتفاع باستغفار الرسول لهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] .

فاستغفار الرسول- صلى الله عليه وسلم- لهم دون مبادرتهم التوبة والاستغفار لا يكفي كما قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠].

- السبق في لغة الجسد، كما في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس: ١] ، حيث ذكر العبوس أولا، وهو كذلك في الوقوع ، وهو أخف حركات الإعراض على الإطلاق، تلاه أشد حركاته وهو التولي.

وفي آيات أخرى ذكر ما يكون من تضاعيف الحركات الدالة على الإعراض، والتي تلي العبوس في التصعد في الشدة، نحو قوله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥] ، وقوله: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٣]، و قولـه: ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [المعارج: ١٧].

(١) ينظر: الكاساني ، أبو بكر بن مسعود ، (ت: ٥٨٧هـ)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، دار الكتب العلمية ،ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، عدد الأجزاء: ٧، [٢٧٣/٣]

فنفهم من الآيات الثلاث أن اللي يحدث أولا، فالصد: أي الإعراض بالوجه (١) ، فالنأي: أي الإعراض بالجانب، فالإدبار أي إعطاء الظهر، فالتولي أي الانصراف. وقد أشار حبنكة إلى مراتب عدم الاستجابة لدعوة الداعي في الذكر الحكيم (٢).

- التدرج في ذكر أحوال النفس على حسب الترتيب في الواقع، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود: ٧٧] ، قال ابن عاشور: "وَمِنْ بَدِيعِ تَرْتِيبِ هَذِهِ الْجُمَلِ أَنَّهَا جَاءَتْ عَلَى تَرْتِيبِ حُصُولِهَا فِي الْوُجُودِ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا يَسْبِقُ إِلَى نَفْسِ الْكَارِهِ لِلْأَمْرِ أَنْ يُسَاءَ بِهِ وَيَتَطَلَّبُ الْمُخَلِّصَ مِنْهُ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا مُخَلِّصَ مِنْهُ ضَاقَ بِهِ ذَرْعًا، ثُمَّ يُصْدِرُ تَعْبِيرًا عَنِ الْمَعَانِي وَتَرْتِيبًا عَنْهُ كَلَامًا يُرِيحُ بِهِ نَفْسَهُ.وَتَصْلُحُ هَذِهِ الْآيَةُ لِأَنْ تَكُونَ مِثَالًا لِإِنْشَاءِ الْمُنْشِئِ إِنْشَاءَهُ عَلَى حَسَبِ تَرْتِيبِ الْحُصُولِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، هَذَا أَصْلُ الْإِنْشَاءِ مَا لَمْ تَكُنْ فِي الْكَلَامِ دَوَاعِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ وَدَوَاعِي الْحَذف وَالزِّيَادَة." (٣).

ومن ذلك الترتيب النفسي في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾ [الدخان: ١٧ – ٢١] .

قال ابن عاشور: " وَقَدْ جَاءَ تَرْتِيبُ فَوَاصِلِ هَذَا الْخِطَابِ عَلَى مُرَاعَاةِ مَا يَبْدُو مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ عِنْدَ إِلْقَاءِ مُوسَى دَعْوَتَهُ عَلَيْهِمْ إِذِ ابْتَدَأَ بِإِبْلَاغِ مَا أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْهِمْ فَآنَسَ مِنْهُمُ التَّعَجُّبَ وَالتَّرَدُّدَ فَقَالَ: إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَرَأَى مِنْهُمُ الصَّلَفَ وَالْأَنَفَةَ فَقَالَ: وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ فَلم يرعووا فَقَالَ: إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِين،

(١)جاء في لسان العرب: " الصَّدّ: الإِعْراضُ والصُّدُوف. صَدَّ عَنْهُ يَصِدُّ ويَصُدُّ صَدّاً وصُدُوداً: أَعرض". ابن منظور، **لسان العرب** [٢٤٥/٣] ". ابن فارس، **مجمل اللغة** ، [٥٣٢/١] ، وحدده الطبري بأنه الإعراض عما دُعوا إليه بوجوههم . ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت: ٣١٠هـ) (المحقق: أحمد محمد شاكر) ،**جامع البيان في تأويل القرآن**، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ٢٤ [٣٩٧/٢٣] .

(٢) قال حبنكة : " فاللي حركة تعبر عن عدم الاستجابة بعد الوجوم، وهي أخف حركات التعبير عن ذلك والإعراض حركة فوق اللي، وهو إعطاء الجانب، وعرض الشيء في اللغة جانبه، وعارضا الإنسان صفحتا خديه ، والنأي بالجانب حركة فوق الإعراض، فإذا كان الإعراض إعطاء الجانب، وكان الواجب يستدعي المواجهة وجها لوجه، فإن النأي بالجانب يكون بالابتعاد عن الداعي ودعوته مع الإعراض، والإدبار حركة فوق النأي بالجانب،إذ الحالة النفسية معه يعبر عنها بإدارة الظهر للشيء، وإعطائه الدبر، والتولي حركة زائدة على مجرد الإدبار، فهو تعبير عن الانصراف عن مجلس الداعي ودعوته بعد إدارة الظهر له. " اه. حبنكة،عبد الرحمن حسن الميداني، **قواعد التدبرالأمثل لكتاب الله عز وجل**، دار القلم، دمشق، ط ٤، ٢٠٠٩م . ص ٤٣٩-٤٤٢.

(٣)ابن عاشور،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، الدار التونسية للنشر، تونس ، ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء : ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين)، [١٢٥/١٢]

فَلاحَتْ عَلَيْهِمْ عَلامَاتُ إِضْمَارِ السُّوءِ لَهُ فَقَالَ: وَإِنِّي عُذتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فاعتزلون، فَكَانَ هَذَا التَّرْتِيبُ بَيْنَ الْجُمَلِ مُغْنِيًا عَنْ ذِكْرِ مَا أَجَابُوا بِهِ عَلَى أبدع إيجاز" (١).

ومنه تقديم انتفاء تخفيف العذاب عن الكفار على انتفاء إنظارهم نظرة رحمة تستدعي رفع العذاب عنهم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [البقرة: ١٦١ - ١٦٢]، فهو من ترتيب الانتفاء حسب التدرج في أحوال النفس، لأن النفس الإنسانية تتدرج في الطلب من الآخرين، ولا تبالغ حتى لا يرفض طلبها، فتطلب أولا تخفيف العذاب ثم تترقى إلى طلب الأحب إليها : وهو الإنظار بمعنى رفع العذاب، على حد قولنا: "إذا أردت أن تطاع فأمر بالمستطاع" .

ومنه تقديم ذكر انتفاء حصول الخلاص من العذاب بالتودد والاستعطاف على ذكر انتفاء حصوله بالقوة والغلبة كما في قوله تعالى في سياق ما توعَّد به يهود :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٨٦] أي لا يخفف عنهم العذاب مهما توددوا واستعطفوا، ولا يجدون قوة تخلصهم من عذاب الله.

ومثله ترتيب أوصاف يوم القيامة الذي يأمرهم أن يتقوه، حيث قدم في الأوصاف: انتفاء كل وجوه الخلاص الممكنة بطريق التودد والمسالمة، في قوله: ﴿ لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾، على انتفاء إمكانية الخلاص بالقوة والغلبة في قوله: ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٨٦] ، ومثله يقال في الآية الأخرى : [البقرة: ١٢٣].

وهذا كله مما نراه اليوم ظاهرا في مجالات كثيرة منها: تعاملات الدول فيما بينها في حل النزاعات ، فهم يلجؤون إلى الدبلوماسية الناعمة قبل الحلول العسكرية .

- ومنه ما هو ترتيب وقوعي بالانتقال من فعل الأمر الأيسر إلى فعل الأصعب، فالنفس تميل إلى سلوك الطريق الأسهل في تحقيق المطلوب، لأنه لا يكلفها جهدا، وكثيرا ما يتحقق به الغرض، كما في قوله تعالى:﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ [الكهف: ٩٧] .

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير** [٢٥/٢٩٨] والعطف بين المتعاطفين الأولين :{أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ} من عطف المفردات، لأنها عطف مصادر مؤولة ، ولكن العطف بين المتعاطفين الأخريين: {وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ} من عطف الجمل.

○ **التقديم للسبب على المسبب**

التقديم للسببية أخص من التقديم للسبق الزمني، فكل ما هو مقدم على غيره للسببية هو بالضرورة مقدم عليه للسبق في الزمان(١)، وليس كل مقدم زمانيا على غيره فيه معنى السببية فيه.

وشواهد التقدم للسببية كثيرة في الذكر الحكيم نحو قوله تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٣].

قال ابن عاشور: "وَقَدْ رُتِّبَتِ الْجُمَلُ عَلَى تَرْتِيبِ حُصُولِ مَضْمُونِهَا فِي الْوُجُودِ، فَإِنَّ الْإِنْذَارَ مُقَدَّمٌ لِأَنَّهُ حَمْلٌ عَلَى الْإِقْلَاعِ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ أَوِ الْوَثَنِيَّةِ، ثُمَّ يَحْصُلُ بَعْدَهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فَتُرْجَى مِنْهُ الرَّحْمَةُ"(٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١]، فالله إذا أحب عبدا غفر له ذنبه.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ الزلزلة:[١ - ٢] .

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [مريم: ٥٩]، على جعل العاصم من اتباع الشهوات الحفاظ على الصلوات، لأنها الناهي عن الفحشاء والمنكر، فبإضاعتها يكون الانكباب على الشهوات.

ويمكنني أن أشير إلى بعض الصور التي تدخل تحت هذا المبحث، ولكنها تحتاج مزيد تأمل، منها:

- **تقديم ما يوهم السببية في غيره،**

نحو قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ... ﴾ [البقرة: ١٦٤ - ١٦٥] ، حيث قدم ذكر ما يستوجب فعل مقتضاه من الشكر ، فجاءت النتيجة عكسية بالكفر ، فالكفار بكفرهم جعلوا الأمر يبدو كما لو كان الله أراهم كل تلك الآيات ليكفروا لا ليؤمنوا ، فهذا الترتيب على هذا النحو يدل على كمال قبح حال هؤلاء الكفرة بفعلهم خلاف المقتضى .

(١) أو للسبق في الذهن والتصور فيما يتعلق بأفعال الله خاصة .
(٢)ابن عاشور،**التحرير والتنوير**،١٩٦/٨

ونحو قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩].

إن الإخبار أولا بعدم ترفع الملائكة عن أداء فرض الطاعة والعبادة لله لدفع توهم حصول ذلك لقرب منزلتهم من الله، والإخبار ثانيا بعدم حصول الاستحسار منهم بمعنى السآمة والكلل والإعياء(١)، لأن إثبات عبادة الملائكة على نحو ما أخبرنا الكتاب والسنة هو مما لا يطيقه البشر لثقلها ودوامها، وهو يستدعي توهم حصول الاستحسار، فاستدعى ذلك نفيه ، فهو احتراس بنفي ما يتوهم ترتبه على الأول .

قال أبو السعود: " للتنبيه على أن عباداتِهم بثقلها ودوامها حقيقةٌ بأن يُستَحسَرَ منها ومع ذلك لا يستحسرون"(٢).

ونحو قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ [المجادلة: ٢]، فقول المنكر والزور - والمقصود به في هذا السياق قول الظهار- هو في حد ذاته يستوجب العقاب، لا المغفرة والرحمة، ولكن لما كان هذا المنكر من القول صادرا عن جهل- أي قبل بيان الله تحريم الظهار- نال صاحبه العفو والمغفرة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٥] ، فالذي اقتضى العفو والمغفرة ليس قول المنكر والزور ذاته كما يوهم ظاهر الكلام بل الباعث على اقترافه وهو الجهل بحرمته.

- **التسبب بواسطة**، نحو قوله تعالى: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[المجادلة: ٢٢]، فرضا الله عنهم من آثاره فيوض نعمه عليهم، وهذه الفيوض هي المتسببة مباشرة في حصول رضاهم عن الله.
- **التسبب بالتولد حقيقة أو تجوزا**، فالتزاوج بين الذكر والأنثى جعله الله سببا في الإنجاب كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل: ٧٢]، ويمكن أن نلحق بذلك ما هو في معنى التزاوج والتولد تجوزا، نحوقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ

---

(١) قال الماوردي:" يَسْتَحْسِرُونَ فيه أربعة تأويلات: أحدها: لا يملون ، قاله ابن زيد. الثاني: لا يعيون ، قاله قتادة. الثالث: لا يستنكفون ، قاله الكلبي. الرابع: لا ينقطعون ، مأخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع بالإعياء" الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت: ٤٥٠هـ) **تفسير الماوردي = النكت والعيون**،(المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان عدد الأجزاء: ٦ [٤٤١/٣] وأستبعد معنى الاستنكاف لأنه لو كان كذلك لتقدم على الاستكبار لأن الاستنكاف أشد من الاستكبار لأنه استكبار بأنفة كما أشار إلى ذلك ابن عاشور [ابن عاشور،التحرير والتنوير :٥٩/٦] ، فتقدم نفي الأقل وهو الاستكبار كما في هذه الآية يستلزم نفي الأشد من باب أولى، فعلى فرض كون معنى الاستحسار الاستنكاف يكون ذكره بعد الاستكبار لغوا من القول نجل القرآن عنها ،لأنه إذا ذكر لا بد أن يتقدم كما تقدم في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٧٢].

(٢)أبو السعود، محمد بن محمد (ت: ٩٨٢هـ)، **تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)**، دار التراث العربي - بيروت [٦٠/٦]

﴿فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢] ، قال الرازي: " وإنما قدم ذكر السماء على نزول الماء من السماء وخروج الثمرات بسببه لأن ذلك كالأمر المتولد من السماء والأرض والأثر متأخر عن المؤثر، فَلِهَذَا السَّبَبِ أَخَّرَ اللَّهُ ذِكْرَهُ عَنْ ذِكْرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ"(١).

وأزيد الأمر توضيحا فأقول: في قوله تعالى { جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً } أشبه ما يكون بعلاقة تزاوج بين السماء والأرض حيث السماء الذكر والأرض الأنثى. وقوله بعد ذلك {وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ} هو النتيجة الطبيعية لذلك التزاوج ، حيث يلتقي الماء من السماء كماء الفحل بتراب الأرض كرحم المرأة فيتولد الثمر كتولد الأجنة(٢).

▪ **التسبب بالاستدعاء لغيره،** فحق الشيء أن يقدم على ما يستدعيه لأنه سبب في استدعائه ، فالمستدعي يتقدم على المستدعى عادة(٣)، نحو :

- العمل واستدعاؤه الثواب أو العقاب، فالعمل السيء جزاؤه العقاب، كما في تقدير عطف قوله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] على قوله: ﴿يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ٨]. والعمل الصالح جزاؤه الثواب الحسن نحو قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ﴾ [الشورى: ٢٦].

قال ابن عاشور: " وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الَّذِينَ آمَنُوا فاعل يَسْتَجِيبُ أَيْ يَسْتَجِيبُونَ لِلَّهِ فَيُطِيعُونَهُ"(٤)، وهو الراجح عندي: فالاستجابة من العبد وزيادة الفضل من الله، " فَحَقُّ السَّائِلِينَ عَلَيْهِ أَنْ يُجِيبَهُمْ، وَحَقُّ الْعَابِدِينَ لَهُ أَنْ يُثِيبَهُمْ" (٥).

- النعمة واستدعاؤها الشكر، نحو قوله تعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾ [الحج:٢٨]، فشهادة المنافع نعمة تستوجب الشكر.

---

(١) الرازي، **التفسير الكبير** [٣٣٦/٢]
(٢) أصل الفكرة أخذتها من الزمخشري وصياغتها من عندي، **الكشاف** [٩٣/١].
(٣) وهناك صورة يكون فيه المستدعَى مقدما في الترتيب على من استدعاه، كما في حالة "التمهيد" ، فالتمهيد في الأصل حقه التأخير لأنه مستدعَى، استدعاه غيره لنفسه ومع ذلك يقدم في الكلام لأن استدعاءه لأجل أن يكون متطلبا سابقا للمستدعي، فهو سابق في الرتبة، وبهذا الاعتبار يقدم على مستدعيه.
(٤)ابن عاشور،**التحرير والتنوير** [٩١/٢٥] .
(٥)رشيد رضا، محمد رشيد (ت: ١٣٥٤هـ) ، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة النشر: ١٩٩٠ م ،عدد الأجزاء: ١٢ [٢٧٥/٤]

- كمال سوء الحال واستدعاؤه النصح والإرشاد أو التوبيخ والإنكار، نحو عطف قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ ... وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ ... ﴾ [البقرة: ١١ – ١٣] على قوله تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا ﴾[البقرة: ١٠] ، ونحو عطف قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِ ﴾[البقرة: ٢٠٦] على قوله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٠٤].

- الدعوى واستدعاؤها دليل صدقها أو كذبها، فالدعوى الصادقة يتلوها دليل صدقها، نحو عطف قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَ ﴾[البقرة: ٢٠٥] على قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤] على أحد احتمالي العطف . والدعوى الكاذبة يتلوها دليل كذبها، كما في المثال السابق على الاحتمال الآخر بالعطف على﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٠٤]. ونحو عطف مجموع: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ ... وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ ... ﴾ [البقرة: ١١ – ١٣] على ﴿ يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [البقرة: ٨] على تقدير العطف عليه(١) .

○ **التقديم للشرف والفضل**

قال العلوي: " وهذا نحو تقدم الأنبياء على الأتباع، والعلماء على الجهال، فهذا تقدم معقول" (٢).

ويعد الزركشي أكثر من توسع في ذكر أنواعه والتمثيل عليها(٣) .

ومن ذلك:

- التقديم لشَرَف الذُّكورَةِ على الأنوثة عند عامة الناس(٤) ، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٢١] .

- التقديم لشَرَف الْحُرِّيَّةِ على العبودية، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ ﴾ [البقرة: ١٧٨]

---

(١) جوز الزمخشري العطف على "يقول"، قال الزمخشري: "وَإِذا قِيلَ لَهُمْ معطوف على يكذبون. ويجوز أن يعطف على: (يَقُولُ آمَنَّا) لأنك لو قلت: ومن الناس من إذا قيل لهم لا تفسدوا، كان صحيحا، والأول أوجه ". الزمخشري،**الكشاف** ، [٦٢/١]

(٢) العلوي،**الطراز** [٣٣/٢]

(٣) الزركشي،**البرهان في علوم القرآن**[٢٥٢/٣-٢٥٩]

(٤) وهذا الاعتبار لا يصلح مقياسا للتفاضل عند الله لأن المقياس عنده التقوى كما قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ الحجرات: ١٣.

- التقديم لشَرَف الْإيمَانِ على الكفر، نحو ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴾ [محمد: ١٢]

- التقديم لشَرَف الْحَيَاةِ على الموت، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾ [يونس: ٣١].

- التقديم لشَرَف الْعِلْمِ على الجهل، نحو قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]

- التقديم حسب شرف المعلوم، كشرف علم الغيب على علم الشهادة ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فمفاتح الغيب من علم الغيب، وما في البر والبحر من علم الشهادة، والأول أشرف، ومنه: ﴿ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ ﴾[فاطر: ١١]، قال ابن عاشور:" وَلِكَوْنِ الْعِلْمِ بِالْخَفِيَّاتِ أَعْلَى قُدِّمَ ذِكْرُ الْحَمْلِ عَلَى ذِكْرِ الْوَضْعِ" [١].أي شرف العلم بما هو خفي على العلم بما هو ظاهر، وأجعل منه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ ﴾ [لقمان: ٣٤]، فهو مرتب بالتنزل والتحدر من المعلوم الأعلى شرفا وفضلا إلى الأقل فالأقل منه، فعلم الساعة أشرف من علم وقت نزول الغيث، وهذا أشرف من علم ما في الأرحام.

- التقديم لشَرَف الْإِدْرَاكِ، كَتَقْدِيمِ السَّمْعِ عَلَى الْبَصَرِ، والقلب عليهما نحو قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ [يونس: ٤٢ – ٤٣]، ونحو قوله: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ ﴾ [البقرة: ٧]، فهو من تقديم ذكر العقوبة الأشد، لكونها من جانب تتعلق بالمقدم شرفا وفضلا وهو القلب والسمع ، ومن جانب آخر لكون فعل الختم نفسه أشد من فعل التغشية .

- التقديم لشَرَف الْمُجَازَاةِ، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقوله: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ...وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا ... ﴾ [يونس: ٢٦ – ٢٧].

---

(١) ابن عاشور،**التحرير والتنوير**[٢٢/٢٧٧]

- التقديم للحلال لشَرَف الْإِبَاحَةِ لِلإِذْنِ بِهَا على الحرام للمنع عنه، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾ [النحل: ١١٦] ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا ﴾ [التوبة: ٣٧].

- التقديم لشرَف الفضِيلَةِ، كفضيلة الرسول والنبي على سائر البشر، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] ، ومنه شرف السماء على الأرض، ويتفرع عليه شرف آيات السماء على آيات الأرض كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ ... وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ... ۖ ﴾ [الرعد: ٢ – ٣]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ... وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ... ﴾ [الحجر: ١٦ - ٢٢] .

وهناك أنواع أخرى تدخل في التقديم للشرف غير ما ذكر الزركشي آنفا، منها:

- شرف الاصطفاء من الله، وهو مقدم على شرف العلم والجسم ، كما في قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

- شرف الإحسان الفعلي على شرف الإحسان القولي، كما في قوله تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٦-١٤٧]. قال الآلوسي: "وقيل: كلام مبين لمحاسنهم القولية إثر بيان محاسنهم الفعلية"[(١)].

- شرف عمل القلب، فهو مقدم على شرف عمل الجوارح، نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٣]. فالإيمان عمل القلب، وهو أشرف من إقامة الصلاة والإنفاق لأنهما من عمل الجوارح، كما أن تقديم الإيمان عليهما لأنه أصل لهما، فهما متفرعان على وجوده .

---

(١)الآلوسي، الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، (المحقق: علي عبد الباري عطية)، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس)، [٢٩٧/٢]

○ **التقديم للكثرة على القلة**

نحو قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢]. قال الزمخشري:" فإن قلت: لم قدم الظالم؟ ثم المقتصد ثم السابق؟ قلت: للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقون أقل من القليل"[١].

ونحو قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ ﴾ [التغابن: ٢]، قال الزمخشري: "وقدم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم"[٢]. وهو الأنسب لجو السورة واسمها ، إذ أكثر الناس سيكتشفون يوم التغابن مدى الغبن الذي كانوا فيه في دنياهم.

ونحو تقديم ميراث الرجل من زوجته على ميراثها منه، لأن ميراثه منها أكثر، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ... وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ ... ﴾ [النساء: ١٢]، وفيه أيضا التقديم لما تعلق بالرجل على ما تعلق بالمرأة لشرف الذكورة عند عامة الناس .

ومنه تقديم الماء على اللبن، وهو على الخمر، وهذا على العسل في الآية الكريمة : ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ ... وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ... وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ... وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ ﴾ النحل:[٦٥ – ٦٩] ، فهو من تقديم الكثرة على القلة بالتنزل والتحدر، لأن الماء هو شراب الناس جميعا[٣] يليه اللبن، إذا أخذنا بعين الاعتبار كل مشتقاته يليه شراب الخمر، لكثرة الشاربين له من غير المسلمين يلي ذلك كله شراب العسل فهو المشروب الأقل عند الناس جميعا لغلو ثمنه.

(١) الزمخشري، **الكشاف**[٦٠٣/٣]
(٢) المرجع السابق [٥٤٦/٤]
(٣) لم تصرح الآية هنا بهذه الفائدة للماء من كونها شرابا للناس، ولكنها فائدة مستحضرة في الذهن عند تعداد مشروبات الناس من اللبن والخمر والعسل. وقد جاء ذكرها صراحة وعلى رأس المشروبات الأخرى في سياق تعداد أصناف أنهار الجنة بنفس الترتيب ، قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ [محمد: ١٥]

ومن الصور التي في معنى تقديم الكثرة على القلة :

- تقديم من طال عمره على من قصر، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ ﴾ [فاطر: ١١] .

- تقديم من أتم عملا على من لم يتمه، كمن أتم الهجرة كاملة على من لم يتمها لموته، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ ﴾ [النساء: ١٠٠]. ويصح أن يكون التقديم هنا للاحتمال الغالب في الحدوث كما في الصورة التالية لهذه، لأن أكثر من يهاجر يتمكن من إتمام هجرته ولا يحول دونها الموت، وإلا لو كان الموت هو الغالب في الهجرة، لاقتضت الحكمة تغليب القعود عليها لما فيه من مقصد حفظ الحياة .

- تقديم الاحتمال الغالب في الحدوث، كما في قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾ [الحشر: ١١]، فهنا قدم الاحتمال الأقوى في الحدوث، وهو الإخراج والدليل عليه تأكيده باللام بخلاف المقاتلة .

- معنى الإسراف على معنى التقتير في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان:٦٧]، ومنه – لكن من عطف المفردات لزيادة التوضيح - تقديم "لا فارض" على "لا بكر" في قوله: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ ﴾ [البقرة: ٦٨]. على معنى الفارض الطاعنة في السن والبكر الصغيرة فهو بمعنى تقديم الكثرة على القلة .

- **تقديم العموم على الخصوص**

الْعَامُّ لَفْظٌ يَسْتَغْرِقُ الصَّالِحَ لَهُ مِنْ غَيْرِ حَصْرٍ(١). والخاص: يقابل العام، فهو الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر(٢).

---

(١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**،(تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)،الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة الطبع ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م عدد الأجزاء: ٤، [٤٨/٣]، ابن قاسم،عبد الرحمن بن محمد (ت: ١٣٩٢هـ)، **حاشية مقدمة التفسير** (المقدمة والحاشية كلاهما للشيخ ابن قاسم رحمه الله)، بدون ناشر،ط٢ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م [٤٨/١].

(٢) القطان، مناع بن خليل (ت: ١٤٢٠هـ)، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة المعارف ،ط٣، ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١ [٢٣٢/١]

والخاص أو الأخص له معنيان:

الأول: ما يتناول العموم معناه ومعنى غيره [(١)]. فعمُومُ العام فِي هَذِهِ الصُّورَةِ مِنْ عُمُومِ الشُمُول، ومن هنا كان النَّظَر فِي الْعام واجب التقدم عَلَى النَّظَرِ فِي الْخاص لكثرة فائدته، لأن مدلول معناه أوسع لأنه يتناول الخاص وغيره .

وإنما يعطف الخاص على العام دون الاكتفاء بذكره ضمن العموم للاعتناء به بشكل خاص، قال الزركشي: " ذِكْرُ الخاص بعد العام، فيؤتى به معطوفا عليه بالواو وللتنبيه عَلَى فَضْلِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْعَامِّ تَنْزِيلًا لِلتَّغَايُرِ فِي الْوَصْفِ مَنْزِلَةَ التَّغَايُرِ فِي الذَّاتِ"[(٢)]، فهنا الخاص كَأَنَّهُ جُرِّدَ مِنَ الْجُمْلَةِ وَأُفْرِدَ بِالذِّكْرِ تَفصِيلا[(٣)].

ومن الشواهد عليه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، فالتَّمَسُّك بِالكِتَابِ يَشْمَلُ كلَّ عِبَادَةٍ، وَمِنْهَا الصَّلاة، لَكِنْ خَصَّهَا بِالذكْرِ إظْهَارًا لِمَرْتَبَتِهَا لِكَوْنِهَا عِمَادَ الدِّينِ ، ومنه قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ [محمد: ٢]،

الثاني: ما يكون مشتملا عَلَى مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْأَعَمُّ وَزِيَادَةٌ[(٤)]، وعطفه عليه لما فيه من هذه الزيادة في المعنى، وعليه يكون مِنْ عَطْفِ الشَّيْءِ عَلَى مُغَايِرِهِ ، بقصد الترقي إما في كمال الحسن وإما في كمال القبح.

ويكون عمُومُ الأعم فِي هَذِهِ الصُّورَةِ إنَّمَا هُوَ مِنْ عُمُومِ بَدَلٍ لا شُمُولٍ[(٥)]، بمعنى أن الأَعَمَّ يتناول الأخص في أصل معناه الذي يشترك مع سائر أفراد الأعم، لا في خصوص معناه بالإضافة إلى تناوله غَيْرَهُ فَتَكْثُرُ الْفَائِدَةُ في الأعم[(٦)]، ولذلك كان النَّظَر فِي الْأَعَمِّ واجب التقدم عَلَى النَّظَرِ فِي الْأَخَصِّ [(٧)].

---

(١)الزركشي،**البرهان في علوم القرآن**[٤٦٥/٢]
(٢)المصدر السابق[٤٦٤/٢]
(٣)حَكَاه الزركشي عن الشَّيْخُ أَثِيرُ الدِّينِ عَنْ شَيْخِهِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ أنه كان يقوله المصدر السابق [٤٦٤/٢]
(٤)الآمدي ،أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي الثعلبي (ت: ٦٣١هـ)، **الإحكام في أصول الأحكام**،(المحقق: عبد الرزاق عفيفي) ، المكتب الإسلامي، بيروت عدد الأجزاء: ٤ [٧٣/٤]
(٥) ابن النجار الحنبلي ، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد (ت: ٩٧٢هـ)، **شرح الكوكب المنير**،(المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد)، مكتبة العبيكان،ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ مـ، عدد الأجزاء: ٤ [١٤٢/٣]
(٦) المرجع السابق، [٧٤٧/٤]
(٧) الآمدي ، **الإحكام في أصول الأحكام** [٧٣/٤]

وثبوت الأخص يوجب ثبوت الأعم ضرورة، وانتفاء الأعم يوجب انتفاء الأخص، ولا يلزم من ثبوت الأعم ثبوت الأخص، ولا من انتفاء الأخص انتفاء الأعم(١).

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٠]، فالفريق القاتل هو من الفريق المكذب ، لكنه يزيد عليهم بالذهاب أبعد من التكذيب إلى القتل، فالكلام يكون من قبيل تقديم الأعم على الأخص للترقي في القبح من التكذيب إلى القتل .

وَمِنْهُ قَوْلُهُ:﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقد عده الزركشي من عطف الخاص على العام ، فقال:" إِذِ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ مِنْ جُمْلَةِ الدُّعَاءِ إِلَى الْخَيْرِ"(٢). والأصح عندي أنه من عطف الأخص على الأعم بالمعنى الآخر، وهو ما رجحه ابن عاشور عندما أشار أنه من عطف الشيء على مغايره ، قال ابن عاشور: " وَمَعْنَى الدُّعَاءِ إِلَى الْخَيْرِ الدُّعَاءُ إِلَى الإِسْلام، وَبَثُّ دَعْوَة النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ الْخَيْرَ اسْمٌ يَجْمَعُ خِصَالَ الإِسلامِ: فَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ» الْحَدِيثَ، وَلِذَلِكَ يَكُونُ عَطْفُ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَيْهِ مِنْ عَطْفِ الشَّيْءِ عَلَى مُغَايِرِهِ، وَهُوَ أَصْلُ الْعَطْفِ. وَقِيلَ: أرِيدَ بِالْخَيْرِ مَا يَشْمَلُ جَمِيعَ الْخَيْرَاتِ، وَمِنْهَا الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيَكُونُ الْعَطْفُ مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ لِلاهْتِمَامِ بِهِ" (٣).

ومن تقديم الأعم على الأخص على سبيل الترقي في كمال الحسن، قوله تعالى: ﴿ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الحج: ٥٦]، ومما هو على سبيل الترقي في كمال القبح قوله: ﴿ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ [الحج: ٥٧].

---

(١) ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد (ت: ٦٢٠هـ) ، **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع،ط٢، ٢٠٠٢م عدد الأجزاء:٢ [٨٤/١]

(٢) الزركشي،**البرهان في علوم القرآن**[٤٦٩/٢]

(٣) ابن عاشور،**التحرير والتنوير** [٤٠/٤]

○ **الإبهام قبل البيان والإجمال قبل التفصيل**

فالترتيب هنا على الأصل بأن يلقى الكلام ملفوفا بشيء من الغموض تشتاق النفس إلى بيانه وتستشرف في التعرف على وجهه، فإذا جاء البيان صادف نفسا يقظة متطلعة فيتمكن الكلام منها.

ففائدة البيان بعد الإبهام أو التفصيل بعد الإجمال: تنشيط النفس وإيقاظها، قال الزركشي: " الإِيضَاحُ بَعْدَ الإِبْهَامِ لِيُرَى الْمَعْنَى فِي صُورَتَيْنِ أَوْ لِيَكُونَ بَيَانُهُ بَعْدَ التَّشَوُّفِ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ يَكُونُ أَلَذُّ لِلنَّفْسِ وَأَشْرَفُ عِنْدَهَا وَأَقْوَى لِحِفْظِهَا وَذِكْرِهَا "[(١)].

وقال الأمين: " ولا شك أن التفصيل بعد الإجمال ضرب من البيان الرفيع، يوقظ قوى الإدراك عند نفس المتلقي ويبعث فضوله، ويحرك شوقه -حين يلقى إليه الخبر مجملا- إلى البيان والتفسير"[(٢)].

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة: ٢]، و قوله: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٥]، وقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ الأعلى: [١٤ -١٥]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٥]، وقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ [الأنبياء: ٨٩ – ٩٠].

○ **التقديم حسب قرب المكان**

نحو تقديم ما تعلق بالأرض على ما تعلق بالسماء، لأَنَّ الْأَرْضَ أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالإِنْسَان أَعْرَفُ بِحَالِ الْأَرْضِ مِنْهُ بِأَحْوَالِ السَّمَاءِ لملابسته لها فتكون عبرته بها أكثر[(٣)] كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ الحاقة: [١٣ – ١٦].

ونحوه تقديم ذكر الأرض المبسوطة التي يمشي فوقها على الجبال الشاهقة التي يراها أمامه، لأن ملابسة الإنسان للأرض أشد من ملابسته لخصوص الجبال، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧].

(١) الزركشي،**البرهان**[٤٧٧/٢]
(٢) الأمين الخضري،**من أسرار حروف العطف** [ص ٥١] وأيضا الزركشي،**البرهان**[٤٧٧/٢]
(٣) الرازي ، **التفسير الكبير**، [٣٣٦/٢]

○ **التقديم حسب قرب المكانة**

كتقديم حق الخالق على حق المخلوق في قوله تعالى: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧ – ١٨] فما هو لله (قيام الليل) قبل ما هو للعبد (طلب غفران ذنوبه).

ومنه قوله: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [الشورى: ٥]، فهو من تقديم حق الله على الملائكة أن يسبحوه قبل حق المؤمنين عليهم أن يستغفروا لهم بمقتضى ما يستشعرونه من أخوة الإيمان التي تجمعهم بهم، وهو من جانب آخر من تقديم تكميل النفس قبل تكميل الغير.

ومنه تقديم حق الله على الإنسان على حق غيره عليه، كحق الوالدين، وحقهما مقدم على حق من سواهم من الأقارب، وحق هؤلاء الأقارب جميعا مقدم على حق عامة الناس، نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧] ، فهذا راجع إلى تقديم ما يتعلق بحق الله من الوفاء بعهده وعدم نقضه على ما يتعلق بحق الأقارب من صلة رحمهم على ما يتعلق بحق الناس جميعا من إصلاح الأرض لا إفسادها.

ومنه تقديم فروع الرجل على أصوله، وهذان موصولان به بصلة الدم (قرابة قريبة)، وهما أقرب إليه ممن يرتبط به بصلة الزوجية، وهذه الصلة قبل القرابة البعيدة بالكلالة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ... وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ ... وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ ...ۚ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ ... ﴾ [النساء: ١١ - ١٢].

تقديم التخلية على التحلية ودفع المفاسد على جلب المصالح (١)

قوله تعالى : ﴿ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه: ٣٣ – ٣٤]، قال الآلوسي: "وتقديم التسبيح على الذكر من باب تقديم التخلية على التحلية"(٢) ، وأوافقه عليه، فهو وجه تحتمله الآية، وذلك بتخصيص التسبيح بتنزيه الله عن النقائص، وتخصيص الذكر بإثبات المحامد، وهذا مناسب للمقام.

---

(١) ويسمى أيضا تقديم التصوير على التصقيل [البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت: ٦٨٥هـ) ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت،ط١ ، ١٤١٨ هـ، ٣٧/١] وقد عد السهيلي تقديم التخلية على التحلية من التقديم بالطبع والعادة [السهيلي، **نتائج الفكر**،[٢١٢/١-٢١٣]] وعده الزركشي من التقديم للرتبة [الزركشي، **البرهان**،[٢٤٩/٣]] ، وعده ابن عاشور و الدكتور عون من السبق في زمن الإيجاد والحدوث. [ابن عاشور، **التحرير والتنوير**[٢٩:٢٩]، عون، **بلاغة التقديم والتأخير**،[٩٥٦/٣] والأولى عندي أن يكون من التقديم للرتبة .

(٢)الآوسي،**روح المعاني**[٥٠٠/٨]

قال أبو السعود: " أي ننزّهك عما لا يليق بك من الصفات والأفعالِ التي منْ جُملتها ما يدّعيه فرعونُ الطاغيةُ ويقبَلُه منه فئتُه الباغية من ادّعاء الشِرْكةِ في الألوهية، ونصفك بما يليق بك من صفات الكمالِ ونعوتِ الجمال والجلال تنزيها كثيراً أو زماناً كثيراً من جملته زمانُ دعوةِ فرعون وأوانُ المُحاجّة معه " [١].

ومنه تقديم المنهيات على المأمورات المستفادة من المعروف في الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ﴾ [الممتحنة: ١٢] " لأن التخلي عن الرذائل مقدم على التحلي بالفضائل، لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح " [٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ﴾ [آل عمران: ١٢٠]،، فالحسنة التي تصيب المؤمنين هي سيئة للمنافقين، والسيئة التي تصيب المؤمنين هي حسنة للمنافقين، وقانون التخلية والتحلية يقتضي تقديم ذكر ما يسيء المنافقين على ما يسعدهم، ومنه قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، وقوله: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس:١٠٧] ، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ [الزمر: ١٧].

وهناك شواهد قرآنية لا تكون التحلية خيرا مباشرا يصيب النفس بل شرا يصيب أعداء النفس، فيرتد مسرة وتحلية على النفس، لأن مضرة العدو هي إسعاد للنفس، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ [البقرة: ٥٠]، فذكر إهلاك الأعداء يأتي في الأهمية بعد الاطمئنان على نجاة النفس، وهو أي إهلاك الأعداء من قبيل التحلية غير المباشرة على اعتبار مصائب قوم عند قوم فوائد ، ونحوه قوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩] .

---

(١)أبو السعود، **تفسير أبي السعود**[١٣/٦-١٤]

(٢)البقاعي ،إبراهيم بن عمر (ت: ٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،عدد الأجزاء: ٢: ٥٢٤/١٩

○ **تقديم الأيسر والأسبق في الإدراك: الأحوال الظاهرة على الأحوال الباطنة**

ومنه قوله تعالى: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف: ١٨] ، فمشهد التولي فرارا هو الظاهر المدرك بالعين المجردة، بخلاف مشهد امتلاء القلب رعبا، فهو خفي لا يدرك بالعين فحقه التأخير.

ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ [المدثر: ٢٣]، فهو من تقديم وصف فعل الإدبار الظاهر للعين على الاستكبار الخفي لأنه عمل قلبي ، وهذا الاعتبار قدم هنا على اعتبار التقديم للسببية، أي سببية الاستكبار في الإدبار لتعذر الجمع بينهما. قال أبو حيان: " وَالِاسْتِكْبَارِ يَظْهَرُ أَنَّهُ سَبَبٌ لِلْإِدْبَارِ، إِذِ الِاسْتِكْبَارُ مَعْنًى فِي الْقَلْبِ، وَالْإِدْبَارُ حَقِيقَةٌ مِنْ فِعْلِ الْجِسْمِ، فَهُمَا سَبَبٌ وَمُسَبِّبٌ، فَلَا يُعْطَفُ بِثُمَّ وَقَدَّمَ الْمُسَبِّبَ عَلَى السَّبَبِ لِأَنَّهُ الظَّاهِرُ لِلْعَيْنِ "(١).

ومثل هذا الكلام يقال في تقديم الإباء على سببه "الاستكبار " لقصد تقديم اعتبار الأحوال الظاهرة على الباطنة وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤]. قال الألوسي: " وقدم الإباء عليه وإن كان متأخرا عنه في الرتبة لأنه من الأحوال الظاهرة بخلاف الاستكبار فإنه نفساني أو لأن المقصود الإخبار عنه بأنه خالف حاله حال الملائكة " (٢) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة: ٢] ، فبسط الكفار الأيدي والألسنة بالسوء أمر ظاهر سهل الإدراك قدم على ذكر مودة الكفار الكفر للمؤمنين، لأن هذا الأخير شيء قلبي خفي لا يدرك بالعين، وإنما بالخبر الصادق عنهم.

ومنه قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران:١١٨]. وقوله: ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [آل عمران: ١١٩].

(١) أبو حيان،**البحر المحيط**: ١٠ /٣٣١ .
(٢) الآلوسي،**روح المعاني**،[٢٣٢/١].

○ التقديم حسب العراقة والتمكن في الدلالة على المعنى

قد يقدم الشيء لاعتباره الأعرق في الدلالة على المعنى المشترك مع غيره ، والأقوى على إقراره (١).

ومن المعاني التي تدخل فيه:

(الدلالة على الشفقة) فشفقة الآباء بأبنائهم أشد من شفقة الأبناء بآبائهم، ولذلك قدمهم الله تعالى عليهم في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔا ﴾ [لقمان: ٣٣] ، قال ابن عاشور: " وابتدئ بالوالد لِأَنَّهُ أَشَدُّ شَفَقَةً عَلَى ابْنِهِ فَلا يَجِدُ لَهُ مَخلصًا مِنْ سُوءٍ إلا فِعْلَهُ "(٢).

(الدلالة على القدرة) نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ ﴾ [النور: ٤٥] ، قال الزمخشري: "فإن قلت: لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب؟ قلت: قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشى من أرجل أو قوائم، ثم الماشي على رجلين، ثم الماشي على أربع." (٣).

(الدلالة على شدة الهول) كما في قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴾ [الحج: ٢].

(الدلالة على المهانة والذل) نحو قوله تعالى ﴿ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ ﴾ [البقرة: ٧١](٤)، فاستعمال البقر في إثارة الأرض أشد امتهانا لها من استعمالها في سقي الحرث.

(الدلالة على التنزيه) كما في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ ﴾ الإسراء: ١١١.

---

(١) يقال:أعرق الرجل، أى: صار عريقا، وهو الذي له عرق في الكرم. ينظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،(تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار)، دار العلم للملايين – بيروت،ط٤ ، ١٩٨٧ م،عدد الأجزاء: ٦ ،١٥٢٤/٤ . و(العراقة) الْأَصَالَة (محدثة) ينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط،(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة [٥٩٦/٢] وينظر في استعمال تعبير التمكن في الدلالة: عون ، **بلاغة التقديم والتأخير** ج١ ص ١٩٢ .

(٢) ابن عاشور،**التحرير والتنوير**: ١٩٣/٢١

(٣) الزمخشري، **الكشاف**[٢٤٧/٣]

(٤) درويش، محيي الدين بن أحمد (ت : ١٤٠٣هـ)، **إعراب القرآن وبيان**،(دار الإرشاد للشئون الجامعية ، حمص ، سورية) ، (دار اليمامة ، دمشق ، بيروت) ، (دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت) ط٤ ، ١٤١٥ هـ،عدد المجلدات : ١٠ [١٢٣/١]، جاء فيه : (لا) نافية (ذَلُولٌ) صفة بقرة (تُثِيرُ الْأَرْضَ) الجملة الفعلية في محل رفع صفة ثانية والمقصود نفي اثارتها للارض (وَلا) الواو حرف عطف ولا مزيدة لتأكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير وتسقي على أن الفعلين صفتان لذلول فكأنه قيل لا ذلول صفتها انها مثيرة وساقية فالنفي مسلط على الموصوف وصفته.

المطلب الثاني: ترتيب المتعاطفات بدلالة السياق

وذلك من جوانب، منها:

○ تقديم ما فيه تناسب مع السياق السابق(١)

يعد أوسع مقتضيات السياق على الإطلاق، فشواهده كثيرة في الذكر الحكيم، ولعل هذا يفسر اقتصار الزركشي عليه دون غيره(٢).

نحو قوله تعالى :﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فتقديم الجملة الأولى:﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ لكونها تعليلا للكلام قبلها في تشريع القتال الشاق على النفس ، أما الأخرى فهي استطراد لتكميل الصورة بذكر وجهها الآخر، فحقها التأخير.

ومن الشواهد تقديم قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾على قوله: ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ [البقرة: ٧] ، لأن الآية قبله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٦]، ففيها "لَا يُؤْمِنُونَ " والإيمان محله القلب، قال أبو السعود: " وتقديمُ ختمِ قلوبهم للإيذان بأنها الأصلُ في عدم الإيمان"(٣).

ومن شواهده التقديم للضلال على الهداية بعد ذكر بيان الرسول للناس في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم:٤]، وذلك " للمبالغة في بيان أنه لا تأثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل عليهم السلام وأن مدار الأمر إنما هو مشيئته تعالى بإيهام أن ترتب الضلالة أسرع من ترتب الاهتداء"(٤) .

ومن شواهده تقديم قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ [النبأ: ١٠] على قوله ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [النبأ: ١١] ، لأن قبله ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبأ: ٩]، فذكر النوم هو الذي استدعى ذكر ظرفه الغالب وهو الليل بما فيه من سكن يعين على النوم، وذكرالليل جر إلى ذكر مقابله وهو النهار.

(١) أشار إلى التقديم لهذا التناسب مع سابق السياق من المحدثين: عون،علي أبو القاسم، **بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم**،ج٣،ص٩٣٢ . وقد اقتصر على هذا الوجه من التناسب للسياق مع ترتيب الكلام كما فعل الزركشي من قبله ، ولكنه تنبه إلى أن ما ذكره ليس كافيا مما دعاه إلى اقتراح دراسة خاصة لتجمع مواطنها. ينظر: ج٣، ص ٩٤٠.
(٢)الزركشي،**البرهان**،٣/ ٢٦٢
(٣) أبو السعود، **تفسير أبي السعود** [٣٨/١].
(٤)الآلوسي،**روح المعاني** [١٧٨/٧]

وقد جاء هذا الترتيب عينه في آية أخرى بالابتداء بذكر المنام مضافا إلى ظرفه الغالب وهو "الليل" مقدما على النهار المعطوف عليه في قول الله تعالى: " ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [الروم:٢٣] " .

ولماذا تقديم الليل أصلا على النهار، هذا تقديم مطرد في القرآن الكريم ، فحيثما ذكر الليل والنهار يقدم الليل ولعله للسبق الزمني لليل في الوجود ، لأن الظلمة سابقة وجوديا على النهار وهذا ما يؤيده الحديث(١).

○ تأخير ما فيه تناسب مع السياق اللاحق

من ذلك تأخير قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ عن قوله تعالى : ﴿ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف: ٥٣] ، لأن بعده قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[الكهف: ٥٤]، وليس القصد هنا التناسب اللفظي فقط، بل التناسب المعنوي هو الأصل، لأن الآية اللاحقة على موضع الشاهد القصد منها ذكر المصرف عن النار الذي لم يأخذ به الكفار المذكورون في موضع الشاهد، ولو أخذوا به لوجدوه مصرفا لهم من النار يوم القيامة، فهو توبيخ لهم يوم القيامة، لأنهم لم يسلكوا مسلك النجاة وعظة وعبرة للأحياء.

ومن ذلك تأخير قوله تعالى : ﴿ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ عن قوله ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ [القمر:١] ، لأن بعده ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾، فانشقاق القمر آية من الآيات المعرض عنها، وتقديم ذكر اقتراب الساعة عليه، لأنه من تقديم الدعوى على دليل صدقها .

(١) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ القَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ ": «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ» [حكم الألباني:حديث حسن] ينظر: الترمذي، محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، **سنن الترمذي**،(تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر) (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٩٧٥ م،عدد الأجزاء: ٥ أجزاء [٢٦/٥]

○ ترتيب المتعدد في العطف بما يتناسب مع متعدد آخر في السياق

ومن وجوه هذا التناسب :

- **اللف والنشر بقسميه المرتب وغير المرتب**

اللف والنشر " أن يذكر متعدد، ثم يذكر ما لكل من أفراده شائعاً من غير تعيين، اعتماداً على تصرف السامع في تمييز ما لكلّ واحد منها، وردّه إلى ما هو له"(١) . وعرفه حبنكة بأنه : " فن في المتعددات التي يتعلق بكل واحد منها أمر لاحق، فاللف يشار به إلى المتعدد الذي يؤتى به أولا، والنشر يشار به إلى المتعدد اللاحق الذي يتعلق كل واحد منه بواحد في السابق دون تعيين"(٢).

ففي التعريفين السابقين قيد مهم ذكره كل من عرف اللف والنشر، وهو أن يذكر في متعدد النشر ما لكل من أفراد المتعدد في اللف من غير تعيين، ليخرج بذلك التقسيم الذي يكون مع التعيين (٣) .

وهناك قيد آخر لا ينبغي إغفاله ذكره الحموي وهو أن لا يكون المتعدد في اللف المفصل والنشر من الأضداد لتخرج بذلك المقابلة(٤). ويسمى أيضا الطي والنشر(٥)، "واشتقاقهما من قولهم: لف الثوب إذا جمعه، ونشر الثياب إذا فرقها"(٦).

والمتعدد السابق أي اللف له وجهان : إما أن يأتي مفصلا وإما مجملا (٧). والذي يعنيني هنا هو اللف المفصل(٨)، ويأتي معه النشر: إما على وفق ترتيبه، ويسمى "اللف والنشر المرتب"، بحيث تكون هناك

---

(١) الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت: ١٣٦٢هـ)، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، عدد الأجزاء: ١ [٣١٠/١]

(٢)حبنكة، عبد الرحمن حسن الميداني (ت: ١٤٢٥هـ)، **البلاغة العربية** ،دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت،ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م،عدد الأجزاء: ٢، [ص ٤٠٣]

(٣) حبنكة، **المرجع السابق**[ص ٤٠٣]، [الهاشمي، **المرجع السابق**[٣١١/١]

(٤) الحموي ، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي (ت: ٨٣٧هـ)، **خزانة الأدب وغاية الأرب**،(المحقق: عصام شقيو)، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، ٢٠٠٤م عدد الأجزاء: ٢ [١٤٩/١]

(٥) الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع** [٣١٠/١]

(٦) العلوي،**الطراز**:٢١٢/٢

(٧) الحموي ، **خزانة الأدب وغاية الأرب** [١٤٩/١]

(٨) أما اللف المجمل، فالنشر بعده مجرّد بيانٍ تفصيليّ للمجمل[حبنكة، البلاغة العربية:٤٠٧] ، فلا يظهر فيه أثر المتعدد في اللف في ترتيب المتعدد في النشر، لأن المتعدد في اللف مجمل لا سبيل لمعرفة ترتيبه [الحموي، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، ١٤٩/١] وعندها يكون ترتيب النشر لاعتبارات ليس من بينها موافقته ترتيب اللف، ومن هنا كان المقصود بحثه اللف المفصل ونشره دون اللف المجمل ونشره . ومن الأمثلة التي ذكرها حبنكة على اللف المجمل والنشر المفصل - وهو من عطف المفردات- قول الله: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٨ – ٢٣٩]،حيث جاء اللَّفُّ المجمل في عبارة: {فَإنْ خِفْتُمْ} خطاباً للمؤمنين حالة الحرب، وبعده جاء النشر المفصّل في عبارة {فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً}. [حبنكة،**البلاغة العربية**:٤٠٧].

علاقة بين المتقدمين في كل من اللف والنشر، وعلاقة أخرى بين المتأخرين فيهما، وإما أن يأتي ترتيب النشر على خلاف ترتيب اللف، وهما طريقتان فصيحتان في الكلام.

وفي ظني أن ما جاء من اللف والنشر مرتبا، جاء على الأصل بدليل أنه " الأكثر والأشهر"(١). وما جاء على خلاف ترتيب اللف ، جاء على خلاف الأصل . وهذا الأخير هو الذي يحتاج إلى تعليل مجيئه كذلك، بأن يقال: هو من الابتداء في النشر بما ذكر آخرا في اللف لأنه الأهم، وتبين هذه الأهمية .

وهذا عندي أصح من أن يقال إنه من الابتداء بالأهم في المسلكين كما ذهب إليه أبو حيان(٢)، لأنه يجعل ما جاء مرتبا هو أيضا بحاجة لتعليله بكونه من تقديم الأهم، وكأنه لا يراه أصلا في ترتيب اللف والنشر .

وتجدر الإشارة إلى أن اللف والنشر المعكوس يكون فيه - في كثير من أحواله - قصْدُ ملاحظة أمرين بليغين :

الأول: علاقة المتجاورين في الوسط، وهو المقصود أصالة من التعكيس .

الثاني: الانتهاء بما بدئ به، وهو بديعة معنوية تسمى: "رد العجز على الصدر" (٣)، وهو المقصود تبعا.

أولا: الشواهد على اللف والنشر المرتب

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ ... وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ... فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ [العنكبوت: ٣٨ - ٤٠] ، في الآية لف ونشر مرتب من أربع مقابل أربع ، بذكر ما حل من العقوبة بالأقوام الأربعة على الترتيب، فقوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴾ ل﴿ عَاد ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾لـ ﴿ ثَمُودَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾لـ﴿ قَارُونَ }، وقوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ ل﴿ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ} .

ومن الشواهد قوله تعالى : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٦١]

---

(١) الحموي ، **خزانة الأدب وغاية الأرب**[١٤٩/١]
(٢)أبوحيان ،**البحر المحيط** [٣٧٤/٦]
(٣)حبنكة، **البلاغة العربية** ، ٥١٤

ففي الآية لفان ونشران متداخلان : فقوله: ﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ نشر مرتب للف المفصل قبله، وهو قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ، وأيضا المتعدد ﴿عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ هو بدوره نشر مرتب للف قبله ﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾.

وهذان النشران مرتبطان باللفين قبلهما بعلاقة السبب في النشر بالمسبب في اللف بالتقابل على التوزيع، بحيث يقابل السبب المتقدم في النشر المسبب المتقدم في اللف، والمتأخر هنا المتأخر هناك.

وهناك اعتبار آخر أجازه كثير من المفسرين غير قائم على أساس وجود لفين ونشرين متداخلين، بل لف واحد ونشرين(١)، بمعنى أن العصيان والاعتداء ليسا سببا في الكفر بآيات الله وقتل الأنبياء بل كل ذلك أسباب أربعة لضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب من الله.

ثانيا: الشواهد على اللف والنشر غير المرتب

من شواهده قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠ – ٣٢].

ففيه لف ونشر معكوس، حيث ذكر في اللف السموات والأرض، وابتدأ في النشر بالتفصيل في الأرض قبل السموات، للابتداء بالمقدم رتبة : وهو الأرض لقربها منا، وللانتهاء بما بدئ به لشرفه وهو السموات.

ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢] . ففي الآية الكريم لفان ونشران ، الأول مرتب والثاني معكوس، فالمرتب بين ذكر (آيتي: الليل والنهار) أولا، وذكر (محو آية

---

(١) قال أبو السعود: " أي جرَّهم العصيانُ والتمادي في العُدوان إلى ما ذُكر من الكفر وقتلِ الأنبياءِ عليهم السلام فإن صِغارَ الذنوب إذا دُووِمَ عليها أدتْ إلى كبارها كما أن مداومةَ صغارِ الطاعات مؤديةٌ إلى تحرّي كبارِها وقيل كُرِّرت الإشارةُ للدلالة على أن ما لَحِقَهم كما أنه بسبب الكفر والقتلِ فهو بسببِ ارتكابِهم المعاصيَ واعتدائهم حدودَ الله تعالى" [أبو السعود، **تفسير أبي السعود**:١/١٠٧] ومثله ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**:١/٥٣٠. وقال الرازي:"وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ إِنْزَالَ الْعُقُوبَةِ بِهِمْ بَيَّنَ عِلَّةَ ذَلِكَ فَبَدَأَ أَوَّلًا بِمَا فَعَلُوهُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ جَهْلُهُمْ بِهِ وَجَحْدُهُمْ لِنِعَمِهِ ثُمَّ ثَنَّاهُ بِمَا يَتْلُوهُ فِي الْعِظَمِ وَهُوَ قَتْلُ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ ثَلَّثَهُ بِمَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي تَخُصُّهُمْ ثُمَّ رَبَّعَ بِمَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنَ الْمَعَاصِي الْمُتَعَدِّيَةِ إِلَى الْغَيْرِ مِثْلَ الِاعْتِدَاءِ وَالظُّلْمِ، وَذَلِكَ فِي نِهَايَةِ حُسْنِ التَّرْتِيبِ." [الرازي،**التفسير الكبير**: ٣/٥٣٥]

الليل وجعل آية النهار مبصرة) ثانيا، وموضع الشاهد هنا هو المعكوس بين المتعدد الثاني: ﴿ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً ﴾ والمتعدد الثالث: ﴿ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلًا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ﴾ . وذلك لأجل الابتداء في النشر بالفائدة الأهم وهي ابتغاء الفضل من الله، والذي يكون غالبا في النهار على فائدة : معرفة السنين والحساب، والمقصود هنا معرفة ذلك من منازل القمر الذي يظهر سلطانه في الليل، بدلالة قوله تعالى في آية أخرى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ﴾ [يونس: ٥] .

وقد يأتي ترتيب النشر لا على وفق ترتيب اللف ولا على عكسه نحو قوله تعالى :﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾ [الضحى: ٦ – ١١] ، فهذه الآيات تضمنت ست جمل ، الجمل الثلاث الأولى كما قال حبنكة " تضمنت أفكاراً ثلاثة مفصَّلة، فهي لفٌّ مُفصَّل، وجاء بعدها نَشْرٌ غَيْر مُرَتَّب على وفق ما جاء في هذا اللّف: فجملة: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴾ [الآية: ٩] ملائمة للجملة الأولى ومتعلّقة بها . وجُمْلَةُ: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴾ [الآية: ١٠] ملائمة للجملة الثالثة ومتعلّقة بها. وجُمْلَةُ: ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾ [الآية :١١] ملائمة للجملة الثانية ومتعلّقة بها، لأن معنى{ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ }: ووجَدَكَ جَاهِلاً فعَلَّمَكَ مَسَائل الدّين، وهي النّعمة الكبرى التي أنعم الله بها عليه وعلى الناس، وأتمَّها يوم أنزل على رسوله قوله في سورة المائدة ﴿ ...ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا ... ﴾[المائدة: ٣].

فالتحديث بِنِعْمَةِ اللَّهِ هو تَبْليغُ هذا الدّين وهدايةُ الناس إليه وتَعْلِيمُهم إيّاه. والحكمةُ في الترتيب الّذِي جاء في اللّف موافَقَةُ التَّرْتِيبِ الذي حَصَل في حياة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فالإيواءُ من الْيُتْمِ كان أوّلاً، والهدايةُ جَاءَتْ ثانياً قَبْلَ النبوّة وبعدها، والغِنَى جَاء ثالِثاً. والحكمةُ في الترتيب الذي جاء في النشر على خلاف الترتيب الذي جاء في اللّفّ: أنَّه جاءَ بتكاليف يَحْسُنُ فيها قَرْنُ النظائر بعضها مع بعض، فالنَّهْيُ عن قهر اليتيم يلائمه النهي عن نَهْرِ السائل، وبَعْدَ ذَلِك يَحْسُن الخَتْمُ بالأمْرِ بتبليغ الدّين والتحديثِ بما أنعم اللَّهُ به على رسوله من عِلْمٍ وهُدى" (١).

(١) حبنكة، **البلاغة العربية** ، ٤٠٦

- **التقسيم على نحو ترتيب اللف وعلى عكسه**

التقسيم: أن يذكر متعدد، ثم يضاف إلى كل من أفراده ماله على جهة التعيين(١)، فالتقسيم كاللّف والنشر:

والنشر: في ذكر متعدّد أوّلاً مفصَّلٍ أو مجمل، وإتباعه بمتعدّد آخر يتعلّق كلّ واحدٍ من أعداده بواحدٍ من المتعدّد السابق، باستثناء قَيْدٍ واحد، فالتقسيم فيه تعيين كلِّ واحدٍ من المتعدّد اللاّحق بصاحبه من المتعدّد السابق، بخلاف اللّف والنشر إذ القيد فيه أن يكون بدون تعيين، وأن يكون الاعتماد فيه على فهم المتلقّي، وهذا هو الفرق بينهما، ويمكن تسمية هذا التقسيم "تقسيم اللّف والنشر" (٢).

أولا: الشواهد على التقسيم على نحو ترتيب اللف

قوله تعالى﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٤ - ٦]، فقد جاء المتعدّد الأول مُفصَّلاً: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴾ ، وجاء المتعدّد في التقسيم مفصّلاً مُعَيَّناً ، وعلى وفق الترتيب في اللف .

ونلاحظ أننا عللنا هنا تقديم التفصيل الأول لإهلاك ثمود على التفصيل الثاني لإهلاك عاد لمناسبة ذلك تقديم تكذيب ثمود على تكذيب عاد أي لأنه تقسيم لف ونشر مرتب، ولكن السؤال باق، وهو: لماذا كان لف التقسيم ونشره كل ذلك بتقديم ما تعلق بثمود على عاد؟. علما بأن وجود عاد وهلاكها أسبق زمنيا من ثمود، والذي أراه بعد تدبر الآية أن ذلك راجع إلى مناسبة تقديم إهلاك ثمود لسياقه السابق، وتحديدا: مناسبة سرعة إهلاك ثمود بالطاغية لذكر القارعة قبله أي يوم القيامة الذي هو في سرعة حدوثه كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ، بخلاف إهلاك عاد الذي استمر سبع ليال وثمانية أيام حسوما.

ومن الشواهد أيضا قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ ... وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ ... ﴾ [هود: ١٠٥ - ١٠٨]والأمر فيه بين.

(١) الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**[٣١١/١] ويطلق التقسيم أيضا على أمرين آخرين أوَّلهما - أن تستوفى أقسام الشيء، نحو قوله تعالى ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ ﴾ [طه:٦]. وثانيهما - أن تذكر أحوال الشيء، مضافاً إلى كل منها ما يليق به كقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤] ، ينظر [الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**،٣١١/١] ،[حبنكة، **البلاغة العربية** ، ٤٠٨-٤١٣٨]، وسمى حبنكة الأول التقسيم المستوفى والثاني التقسيم المذيل.

(٢)حبنكة، **البلاغة العربية** [٤٠٨/٢-٤٠٩]

ثانيا: الشواهد على التقسيم على خلاف ترتيب اللف

منه قوله تعالى :﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٦ – ١٠٧]،

حيث جاء المتعدّد الأول بعبارة: ﴿ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ ﴾ ، وجاء تقسيمه وبيان أحكام كلِّ قسم على التعيين، وعكس ترتيب المتعدد الأول بتقديم عبارة: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ... ﴾ على عبارة: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ... ﴾.

قال الآلوسي: " وابتدأ بحال الذين اسودت وجوههم لمجاورته وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ وليكون الابتداء والاختتام بما يسر الطبع ويشرح الصدر"[(١)].

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

قال أبو حيان: " شَبَّهَ الْحَقَّ بِمَا يَخْلُصُ مِنْ جُرْمِ هَذِهِ الْمَعَادِنِ مِنَ الْأَقْذَارِ وَالْخَبَثِ وَدَوَامِ الِانْتِفَاعِ بِهَا، وَشَبَّهَ الْبَاطِلَ بِالزَّبَدِ وَالْمُجْتَمِعِ مِنَ الْخَبَثِ وَالْأَقْذَارِ، وَلَا بَقَاءَ لَهُ وَلَا قِيمَةَ. وَفَصَّلَ مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ وَمِنَ الزَّبَدِ، فَبَدَأَ بِالزَّبَدِ إِذْ هُوَ الْمُتَأَخِّرُ فِي قَوْلِهِ: زَبَدًا رَابِيًا، وَفِي قَوْلِهِ: زَبَدٌ مِثْلُهُ، وَلِكَوْنِ الْبَاطِلِ كِنَايَةً عَنْهُ وَصْفٌ مُتَأَخِّرٌ، وَهِيَ طَرِيقَةٌ فَصِيحَةٌ يَبْدَأُ فِي التَّقْسِيمِ بِمَا ذُكِرَ آخِرًا كَقَوْلِهِ: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ} [آل عمران:١٠٦] وَالْبِدَاءَةُ بِالسَّابِقِ فَصِيحَةٌ مِثْلُ قَوْلِهِ: {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ...} [هود: ١٠٥-١٠٦] وَكَأَنَّهُ- وَاللَّهُ أَعْلَمُ- يَبْدَأُ فِي التَّفْصِيلِ بِمَا هُوَ أَهَمُّ فِي الذِّكْرِ"[(٢)] .

وقد حاول البعض بيان وجه هذه الأهمية في الابتداء بالزبد ، قال البقاعي: " شرع في شرحه[أي المثل]، فقال مبتدئاً بما هو الأهم في هذا المقام، وهو إبطال الباطل الذي أضلهم "[(٣)].

---

(١)الآلوسي،**روح المعاني**[٢/٢٤٢]
(٢) أبوحيان ،**البحر المحيط** ، [٦/٣٧٤]
(٣) البقاعي ،إبراهيم بن عمر (ت: ٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،عدد الأجزاء: ٣١٧/١٠،٢

وقال القاسمي: " ولك أن تقول النكتة فيه أن الزبد هو الظاهر المنظور أوّلا. وغيره باق متأخر في الوجود لاستمراره" [(١)].

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الأنعام:١٣٦].

والحكمة عندي في مجيء ترتيب التفصيل على خلاف ترتيب المتعدد السابق له ، الإشارة إلى أن المشركين من الناحية النظرية قدموا ما لله – بزعمهم - على ما لهم، تقديم شرف وفضل أو تقديما للطبع، وذلك في قولهم : ﴿ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ ﴾، لكنهم من الناحية العملية صانوا نصيبهم واعتدوا على ما زعموه نصيبا الله ، فكان التقديم من الناحية العملية لما جعلوه لأنفسهم، لأنه هو المقدم شرفا فعليا، لأنه مصان محفوظ من الاعتداء، وهذا منتهى القبح.

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٥٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٥ – ٥٧].

قال الألوسي في بيان تقديم الأول في التفصيل **:"** ولأنه أقرب في الذكر لقوله تعالى : ﴿ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ [آل عمران: ٥٥] " ، وأتمم ما قال، فأقول: وليكون الابتداء والاختتام بما يسر الطبع ويشرح الصدر.

(١) القاسمي،محمد بن محمد (ت: ١٣٣٢هـ)، **تفسير القاسمي (المحاسن التأويل)**،(تحقيق محمد باسل عيون السود)،دار الكتب العلميه ، بيروت،ط١، ١٤١٨ هـ،٢٧٧/٦

وفي سورة الواقعة مثال يصلح أن يكون شاهدا على التقسيم المتداخل

فقد بدأ تعالى في السورة بذكر أقسام الناس عند موقف الحساب يوم القيامة، مبتدئا بأصحاب اليمين فأصحاب الشمال فالسابقين المقربين، في الآيات[٧-١١] (١)، ثم ذكرالتفصيل في أحوال أهل الجنة والنار الذي يتبع ذلك الحساب، ابتداء بالمقربين فأصحاب اليمين فأصحاب الشمال في الآيات [١٢-٥٦]، ثم ختم السورة بما يكون عند الموت من بشرى الميت بحسن العاقبة أو سوئها، ابتداء بالبشرى بحسن العاقبة للمقربين فأصحاب اليمين فالبشرى بسوء العاقبة لأصحاب الشمال في الآيات [٨٣-٩٤].

وبالنظر في هذه المتعدات الثلاثة : الأول: بيان تصنيفهم يوم الحساب ، والثاني : النعيم في الجنة والعذاب في النار، والثالث:حالهم عند الاحتضار، نجد أن بين الأولين: المتعدد الثاني جاء على غير ترتيب المتعدد الأول ، وهذه هي علاقة التقسيم الأولى، ففي المتعدد الأول : حال انقسام الناس إلى الأزواج الثلاثة يوم البعث: بدْءاً بأصحاب اليمين فأصحاب الشمال فالمقربين ، وفي المتعدد الثاني: وصف حال الناس من حيث النعيم أو العذاب ، بدْءاً بأحوال المقربين فأصحاب اليمين فأصحاب الشمال. والسبب فيما أرى أن علاقة المتعددين هي الإجمال والتفصيل ، والإجمال يكون بقصد التشويق لمعرفة التفاصيل بعده، فخولف في ترتيب الإجمال فلم يأت على الأصل بالتقديم حسب الشرف بتقديم المقربين على أصحاب اليمين، وإنما جاء المقربون آخرا في الإجمال ليتصل ذكرهم آخرا في الإجمال بذكرهم أولا في التفصيل، والنكتة بهذا الاتصال عندي هي عدم مكابدة حرقة الانتظار لسماع تفصيل نعيم هؤلاء المقربين خاصة، لأنهم أعظم من تشتاق نفس المؤمن وتتشوف إلى معرفة تفاصيل ما أعد الله لهم، عسى الله أن يحشرنا معهم بمنه وكرمه.

وهناك ملحظ آخر غير ما ذكرت، ذكره الخازن: " فإن قلت لم أخر ذكر السابقين وكانوا أولى بالتقديم عن أصحاب اليمين. قلت فيه لطيفة وذلك أن الله تعالى ذكر في أول السورة من الأمور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فإما محسن فيزداد رغبة في الثواب وإما مسيء فيرجع عن إساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا

---

(١) انتهى التفصيل للأزواج الثلاثة يوم البعث إما بالآية :﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ [الواقعة: ١٠]، وإما بما تلتها : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة: ١١] . وما بعد ذلك على اختلاف التقديرين هو ابتداء حديث متعلق بوصف حال آخر يعقب حال الحساب وهو حال النعيم أو العقاب.

يحزنهم الفزع الأكبر ليجتهد أصحاب اليمين في القرب منهم" (١). فالخازن نظر من زاوية مختلفة عن الزاوية التي نظرت منها ، فمرجع ترتيب الكلام عندي هو ملاحظة مناسبة تأخير ذكر السابقين في المتعدد الأول : (متعدد ذكر أقسام الناس يوم البعث) مع لاحق السياق، وهو الابتداء بوصف نعيمهم ، لتعجيل البشرى لهم خاصة بما أعد الله لهم .

وعند الخازن مرجع الترتيب هو ملاحظة المناسبة بين تقديم ذكر أصحاب اليمين مع سابق السياق ، لأنه في ذكر أمور هائلة عند قيام الساعة فيها تخويف يناسبه تقديم أصحاب اليمين لحاجتهم لمزيد صقل وتهذيب بهذا التخويف على نحو ما ذكر من كون التخويف لأصحاب اليمين يزيدهم إحسانا إن كانوا محسنين في أعمالهم أو يجعلهم يرجعون عن إساءتهم إن كانوا مسيئين. أما السابقون فهم مبعدون بتأخيرهم ذكرا عن هذا التخويف للدلالة على أنهم فعلا كذلك يوم القيامة، لأنهم الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر ليجتهد أصحاب اليمين في القرب منهم . وبتأمل التعليلين : أي ما قلته وما قاله الخازن يظهر أنه يمكن الجمع بينهما بأن يقال : هذا شاهد على ى ما ترتب بمقتضى السياق من جانبين في آن واحد: تقديم الأول للتناسب مع سابق الكلام ، وتأخير الثاني للتناسب مع لاحق الكلام . أما المتعدد الثالث ، أعني: أحوال الأزواج الثلاثة عند الموت، فجاء على وفق ترتيب المتعدد قبله: أحوالهم في الجنة أو النار، وكلا المتعددين جاءا على الأصل بتقديم المقدم شرفا وفضلا وهم المقربون، فالأدنى منهم وهم أصحاب اليمين، فالمعدمون شرفا وفضلا وهم أصحاب الشمال. ونلاحظ أن المتعدات الثلاثة لم تأت حسب السبق في زمن الإيجاد، فلم تبدأ السورة بأحوال هذه الأزواج الثلاثة عند الموت، فأحوالهم يوم الحساب، فأحوالهم أخيرا في الجنة أو النار، وإنما ابتدأت بأحوالهم يوم الحساب فما يليه من أحوالهم في الجنة والنار وأخيرا ما هو سابق عليهما في الوجود، وهو أحوالهم عند الموت، والسبب عندي واضح وهو مناسبة الابتداء بأحوال يوم القيامة لموضوع السورة، إذ موضوعها هو يوم القيامة وأهوالها وما يتبعه من النعيم والعذاب ، وأما ذكر الموت وأهواله فقد جاء تتمة له للتذكير بأن يوم القيامة ليس ببعيد، لأن من مات فقد قامت قيامته(٢).

---

(١) الخازن ، علي بن محمد ، (ت: ٧٤١هـ) ،**لباب التأويل في معاني التنزيل**، (تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١ ، ١٤١٥ هـ ٤/٢٣٥.

(٢) هذه العبارة جاءت مرفوعة إلي النبي صلى الله عليه وسلم بسند ضعيف، ولكن معناها صحيح . ينظر : الألباني،**سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة**، دار المعارف، الرياض ، ط١، ١٩٩٢ م، [٣/٣٠٩].

- **بحسن التقابل في معاني المتعددات**

هنا يراعى حسن التقابل في المعاني، إما التقابل بين فريقين من المعاني، كل فريق يجمع بين معنيين متقابلين أي بين عناصره طباق[(١)]، وهو ما أسميه التقابل بين طباقين، ويكون ترتيب عناصرالطباق المتأخر على وفق ترتيب عناصرالطباق المتقدم أو على خلافه.

وإما التقابل بين فريقين من المعاني: كل فريق يشكل طرف مقابلة[(٢)]، بمعنى أن كل فريق يجمع بين معنيين مؤتلفين لا متقابلين [(٣)]، ولا بد أن يكون التقابل بين طرفي المقابلة على الترتيب، بحيث يكون العنصر الأول في طرف يقابل الأول في الطرف الآخر، والثاني يقابل الثاني، وهو ما أسميه التقابل بين عناصر طرفي مقابلة. وهناك قسم آخر قليل الوجود في الذكر الحكيم هو التقابل بين مقابلتين .

---

(١) قال الهاشمي: "الطباق: هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، وهما قد يكونان اسمين نحو: قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾[الحديد: ٣] أو فعلين نحو: قوله ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٣ – ٤٤] ،أو حرفين نحو: قوله تعالى ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة:٢٢٨] أو مختلفين نحو: قوله تعالى ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٣٣] فيكون تقابل المعنيين وتخالفهما مما يزيد الكلام حسناً وطرافة " الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع** [٣١٠/١] ، وعرفه حبنكة بأنه " هو الْجَمْعُ في العبارة الواحدة بين معنَيْينِ متقابلين، على سبيل الحقيقة، أو على سبيل المجاز، ولو إيهاما" حبنكة، **البلاغة العربية**[ص ٣٧٧].
ومن كلام المحقق على هامش جواهر البلاغة : " والطباق ضربان: أحدهما طباق الايجاب: وهو ما لم يختلف فيه الضدان ايجابا وسلبا، نحو ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران:٢٦] وثانيهما طباق السلب: وهو ما اختلف فيه الضدان ايجابا وسلبا، بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد - أحدهما مثبت مرة، والآخر منفي تارة أخرى في كلام واحد - نحو ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١٠٨] أو أحدهما أمر، والآخر نهى نحو ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾[الأعراف: ٣] " الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع** [٣١٠/١] بتصرف . ويأتي التقابل في طباق الإيجاب على وجوه هي: تقابل الضدين، أو النقيضين، أوالتضايف.
تقابل التناقض: كالوجود والعدم، والإيجاب والسلب. تقابل التضاد: كالأسود والأبيض، والقيام والقعود. تقابل التضايُف: كالأب والابن، والأكبر والأصغر، والخالق والمخلوق. والنقيضان هما اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان. والضدان هما اللذان لا يجتمعان ولكن يمكن أن يرتفعا ، كالأبيض والأسود، وارتفاعهما يكون بوجود لون آخر كالأحمر والمتخالفان فهما المعنيان المتغايران دون أن يكون بينهما تناقض أو تضاد أو تضايف. حبنكة، **البلاغة العربية** [ص ٣٧٧].

(٢) المقابلة : هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، كقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥ - ١٠] وكقوله تعالى ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] " الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**[٣١٠/١] .
وتوسع الزركشي في تعريف المقابلة بأنها: " ذِكْرُ الشَّيْءِ مَعَ مَا يُوَازِيهِ فِي بَعْضِ صِفَاتِهِ وَيُخَالِفُهُ فِي بَعْضِهَا وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ الطِّبَاقِ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهَيْنِ:الْأَوَّلُ: أَنَّ الطِّبَاقَ لايكون إلا بَيْنَ الضِّدَّيْنِ غَالِبًا وَالْمُقَابَلَةَ تَكُونُ لِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ غَالِبًا. وَالثَّانِي: لَا يَكُونُ الطِّبَاقُ إِلا بِالْأَضْدَادِ وَالْمُقَابَلَةُ بِالْأَضْدَادِ وَغَيْرِهَا وَلِهَذَا جَعَلَ ابْنُ الأثِيرِ الطِّبَاقَ أَحَدَ أَنْوَاعِ الْمُقَابَلَةِ." **البرهان في علوم القرآن** [٤٥٨/٣] وأشار الزركشي إلى أنواعها عنده فقال: " وَهِيَ ثَلَاثَةٌ: نَظِيرِيٌّ، وَنَقِيضِيٌّ، وَخِلَافِيٌّ. ومثل على النظيري بِمُقَابَلَةُ السِّنَةِ وَالنَّوْمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نوم} لأَنهُمَا جَمِيعًا مِنْ بَابِ الرُّقَادِ الْمُقَابَلِ بِالْيَقَظَةِ. وعلى النقيضي بقوله تعالى: {وتحسبهم أيقاظا وهم رقود} ، وذكر أن السِّنَة وَالنَّوْم بِانْفِرَادِهِمَا مُتَقَابِلَانِ فِي بَابِ النَّظِيرَيْنِ وَمَجْمُوعِهِمَا يقابلان النَقِيضَ الَّذِي هُوَ الْيَقَظَةُ. وَمِثَالُ مُقَابَلَةِ الْخِلافَيْنِ مُقَابَلَةُ الشَّر بِالرَّشَدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أم أراد بهم ربهم رشدا} ، فَقَابَلَ الشَّرَّ بِالرَّشَدِ وَهُمَا خِلافِيَّانِ وَضِدُّ الرَّشَدِ الْغَيُّ وَضِدُّ الشَّرِّ الْخَيْرُ".الزركشي،**البرهان في علوم القرآن** [٣/ -٤٥٨-٤٥٩

(٣) ويسمى في علم البديع مراعاة النظير، وهو: الجمع في العبارة الواحدة بين المعاني التي بينها تناسبٌ وائتلاف ما، لا على سبيل تقابل التناقض أو التضاد أو التَّضايُف، الذي سبق في الطباق" حبنكة،**البلاغة العربية** [٣٨٢/٢]

أولا: التقابل بين عناصر طباقين

نحو قوله تعالى﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾[آل عمران: ٢٦] ، فالتناسب في الآية بين عناصر طباقين على سبيل الترتيب، بحيث يتناسب الطرفان المقدمان من الطباقين، ويتناسب الطرفان المتأخران منهما. والمناسبة هنا بين الطرفين المتقدمين كما بين المتأخرين هي تقدم السبب على المسبب، فإيتاء الملك هو سبب عز صاحبه ونزعه سبب ذلِّه.

ونحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه: ١١٨ – ١١٩] ، فالطباق الأول بين الجوع والعري (الخلو الداخلي والخلو الخارجي)، والثاني بين الظمأ والضحى (الاحتراق الداخلي والاحتراق الخارجي)، وهو على اعتبار الترتيب من الابتداء في الطباقين بالآفة الباطنة قبل الظاهرة [(١)].

ونحو قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٣ – ٤٤]، ويصلح أن يكون ترتيب الطباق اللاحق على وفق ترتيب الطباق السابق أو على عكسه . فعلى اعتبار الترتيب في الطباق الثاني على وفق الأول، يكون بملاحظة مناسبة الإضحاك للإماتة والإبكاء للإحياء ، فإن كثرة الضحك تميت القلب فهو مذموم [(٢)]، وهو من تقدم السبب. وكثرة البكاء تدل على حياة القلب، فهو من تقدم السبب أيضا، وقد جاء في الأثر في فضل البكاء : "عينان لا تمسها النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله" [(٣)] . وعلى اعتبار الترتيب في الطباق الثاني على عكس الترتيب في الأول، يكون في الكلام مناسبة بين القريبين: الإماتة والإبكاء، ومناسبة البعيدين: الانتهاء بالإحياء بالابتداء بالإضحاك ، وهي علاقة السببية بين الموت والبكاء ، وكذلك بين الحياة والضحك: فعند الموت يكون بكاء المحبين للميت، وعند ولادة الحياة يكون ضحك وسرور المحبين . قال الألوسي: " الموت يعقبه البكاء غالبا والإحياء عند الولادة الضحك "[(٤)].

---

(١) الزركشي،البرهان،[٤٦٥/٣] بتصرف
(٢)حسنه الألباني ، ينظر: الألباني،محمد ناصر الدين ، **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣، ١٩٨٨م،عدد الأجزاء : ٢ [١٠٠/١]
(٣) صححه الألباني ، المرجع السابق [٧٥٦/٢]
(٤)الألوسي، **روح المعاني** ، [٦٧/١٤]

ثانيا:- التقابل بين عناصر طرفي مقابلة

نحو قوله تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠] ، فالتسبيح بحمد الله ليقابل الإفساد، مقابلة النقيض لنقيضه، والتقديس ليقابل سفك الدماء مقابلة النقيض لنقيضه ، قال الزركشي:" فَقَابَلَ الْإِفْسَادَ بِالتَّسْبِيحِ وَالْحَمْدِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ بِالتَّقْدِيسِ. فَالتَّسْبِيحُ بِالْحَمْدِ إِذَنْ يَنْفِي الْفَسَادَ وَالتَّقْدِيسُ يَنْفِي سَفْكَ الدِّمَاءِ وَالتَّسْبِيحُ شَرِيعَةٌ لِلْإِصْلَاحِ وَالتَّقْدِيسُ شَرِيعَةُ حَقْنِ الدِّمَاءِ وَشَرِيعَةُ التَّقْدِيسِ أَشْرَفُ مِنْ شَرِيعَةِ التَّسْبِيحِ "(١).

ونحو قوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥ – ١٠] ، ففي هذا النصّ مقابلة بين فريقين من المعاني يوجد بين عناصرهما طباق، وهي رُبَاعٌ:الفريق الأول: أعْطَى - اتَّقَى - صَدَّق - الْيُسْرَى. والفريق الثاني: بخل - استَغْنَى، أي: طغَى فلم يَتَّقِ - كَذّبَ – الْعُسْرَى، لكن اليسرى والعسرى من العطف بالفاء فليستا موضع شاهد، فيبقى الشاهد في تقابل الأفرقة الثلاثة الأولى .

ونحو قوله تعالى:﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [القيامة: ٣١ – ٣٢] فقابل {صدق} بـ[كذب] و {صلى} الَّذِي هُوَ أَقْبَلَ بِـ {تَوَلَّى}(٢).

وقوله: ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ [عبس: ٥ - ١٠] فقابل بين { أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى } و{ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى } و بين{ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى }و{ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى }.

ثالثا:- التقابل بين مقابلتين، ولم أعثر على شاهد له إلا من عطف الجمل الخبرية وهو قوله تعالى: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾[آل عمران: ٢٧]، فهنا التناسب على سبيل الترتيب: بحيث يتناسب الطرفان المقدمان من المقابلتين فيما بينهما، ويتناسب الطرفان المتأخران . والمناسبة هنا بين الطرفين المقدمين من المقابلتين كما بين المتأخرين هي علاقة التعميم في الطرفين المقدمين مع التخصيص في الطرفين المتأخرين.

---

(١)الزركشي، **البرهان**،[٣/٤٥٩-٤٦٠]
(٢)المرجع السابق ،[٣/٤٥٩]

المطلب الثالث : ترتيب المتعاطفات بدلالة غرض المتكلم

قد يعمد المتكلم إلى ترتيب كلامه للدلالة على أغراض بلاغية خاصة، بعضها يظهر في التقديم وبعضها في التوسط، من ذلك:

أولا : أغراض بلاغية في التقديم ، وهي متنوعة، ومنها:

- **الاهتمام بما وقع فيه نزاع بين الناس في شأنه**، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾ [الإخلاص: ٣] .

أوْرَدَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ سُؤَالا فِي هَذِهِ الآيَةِ، وَهُوَ لِمَاذَا قَدّمَ نَفْي الوَلِدِية عَلَى نَفْي الوالدية؟ مَعَ أَنَّ الأَصْلَ فِي المَشَاهَدِ أَنْ يُولدَ ثمّ يَلِدُ ؟. وَأجَابَ الشنقيطي: بِأَنَّهُ مِنْ تَقْدِيمِ الأهَمِّ، لأنّهُ رَدّ عَلَى النَّصَارَى فِي قَوْلِهِمْ: عِيسَى ابْنُ اللَّهِ، وَعَلَى الْيَهُودِ فِي قَوْلِهِمْ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ، وَعَلَى قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ: الْمَلائِكَة بَنَاتُ اللَّهِ، وَلأَنَّهُ لمْ يَدَّعِ أحَدٌ أنَّهُ سُبْحَانَهُ مَوْلودٌ لأَحَدٍ، فَكَانَتْ دَعْوَاهُمُ الْوَلَدَ لِلَّهِ فِرْيَةٌ عُظْمَى (١).

فهو من تقديم المقصود بالذات على ما تتميم له لتقويته بالاستدلال بالمتفق عليه (انتفاء الوالدية) على صحة المتنازع فيه، وهو(انتفاء الوالدية) .

- **الاهتمام بما فيه مصلحة الضعيف والعاجز**، وَعِنْدَ الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ تَكُونُ الْعِنَايَةُ أَتَمَّ"(٢) .

ومنه تقديم ما للنساء من حقوق على ما للرجال للاهتمام بالاعتراف بتلك الحقوق وإيصالهن لهنَّ، لأن هناك مظنة التهاون في ذلك لضعفهن وعجزهن خصوصا في عصر التنزيل، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞ ﴾[البقرة: ٢٢٨]. قال ابن عاشور: " وكَانَ الاعتِنَاءُ بِذِكْرِ مَا لِلنِّسَاءِ مِنَ الْحُقوق عَلَى الرِّجَالِ، وَتَشْبِيهِهِ بِمَا لِلرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ لِأَنَّ حُقُوقَ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ مَشْهُورَةٌ، مُسَلَّمَةٌ مِنْ أَقْدَمِ عُصُورِ الْبَشَرِ، فَأَمَّا حُقُوقُ النِّسَاءِ فَلَمْ تَكُنْ مِمَّا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ أَوْ كَانَتْ مُتَهَاوَنًا بِهَا، وَمَوْكُولَةً إِلَى مِقْدَارِ حظْوَةِ الْمَرْأَةِ عِنْدَ زَوْجِهَا، حَتَّى جَاءَ الإِسْلَامُ فَأقامَهَا "(٣).

---

(١)الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت : ١٣٩٣هـ) ، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر ، بيروت ، لبنان، ١٩٩٥ مـ [١٥٣/٩]

(٢) الزركشي،**البرهان**، [٤٧٣/٣]

(٣)ابن عاشور،**التحرير والتنوير** [٢٧٣/٢]

- **الاهتمام ببيان أمر لغرابته**، ومنه قوله تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢] . والكلام في الآية عن صحابة رسول الله، والمقصود الاستغراب أن يكون من الصحابة يوم أحد من كان همه الأكبر الحصول على حظ من الغنائم، وجعله الزركشي من التقديم للكثرة(١)، وما ذكرته أولى بمقام الصحابة، لأنه لا يعقل أن يكون المريدون للدنيا هم الأكثرون.

- **الاهتمام ببيان أمر أكثر من غيره لتوفر دواعيه**

نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] ، فالاعتناء ببيان مشروعية التعجيل أشد، لأن التعجل نقصان، والنقصان مظنة وقوع الإثم به، فيظن عدم مشروعيته، بينما التأخر ليس مظنة حصول الإثم بل العكس هو مظنة حصول الأجر الزائد .

وإنما كان انتفاء الإثم عن التأخير من ناحية تشبهه بأعمال الكفار في الحج، حيث كان منهم المتعجل ومنهم المتأخر، وهذا المعنى موجود في التعجيل أيضا، لأن من الكفار من كان يتعجل أيضا. فيبقى تقديم التعجل لانفراده بكونه مظنة حصول الاثم فيه لكونه نقصانا كما سبق (٢).

- **التقديم لمحل الاهتمام عند المتكلم**

كتقديم افتراض استجابة المدعو لدعوة الخير على افتراض رفضها، لأن الأول هو الأحب حصوله عند المتكلم، كما في قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ [الفتح: ١٦]، ومنه قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال:٣٨]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ ﴾ [التوبة: ٣].

ونحو تقديم ما فيه استمرار الحياة الزوجية ما أمكن على ما فيه إنهاؤها، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ

---

(١) الزركشي، **البرهان** [٣/٢٦٠]

(٢) ينظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير** [٢/٣٩٦] بتصرف

إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ ﴾ [النساء: ١٩ – ٢٠]. ومثله قوله: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٢٦ - ٢٢٧] .

ونحو تقديم تنجية الناهين عن المنكر للاهتمام بشأنهم عند المتكلم ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾[الأعراف: ١٦٥].

وكان السياق يقتضي أن يذكر أخذهم بالعذاب لمَّا نسوا ما ذكروا به بلا فاصل، ويذكر بعده تنجية الناهين عن المنكر ، ولكن الله آثر أن يكون النظم على ما جاء عليه بتقديم تنجية الناهين عن المنكر للاهتمام بشأنهم عنده أكثر من شأن الآخرين . ومثله قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ ﴾ [يونس: ٧٣] ، ففيه ملحظ اهتمام المتكلم بشأن المؤمنين وتنجيتهم، إذ قدم هنا نجاة نوح ومن معه، ووراثتهم الأرض من بعد قومهم الهالكين على هلاك القوم، خلافا للظاهر الذي يقتضيه قوله تعالى «فكذبوه»، إذ المتوقع هنا هو الإخبار بعقوبتهم، لكنه جاء بدلا ذلك الإخبار بنجاة المؤمنين لمكانتهم عنده سبحانه والاهتمام بتنجيتهم.

- **التقديم لمحل الاهتمام عند المخاطب**

كما في قوله تعالى ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [يس: ٢٠ – ٢١] ، فقد ساق الرجل دليلين على صدق الرسل، وكان التقديم للأهم عند القوم، وهو ما فيه تطمين لهم على أموالهم، وأنه لا يأخذ منها شيئا، وذلك قبل الاستدلال على صدق الرسل بطهارتهم وكمال سيرتهم، وذلك لما جبل عليه الإنسان من حب المال، خاصة إذا كان كافرا .

ومنه تقديم ما للخطاب على ما عليه كما في قوله تعالى: ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴾ [المطففين: ١ – ٣] .

ومنه تقديم الابتلاء بالخير على الابتلاء بالشر، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ﴾ [الحج: ١١]. وفي قوله: ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ ﴾ [النساء: ٧٨]، وفي قوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ ﴾ [الأعراف: ١٣١] .

وكتقديم للترغيب على الترهيب لغرض التلطف بالمخاطب كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤]، وشواهده كثيرة .

ومما اجتمع فيه التقديم لمحل الاهتمام عند المخاطب والمتكلم معا قوله: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: ٢٦ – ٢٧]، فقدم الافتراض الأول ليوافق أهواء القوم بظهور براءة امرأة العزيز، ولاهتمام المتكلم بذلك أيضا لأنه من أهلها ، فهو منحاز إليها بهذا التقديم وليس حكما عدلا .

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤۡمِنٌ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨]، فقدم مؤمن آل فرعون في كلامه الافتراض الأول بكذب موسى لاهتمام القوم بحصوله، وليظهر هو نفسه بمظهر المهتم بحصوله أيضا، لأنه كان يكتم إيمانه عنهم.

ومنه قوله: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧]، تقديم الترغيب على الترهيب لغرض التلطف بالمخاطب من ناحية والتقديم لمحل الاهتمام عند المتكلم من ناحية أخرى، وهي حصول الشكر منهم .

- **التقديم للإيذان باستحقاق الاستقلال في الذكر**

كما في الآية: ﴿ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـًٔاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ [الكهف: ٣٣] . قال أبو السعود:" ولعل تأخير ذكر تفجيرِ النهر عن ذكر إيتاء الكل مع أن الترتيب الخارجيَّ على العكس للإيذان باستقلال كلَ من إيتاء الأكل وتفجيرِ النهر في تكميل محاسنِ الجنتين ... ولو عكس لانفهم أن المجموعَ خَصلةٌ واحدة بعضُها مترتبٌ على بعض فإن إيتاءَ الأكلِ متفرِّعٌ على السقْي عادةً، وفيه إيماءٌ إلى أن إيتاء الأكلِ لا يتوقف على السقى كقوله تعالى {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيء وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} "[(١)] .

---

(١) أبو السعود، **تفسير أبي السعود**[٥/٢٢١]

- **تعجيل الثناء للمؤمنين من جهة و التأييس والإغاظة للكفار من جهة أخرى**

نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ [البقرة: ٢٦]. قال ابن عاشور: "وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ هُنَا الثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ بِثَبَاتِ إِيمَانِهِمْ وَتَأْيِيسِ الَّذِينَ أَرَادُوا إِلْقَاءَ الشَّكِّ عَلَيْهِمْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا مَدْخَلَ فِيهَا لِذَلِكَ الشَّكِّ"(١). إذن، هما سببان لتقديم ذكر المؤمنين لا واحد ، فالأول هو التقديم للشرف والفضل فهو ترتيب طبيعي ، ومع التقديم للشرف هناك قصد تأييس الكفار من تشكيك المؤمنين في دينهم .

ومثل ذلك يقال في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥] ، فالقائل أيكم زادته هذه إيمانا هم المنافقون، يقولون ذلك استهزاء وإنكارا له فجاء الرد المفحم لهم بتقديم من تزيدهم إيمانا وهم المؤمنون حقا.

- **التقديم لإظهار ثقة المتكلم بنفسه وزعزعت ثقة المخالف بنفسه في المناظرات**

كما في قوله تعالى:﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٥].

قال ابن عاشور: " ابتدَأ السَّحَرَةُ مُوسَى بِالتَّخْيِيرِ فِي التَّقَدُّمِ إِظْهَارًا لِثِقَتِهِمْ بِمَقْدِرَتِهِمْ وَأَنَّهُمُ الْغَالِبُونَ، سَوَاء ابْتَدَأَ السَّحَرَة مُوسَى بِالْأَعْمَالِ أَمْ كَانُوا هُمُ الْمُبْتَدِئِينَ، وَوَجْهُ دَلَالَةِ التَّخْيِيرِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ التَّقَدُّمَ فِي التَّخْيِيلاتِ وَالشَّعْوَذَةِ أَنْجَحُ لِلْبَادِئِ لِأَنَّ بَدِيهَتَهَا تَمْضِي فِي النُّفُوسِ وَتَسْتَقِرُّ فِيهَا، فَتَكُونُ النُّفُوسُ أَشَدَّ تَأَثُّرًا بِهَا مِنْ تَأَثُّرِهَا بِمَا يَأْتِي بَعْدَهَا، وَلَعَلَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَرَادُوا أَنْ يَسْبُرُوا مِقْدَارَ ثِقَةِ مُوسَى بِمَعْرِفَتِهِ مِمَّا يَبْدُو مِنْهُ مِنَ اسْتِوَاءِ الْأَمْرَيْنِ عِنْدَهُ أَوْ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُقَدَّمَ، فَإِنَّ لِاسْتِضْعَافِ النَّفْسِ تَأْثِيرًا عَظِيمًا فِي اسْتِرْهَابِهَا وَإِبْطَالِ حِيلَتِهَا "(٢).

وقد يكون الترتيب فيه لإظهار أدب من آداب المناظرات بالبدء بالمخالف، وإن كان الغرض الأول ألطف عندي .

---

(١)ابن عاشور، **التحرير والتنوير**[٣٦٤/١]

(٢)المرجع السابق[٤٧/٩]

- **التقديم للمبالغة في الحث والتحضيض**

كالتقديم في تعليل استحقاق المشركين الوعيد كونهم لا يزكون على كونهم لا يؤمنون بالآخرة، فالمبالغة فيه من خلال هذا التقديم الذي يجعل أخص صفات المشركين الدالة عليهم ليس الكفر بالآخرة، بل تركهم الزكاة وهذا من قبيل المبالغة .

والقصد من ذلك حث المؤمنين على أداء الزكاة و تحذيرهم من التقصير فيها فيتشبهوا بأخص صفات الكفار، وذلك في قوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ٦ - ٧].

قال حبنكة: " إنّ عبارة {الذين لاَ يُؤْتُونَ الزكاة} من الإِطناب، لأنّ المشركين لا يُزَكُّونَ. والداعي لهذا الإِطناب حثُّ المؤمنين على أداء الزكاة، وتحذيرهم من المنع إذْ أبان الله أنَّهُ من صفات المشركين، وفيه دلالة على أنَّ من آثار الشرك جَفَافَ الرحمة على ذوي الحاجات، فهم لا يشعرون بمشاعر ذوي الحاجات، بخلاف المؤمنين بالله واليوم الآخر، إذ الإِيمان يولّد في قلوبهم خلق الرحمة، وعاطفة حبّ العطاء ومساعدة ذوي الحاجات"(١).

وأنا معه فيما ذكر ، ولكنه لم يبين سبب تقدم هذا الإطناب على كفر المشركين بالآخرة، والنكتة عندي في ذلك قصد المبالغة في الحث على الزكاة على نحو ما بينت سابقا .

---

(١)حبنكة،**البلاغة العربية** [٦٤/٢]

ثانيا : أغراض بلاغية في التوسط

وأعني هنا نوعا من التوسط أسميه التوسط بين الشجر ولحائه ، وذلك بافتراض وجود متعاطفات ثلاثة بينها اشتراك في المعنى المصحح للعطف، وبين المتطرفتين اشتراك في معنى خاص هو من محسنات تجاورها ، لكن لا يجاور بينهما، بل يتوسطهما من لا يشاركهم في هذا المعنى الخاص، فيفصل بينهما فصل الشجر عن لحائه أو البصلة عن قشرتها لغرض من الأغراض البلاغية.

فمن هذه الأغراض البلاغية في التوسط :

- **الحث والتحضيض**

كما في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ... ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فهنا المتوسط هو صدقة النفل توسطت بين أركان الإيمان وأهم أركان الإسلام أو بتعبير آخر المتوسط هو حسن المعاشرة مع العباد توسط بين صحةِ الاعتقاد وتهذيبِ النفس .

والقصد من إنزال التنفل بالصدقات موقع التوسط من الكلام خصوصية الاعتناء والتحثيث على إتيان هذا النوع من الصدقات، لأنه مظنة الإهمال لعدم وجوبه بخلاف حال من توسطهما ، ولأنه أهم ما يستحق به صاحبه اسم الأبرار الذي تصدرت الآية الكلام عن معناه.

وجعل أبو السعود الحث على هذا النفل حاصل من ملاحظة تقدم صدقة النفل على ما هو أهم منها وهو فريضة إيتاء الزكاة [(١)]. وهو توصل للنتيجة ذاتها من طريق آخر، ولكل وجهة هو موليها.

- **الإيذان باستحقاق انتظام المتوسط في سلك من توسطهما من المعجزات العظيمة لتوفر دواعيه**

ومنه قوله تعالى:﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [آل عمران: ٤٩] .

---

(١)أبو السعود،**تفسير أبي السعود**[١/١٩٤] وقال أيضا:"والآيةُ الكريمة كما ترى حاويةٌ لجميع الكمالات البشرية برُمَّتها تصريحاً أو تلويحاً لما أنها مع تكثُّر فنونها وتشعُّب شجونِها منحصرةٌ في خِلالٍ ثلاث صحةِ الاعتقاد وحسنِ المعاشرة مع العباد وتهذيبِ النفس وقد أشير إلى الأولى بالإيمان بما فُصِّل وإلى الثانية بإيتاء المالِ وإلى الثالثة بإقامة الصلاة "المصدر السابق[١/١٩٤-١٩٥].

فهنا توسط بين الشجر ولحائه: بين بعثين للحياة ، بعث للحياة في الجماد وبعث للحياة في الموتى، والأول أعجب وأدل على القدرة ولذلك قدم .

فالفصل بينهما بغرض الاعتناء بالمتوسط لا للدلالة على أنه أعجب منهما، بل لينتظم بتوسطه في مستوى واحد في سلك المعجزات العظيمة، لأنه مظنة قلة الاكتراث بشأنه مقارنة بهما.

وفي المائدة نفس الترتيب بالتوسط بين الشجر ولحائها لكن في عطف المفردات لا الجمل ، ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴾ [المائدة: ١١٠]. ومما يؤكد أن الترتيب هو من الفصل بين الشجر ولحائه أننا نلاحظ اختصاص معجزتي الإحياء بتصدر الظرف {إذ} دون معجزة الإشفاء، وكذلك في آل عمران نلاحظ اختصاص معجزتي الإحياء بذكر الاحتراس {بإذن الله} دون معجزة الإشفاء.

- **الوصاية والمحافظة على الشيء**

نحو قوله: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨].

فالعلاقة الخاصة التي تجمع بين الصلاة والإنفاق أو الزكاة أشهر من علم، فتوسط الشورى بينهما هو من التوسط بين الشجر ولحائه لغرض بلاغي هو المحافظة على تطبيق مبدأ الشورى ورعاتها، وإنما قلت المبالغة لأنه سبحانه أحاطها بسياجين عظيمين هما أعظم أركان الإسلام، الأول: أم العبادات البدنية، والثاني أم العبادات المالية، وهما شعار الإسلام. والذي يزيد هذا الغرض حسنا أنه جاء في سورة الشورى، فهو ترتيب مقصود لا تخطئه العين لإبراز الوصاية بالشورى وحفظها في سورتها.

وقد حاول عبد الكريم الخطيب[١] أن يجد أوجه من الروابط بين الصلاة والشورى خاصة دون الزكاة ليسوغ تقدم الشورى على الزكاة، وأخرى بين الشورى والزكاة استدعت تجاورهما وتعاطفهما لم تخل من التكلف. والذي أراه هو عدم وجود مثل هذه العلاقات الخاصة، بل العلاقة الخاصة الوحيدة هي بين الصلاة من ناحية والإنفاق من ناحية أخرى ، وهذا ما تؤيده مواضع اقترانهما الكثيرة في القرآن والسنة.

إلا أنه عاد فقال في آخر حديثه "نرى كيف احتفاء الإسلام بالشورى، وكيف أنه أفسح لها مكانا بين فريضتين من فرائضه، هما الصلاة والزكاة، اللتان آخى بينهما فى كل موضع جاء فيه ذكرهما فى القرآن

---

(١) عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي ،القاهرة [١٣/٦٨-٧١]

الكريم...[و] الفصل بين الصلاة والزكاة بالشورى، فهو لما للشورى من منزلة فى ذاتها، وأنها جديرة بأن تكون فى هذا المقام، وأن تتوسط أعظم فريضتين من فرائض الإسلام، وأهم ركنين من أركانه، بعد الإيمان بالله"[(١)] ، وهو كلام يتفق معه الباحث.

- **الشرف والفضل**

نحو قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[البقرة: ٢٥٣].

فالمقصود بالمتوسط عند جمهور المفسرين محمد صلى الله عليه وسلم[(٢)]، وعندي هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وسواء أكان المقصود إبراهيم أم محمد - وهو من نفس الدوحة - فهما في المنزلة والفضل أعلى مقاما من: الرسولين الكريمين: موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، وإبراهيم قبلهما زمانا ومحمد بعدهما زمانا عليهم جميعا أفضل الصلاة والتسليم، فالترتيب ليس طبيعيا، وإنما هو عندي من التوسط بين الشجر ولحائه ليعكس شرف التوسط من الكلام الشرف والفضل في واقع الأمر .

وإنما كان إبراهيم هو المقصود عندي في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾، لأنه إذا كان المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ ﴾ من تقدم ذكرهم في سورة البقرة قبل هذه الآية - وهو الظاهر- فإبراهيم عليه السلام هو الذي أشادت البقرة بفضله وشرفه بشكل لافت أكثر من غيره ، خاصة في الآيات:[١٢٤- ١٤١] .

وأيضا هذا التعبير هو نفسه الذي جاء في حقه عليه السلام في سورة الأنعام حيث قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ ﴾ [الأنعام: ٨٣] ، وقد ورد هذا التعبير في حق يوسف أيضا: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦]، إلا أن يوسف لم يرد ذكره في سورة البقرة، فهو ليس ممن أشير إليهم بقوله تعالى:﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ ﴾ بخلاف إبراهيم عليه السلام.

---

(١)الخطيب، عبد الكريم ، **التفسير القرآني للقرآن** [٧٢/١٣]

(٢)الطبري،**تفسيرالطبري** ٣٧٨/٥- ٣٧٩، أبو السعود، **تفسير أبي السعود** ٢٤٦/١،الزمخشري، **الكشاف** ،٢٩٧/١. قال الزمخشري: " والظاهر أنه أراد محمداً صلى الله عليه وسلم لأنه هو المفضل عليهم، حيث أوتى ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر. ولو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلا منفياً على سائر ما أوتى الأنبياء، لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات. " وغيرهم.

وأما سر مجيء الكلام مبهما فقد بينه الزمخشري، إذ يقول: " وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى، لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه، والمتميز الذي لا يلتبس. ويقال للرجل: من فعل هذا؟ فيقول: أحدكم أو بعضكم، يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الأفعال، فيكون أفخم من التصريح به وأنوه بصاحبه. وسئل الحطيئة عن أشعر الناس؟ فذكر زهيراً والنابغة ثم قال: ولو شئت لذكرت الثالث، أراد نفسه، ولو قال: ولو شئت لذكرت نفسي، لم يفخم أمره." (١).

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠].

توسط السلام على عباد الله بين التخلية والتحلية للتشريف والتنويه بشأن هؤلاء المؤمنين لأنهم يشتغلون بأفضل ما يشتغل به الذاكرون وعلى أكمل وجه، وهو الجمع بين تسبيح الله وحمده .

فقد توسطت تحية السلام من الله عز وجل بين تسبيح أهل الجنة وتحميدهم للتنويه بشرف هذا السلام وشرف المسلم عليه وهم المؤمنون، والعلاقة بين الجملتين المتطرفتين هي التخلية والتحلية.

قال الآلوسي: " وظاهر الآية أنهم يقدمون نعته تعالى بنعوت الجلال ويختمون دعاءهم بوصفه بصفات الإكرام لأن الأولى متقدمة على الثانية لتقدم التخلية على التحلية " (٢).

وهناك تعليل آخر لتوسط تحية السلام عند الآلوسي، مفاده أنها أقوى مناسبة في العطف على التسبيح إما لأنها الأهم بالنظر إلى المقام من الحمد ، وإما لأنها من تتمة التسبيح . قال الألوسي: " ولعل من يدقق النظر يرى أن السلام هنا أهم من الحمد نظرا للمقام، وإن كان هو أهم منه ذاتا. والأهمية بالنظر للمقام أولى بالاعتبار عندهم ولذا تراهم يقدمون المفضول على الفاضل إذا اقتضى المقام الاعتناء به، ولعله من تتمة جملة التسبيح " (٣) .

ووضح في موضع آخر كيف يمكن أن تكون من تتمة الجملة الأولى فقال: "وما ألطف مقابلة التسبيح والتنزيه بالسلامة عن المكروه لقربها من ذلك معنى كما لا يخفى على المنصف " (٤).

---

(١)الزمخشري،**الكشاف** ،٢٩٨/١. ويقصد بكلامه نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم، وهو أيضا تعليل صالح على احتمال كون المقصود إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو هو وحفيده صلوات ربي وسلامه عليهما.
(٢)الآلوسي،**روح المعاني** [٧٣/٦]
(٣)المرجع السابق [١٥١/١٢].
(٤)المرجع السابق [٧٣/٦]

ولكنه لم يوضح كيف كان السلام الأهم نظرا للمقام ، وقد جاء هذا الترتيب نفسه في عطف الإنشائيات في ختام سورة الصافات في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢] . مع فارق أن السلام هناك كان من الله للمرسلين خاصة وهو المناسب للمقام والسياق فيها، لأن سورة الصافات جاء فيها السلام بشكل ملحوظ عند ذكر : نوح، إبراهيم ، موسى، وهارون ، وإلياس . أما السلام في موضع يونس جاء عاما لكل المؤنين العاملين للصالحات لا لخصوص المرسلين .

ومن التوسط للشرف والفضل أيضا قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [غافر: ٧] .

الجملتان في الطرفين: تسبيح الملائكة بحمد ربهم واستغفارهم للمؤمنين بينهما أمر مشترك هو كونهما من آثار الإيمان بالله، فالإيمان بالله هو الباعث عليهما، ومن هنا برز شرف الإيمان وعظمته.

فإيمان الملائكة بالله له علاقة بتسبيحهم، قال حبنكة: "إنّ عبارة {وَيُؤْمِنُونَ بِهِ} وَصْفاً للملائكةِ الذين يَحْمِلُون العرش، وللملائكة الذينَ من حول العرش من الإطناب بالبسط، وذلك لأنَّ إيمانهم معلوم من نصوص سابقة التنزيل، ومن كونهم يُسبّحون بحَمْدِ رَبّهم. والغرض البلاغيّ من هذا الإطناب إظهار شرف الإيمان، والترغيبُ فيه، والإشارة إلى أنّ تسبيحهم بحمد ربِّهم ثمرةٌ من ثمراتِ إيمانهم، وليس تسبيحاً جَبْرياً كتسبيح السماوات والأرض والشجر والجماد، إذن فهم يملكون جهازاً يُفَكّر، وجهازاً يؤمن بالإرادة"(١).

وإيمان الملائكة بالله له علاقة باستغفارهم للمؤمنين، وتوضيح ذلك أن الآية ذكرت استغفار الملائكة للمؤمنين، وليس استغفارهم فحسب، بل دعاءهم الطويل لهم في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [غافر: ٧ - ٩]، فذكر إيمان الملائكة بين يدي حديث استغفارهم للمؤمنين للتنبيه على أن استغفارهم ودعاءهم للمؤمنين هو ثمرة من ثمرات استشعارهم

---

(١) ينظر: حبنكة، **البلاغة العربية** [٦٣/٢]

أخوة الإيمان التي تجمع بينهم جميعا على اختلاف أجناسهم، فلأن الملائكة يؤمنون بالله، وهناك من البشر من يؤمن بالله، شعرت الملائكة بأن هؤلاء إخوانهم في الإيمان، فاستغفروا لهم ودعوا ، فهو من تقديم العلة على المعلول بلا فاصل بينهما.

- **توسط الحسنة بين السيئتين، لإبراز حسنها وكمالها**

نحو قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧]، فاليهود والنصارى من جهة، و المشركون من جهة أخرى يشتركان كلاهما في كمال القبح، فالإتيان بانتفاء وصف اليهودية والنصرانية دون أن يقال: (ما كان إبراهيم من أهل الكتاب) لأن المقصود ملاحظة المعنى المذموم في التسمية باليهودية والنصرانية، لأنهما يدلان على الحزبية والتشيع على أساس المصلحة والجنس لا الدين ، ولفظ المشركين مذموم قطعا، وعليه يكون ذكر الحنيفية السمحة بينهما من ذكر الحسنة بين السيئتين فمراعاة المقابلة ملحوظ في هذا النوع من الترتيب .

- **التنويه بشأن التوراة والإنجيل في الهداية في زمانهما**

وذلك في قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران: ٣ – ٤] .

فإبراز الاعتناء بالقرآن جاء من ثلاثة جوانب : بالتقديم، وبذكره ابتداء وانتهاء، وبإعادة ذكره بوصف مغاير مشعر باستقلاليته عن سابقه وأنه منزل منه منزلة التغاير الذاتي . وتقديم الوصف الأول بالكتاب لأنه الأنسب للسياق السابق أي لقوله {ألم} إذ يتبعه غالبا القرآن الكريم بوصفه كتابا لا فرقانا (١).

أما الاعتناء بالتوراة والإنجيل جاء من جانب واحد هو التوسط بين الشجر ولحائه أي بين وصفي القرآن: الكتاب والفرقان، لغرض التنبيه على أهمية التوراة والإنجيل في الهداية في زمانهما خاصة . ومناسبة الإشارة إلى ذلك هنا لقوة ارتباط ذكر التوراة والإنجيل بموضوع سورة آل عمران وخاصة أخبارها عن الأئمة المهتدين بهدي التوراة والإنجيل وهم آل عمران: مريم وأمها وأبيها وابنها وزكريا ووزوجه وابنهما.

---

(١) نحو قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١ - ٢]،وقوله: ﴿ الٓمٓصٓ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١ – ٢]، وقوله: ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١]، وقوله: ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [يوسف: ١] وغيرها.

- **الإيذان بالتغاير الذاتي للطرفين المتوسط بينهما واستقلاليتهما في الذكر.**

شاهده قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢] . فالأصح كون الآية ذكرت اصطفاءين متغايرين لا واحدا مكررا لتأكيده، لأن التأسيس خير من التأكيد(١)، فالاصطفاء الأول هو لخدمة المسجد الأقصى، والثاني للحمل بعيسى .

وقد يدل على أن الاصطفاء الأول لما ذكر عطف التطهير عليه، فهو من مستلزمات خدمة المعبد وهو تطهير من الأقذار الحسية والمعنوية أو الاصطفاء الأول للإشارة إلى كونها عليها السلام قبل اصطفائها الثاني للبشارة بعيسى مستعدة لفيضان الروح عليها بما هي عليه من التبتل والانقياد حسب الأمر(٢) ، فالأول اصطفاء ذاتي والثاني بمعنى التفضيل على الغير، ولذلك عدي الثاني بعلى دون الأول (٣). ولو ذكر الاصطفاءين بالموالاة دون فاصل لتوهم كونهما شيئا واحدا ولكن بالفصل بينهما بالتطهير ترجح كونهما شيئين اثنين.

المطلب الرابع: تعدد اعتبارات الترتيب في الموضع الواحد

---

(١)وهو ما رجحه الآلوسي ، [ينظر الآلوسي، **روح المعاني**،١٤٩/٢]
(٢)الزمخشري،**الكشاف** [٣٦١/١-٣٦٢] ، أبو السعود، **تفسير أبي السعود** [٣٥/٢] ،الآلوسي، **روح المعاني** [١٤٩/٢]
(٣)ابن عاشور،**التحرير والتنوير**[٢٤٤/٣]

أشار السهيلي إلى مسألة في غاية الأهمية هي تعدد اعتبارات التقديم، حيث قال:" فإذا سبق معنى من المعاني إلى الخلد والفكر بأحد هذه الأسباب الخمسة[(١)]، أوبأكثرها سبق اللفظ الدال على ذلك المعنى السابق، وكان ترتيب الألفاظ بحسب ذلك"[(٢)]. وقال أيضا: "وربما قدم الشيء لثلاثة معان وأربعة وخمسة، وربما قدم لمعنى واحد من الخمسة"[(٣)].

وأكثر تفصيلا منه ما ذكره الزركشي من بعده حيث قال: " قَدْ يَكُونُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِمَّا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَمْثِلَةِ سَبَبَانِ فَأَكْثَرُ لِلتَّقْدِيمِ فَإِمَّا أَنْ يُعْتَقَدَ إِرادَةُ الْكُلِّ أَوْ يُرَجَّحَ بَعْضُهَا لِكَوْنِهِ أَهَمَّ فِي ذَلِكَ الْمَحَلِّ.وَإِنْ كَانَتِ الْأُخْرَى أَهَمَّ فِي مَحَلٍّ آخَرَ وَإِذَا تَعَارَضَتِ الْأَسْبَابُ رُوعِيَ أَقْوَاهَا فَإِنْ تَسَاوَتْ كَانَ الْمُتَكَلِّمُ بِالْخِيَارِ فِي تَقْدِيمِ أَيِّ الْأَمْرَيْنِ شَاءَ" [(٤)].

ومن الشواهد على ذلك: تقديم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ففيها عدة اعتبارات لتقديم معنى العبادة على معنى الاستعانة ، منها:

- تقديم الغايات على الوسائل، إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها[(٥)].
- اللف والنشر المرتب ، لأن «إياك نعبد» متعلق بألوهيته واسمه «الله» و «إياك نستعين» متعلق بربوبيته واسمه الرب. فقدم «إياك نعبد» على «إياك نستعين» كما تقدم اسم الله على الرب في أول السورة[(٦)] .
- تقديم مطلوب الرب على مطلوب العبد[(٧)].
- تناسب تأخير﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مع لاحقه ، وهو «اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ» إلى آخر السورة.

---

(١)سبق ذكر هذه الأسباب وهي:إما بالزمان، وإما بالطبع، وإما بالرتبة، وإما بالسبب وإما بالفضل والكمال. ينظر: ص ٤١ من هذا البحث.
(٢) السهيلي، **نتائج الفكر في النحو** :[٢٠٩/١]
(٣) المصدر السابق: [٢١١/١]
(٤) الزركشي ، **البرهان في علوم القرآن** [٢٧٥/٣]
(٥) ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن (ت: ٧٥١هـ)، **تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم)** ،(تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف إبراهيم رمضان) ، دار الهلال، بيروت ط١، ١٤١٠ هـ [٧٠/١].
(٦) وصرح رشيد رضا باسم هذه البديعة المعنوية "اللف والنشر" ، قال رشيد رضا:"عِبَادَةُ اللهِ تَعَالَى هِيَ غَايَةُ الشُّكْرِ لَهُ فِي الْقِيَامِ بِمَا يَجِبُ لِأُلُوهِيَّتِهِ، وَاسْتِعَانَتُهُ هِيَ غَايَةُ الشُّكْرِ لَهُ فِي الْقِيَامِ بِمَا يَجِبُ لِرُبُوبِيَّتِهِ، أَمَّا الْأَوَّلُ فَظَاهِرٌ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ فَلَا يُعْبَدُ بِحَقٍّ سِوَاهُ، وَأَمَّا الثَّانِي: فَلِأَنَّهُ هُوَ الْمُرَبِّي لِلْعِبَادِ الَّذِي وَهَبَ لَهُمْ جَمِيعَ مَا تَكْمُلُ بِهِ تَرْبِيَتُهُمُ الصُّورِيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ، وَمِنْ هُنَا تَعْلَمُ أَنَّ إِيرَادَ ذِكْرِ الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ بَعْدَ ذِكْرِ اسْمِ الْجَلَالَةِ الْأَعْظَمِ، وَاسْمِ الرَّبِّ الْأَكْرَمِ، إِنَّمَا هُوَ لِتَرَتُّبِهِمَا عَلَيْهِمَا مِنْ قَبِيلِ تَرْتِيبِ النَّشْرِ عَلَى اللَّفِّ" اه. رشيد رضا، **تفسير المنار**، [٥٠/١]
(٧) ابن قيم الجوزية ، **التفسير القيم** [٧١/١].

- تقديم العموم على الخصوص، لأن الاستعانة جزء من العبادة، من غير عكس. ووجه ذكر الخصوص دون الاكتفاء بدلالة العام عليه للاعتناء به، لأن حصر الاستعانة في الله، يحتاج فِي تَحَقُّقِه وإزالة خفائه إِلَى قَصْدٍ وَمُلاحَظَةٍ وَشُهُودٍ قَلْبِيٍّ، وذلك فيما كَانَ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَعُونَةِ غير داخل فِي حَلَقَاتِ سِلْسِلَةِ الْأَسْبَابِ، أما ما كَانَ منها غَيْرَ دَاخِلٍ فِيهَا، فهو مما لا يقدر عليه غير الله، فلا خفاء في حصر طلبه منه وحده سبحانه[(١)].

- تقديم العبادة لأنها لا تكون إلا من مخلص، والاستعانة تكون من مخلص ومن غير مخلص[(٢)].

- لأن العبادة حق الله الذي أوجبه عليك، والاستعانة طلب العون على العبادة، وأداء حقه: أهم من التعرض لصدقته[(٣)].

- تقدم السببية أو بمعنى أخص تقديم الوسيلة على الغاية، قال الزمخشري: " فإن قلت: فلم قدّمت العبادة على الاستعانة؟ قلت: لأنّ تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة"[(٤)].

- لأن «إياك نعبد» له، و «إياك نستعين» به، وما له مقدم على ما به ، لأن ما له متعلق بمحبته ورضاه، وما به متعلق بمشيئته. وما تعلق بمحبته أكمل مما تتعلق بمشيئته، فإن الكون كله متعلق بمشيئته. والملائكة والشياطين والمؤمنون والكفار، والطاعات والمعاصي . والمتعلق بمحبته: طاعاتهم وإيمانهم. فالكفار أهل مشيئة، والمؤمنون أهل محبته[(٥)].

ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ففيه تقديم قوله: ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ على ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ للاعتبارات التالية:

- تقديم ما السياق له، لأن المقام مقام إشادة بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[(٦)].

---

(١) رشيد رضا، **تفسير المنار** [٥١/١] . وقد ذكر ابن عاشور أن تقديم العبادة على الاستعانة من تقديم ما حصره حقيقي على ما حصره ادعائي. والصحيح أن القصر في كليهما حقيقي، لكن الثاني خفي فيحتاج فِي تَحَقُّقِه وإزالة خفائه إِلَى قَصْدٍ وَمُلَاحَظَةٍ وَشُهُودٍ قَلْبِيٍّ حسبما ذكر صاحب المنار آنفا. ينظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير** [١٨٦/١] .
(٢)ابن قيم الجوزية ، **التفسير القيم** [٧١/١].
(٣) مرجع سابق [٧١/١].
(٤)الزمخشري،**الكشاف**، [١٤/١]
(٥) ابن قيم الجوزية ، **التفسير القيم** [٧١/١].
(٦) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**[٥٠/٤]

– تناسب المقدم مع سابق السياق والمؤخر مع لاحقه. فالأول قدم ليناسب ما قبله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

وبيان ذلك عندي أن تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأمر في غاية الأهمية، وهو ربط هذا الخبر بالأمر السابق: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. والنكتة في هذا الربط هو الإيذان بسرعة امتثال المسلمين وتمثلهم بهذا الوصف، فكأن هذه الآية جاءت تخبر أنهم امتثلوا أمر ربهم السابق وتحققوه في حياتهم فأثنى الله عليهم بخيريتهم على سائر الأمم لذلك، ولو فصل بينهما بالإيمان لفات لمح هذا المعنى .

والثاني أخر ليناسب ما بعده: ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. والمعنى: " وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ أَيْ لَوْ آمَنُوا الإِيمَانَ الصَّحِيحَ الَّذِي يَسْتَوْلِي عَلَى النُّفُوسِ وَيَمْلِكُ أَزِمَّةَ الأَهْوَاءِ فَيَكُونُ مَصْدَرًا لِأَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ كَمَا تُؤْمِنُونَ أنتمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّا يَدَّعُونَ مِنَ الإِيمَانِ التَّقْلِيدِيِّ الَّذِي لَا يَزَعُ عَنِ الشُّرُورِ، وَلَا يَرْفَعُ صَاحِبَهُ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ"(١).

– تقديم الأمكن في الدلالة على الخيرية : ما يتميزون به عن غيرهم وجودا وعدما على ما يتميزون فيه عن غيرهم لا في أصل وجوده بل في قوته وصحته ، ففي المنار: قال رشيد رضا:" وَالْمُتَبَادِرُ عِنْدِي أَنَّ تَقْدِيمَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ لِلتَّعْرِيضِ بِأَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ كَانُوا يَدَّعُونَ الْإِيمَانَ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى ادِّعَاءِ الْقِيَامِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي مَجْمُوعِهِمْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ، وَادِّعَاءُ مَا تُكَذِّبُهُ الْمُشَاهَدَةُ يَفْضَحُ صَاحِبَهُ، فَقَدَّمَ ذِكْرَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ لِأَنَّهُمْ لَا مَجَالَ لَهُمْ فِي دَعْوَى مُشَارَكَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ"(٢).

– تقديم ما هو محمود في عرف الناس جميعا: الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِين يعترفون لصاحبه بالفضل". قاله الإمام محمد عبده(٣).

---

(١) رشيد رضا، **تفسير المنار**[٥٣/٤]
(٢) المصدر السابق[٥٢/٤-٥٣]
(٣) المصدر السابق [٥٢/٤]

- تقديم الموافق لمعهود الناس تقديمه فِي جَعْلِ سِيَاجِ كُلِّ شَيْءٍ مُقَدَّمًا عَلَيْهِ ، والأَمْر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ هو سِيَاجُ الْإِيمَانِ وَحِفَاظُهُ. قاله الإمام محمد عبده أيضا [(١)].

- ويحتمل عندي تقديم الأول للإيذان باستقلاله في الدلالة على الخيرية ، ولو أخر لتوهم كونه مع الإيمان شيء واحد .

- ويحتمل عندي أيضا غرض التعظيم لهذا الوصف بتقديمه على الإيمان قصدا له ، فالإيمان هو الأصل وهو ثابت محقق من قبله، فتقديم الوصف المذكور عليه لا شك فيه تعظيم له وإشادة به .

ومن الشواهد عليه تقديم قوله تعالى:﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا ﴾ على قوله: ﴿ وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ في الآية الكريمة: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٩ – ٥٠]

وقد فصل الزركشي القول في مقتضياته [(٢)] ، ومن ذلك :

- تقدم الأدل على انفراد الله بالمشيئة ، لأنه سبحانه ذكر أنه يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لا مَا يَشَاءُ الأبَوَانِ فَإِنَّ الأَبَوَيْنِ لا يُرِيدَانِ إلا الذكورَ غَالِبًا فَبَدَأَ بِذِكْرِ الصِّنْفِ الَّذِي يَشَاؤُهُ وَلَا يُرِيدُهُ الأبَوَانِ غَالِبًا لأنه الدال على انفراده بالمشيئة .

- للاعتناء بهن ببيان رفيع شأنهن عنده سبحانه بخلاف شأنهن عند الجاهليين، أي أَنَّهُ سبحانه قَدَّمَ ذِكْرَ مَا كَانَتْ تُؤَخِّرُهُ الْجَاهِلِيَّةُ مِنْ أَمْرِ الْبَنَاتِ حَتَّى كَانُوا يَئِدُوهُنَّ ،فكأنه يقول : ماعِنْدَكُمْ مؤخر لحقارته هو مُقَدَّمٌ عِنْدِي فِي الذِّكْرِ لرفيع شأنه . وفي هذا معنى التقديم للجبر الذي ذكره الزركشي، جَبْرًا لَهُنَّ لأجْلِ استِثْقَالِ الأبَوَيْن لِمَكَانِهِنّ [(٣)].

ففي التقديم للإناث خاصة تنبيه اللسامعين بشأن هبة الإناث عنده الله سحانه، ليتقبلوا هذه الهبة بقبول حسن، ولا يزدروها كما يفعل كثير من الناس الذين لا يسعدهم إلا هبة الذكور، ولذلك جاءت الوصاية بالإناث في الحديث : " مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَات بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ سِتْرًا لَهُ مِنَ النَّارِ "[(٤)] .

---

(١)رشيد رضا، **تفسير المنار** [٥٢/٤]
(٢) الزركشي،البرهان [٤٧٣/٣]
(٣) مرجع سابق
(٤) رواه ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط: ١، ٢٠٠١ م ، علق عليه الشيخ شعيب : صحيح على شرط الشيخين. [٢٠٢/٤٢].

- قَدَّمَهُنَّ لِضَعْفِهِنَّ وَعِنْدَ الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ تَكُونُ الْعِنَايَةُ أَتَمَّ(١).

وهناك وجوه أخرى ذكرها الزركشي وهي عندي ضعيفه كالبدء بهبة الإناث لغرض الترقي من هبة الإناث إلى هبة ما هو أعلى منها وهم الذكور إلى هبة ما هو أعلى من ذلك وهو هبتهما جَمِيعًا .

قال الزركشي : "قَسَّمَ سُبْحَانَهُ حَالَ الزَّوْجَيْنِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ اشْتَمَلَ عَلَيْهَا الْوُجُودُ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِمَّا أَنْ يُفْرِدَ الْعَبْدَ بِهِبَةِ الْإِنَاثِ أَوْ بِهِبَةِ الذُّكُورِ أَوْ يَجْمَعُهُمَا لَهُ أَوْ لَا يَهَبُ شَيْئًا. وَقَدْ جَاءَتِ الْأَقْسَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِيَنْتَقِلَ مِنْهَا إِلَى أَعْلَى مِنْهَا وَهِيَ هِبَةُ الذُّكُورِ فِيهِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى أَعْلَى مِنْهَا وَهِيَ وهبتهما جميعًا وَجَاءَتْ كُلُّ أَقْسَامِ الْعَطِيَّةِ بِلَفْظِ الْهِبَةِ وَأَفْرَدَ مَعْنَى الْحِرْمَانِ بِالتَّأْخِيرِ وَقَالَ فِيهِ [يَجْعَلُ] فَعَدَلَ عَنْ لَفْظِ الْهِبَةِ لِلتَّغَايُرِ بَيْنَ الْمَعَانِي "(٢).

وهذا الوجه هو المقدم عند الزركشي وبقية الوجوه صدرها بصيغة التمريض "وقيل" وهو أضعف الوجوه عندي لأنه يجعل الترتيب لأجل مراعاة ناحية شكلية هي حصول الترقي بين الهبات .

ونقل الزركشي وجها آخر، وهو قوله: " لِيَنْقُلَ مِنَ الْغَمِّ إِلَى الْفَرَجِ"(٣). والمعنى الذي أفهمه على هذا القول أن هبة الإناث ليست نعمة في ذاتها بل هي نقمة ومدعاة للغم، وأن القصد من هذا الغم أن تكون السعادة وشكر المولى بهبة الذكر بعدها أتم وأكمل . وهو عندي في غاية البعد .

ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾[القصص: ٤] حيث قدم الله تعالى في الذكر الأشد إيلاما .

- وهذا راجع إلى تعلق الأول بفلذات الأكباد "الأبناء"، فهو من تقديم الأبناء على الزوجات، لأنهم الأقرب إلى النفس .

- وراجع أيضا إلى الشدة في الفعل، بتقديم الفعل الأشد، وهو الذبح عند عامة الناس ، وإن كان الاستحياء للنساء هو الأشد عند الغيور ،

- وراجع أيضا إلى تقديم ما تعلق بالمقدم شرفا وفضلا في نظر أكثر الناس: أقصد الذكورة على الأنوثة.

---

(١) الزركشي،**البرهان**، [٤٧٣/٣]
(٢)المرجع السابق
(٣)المرجع السابق

ومن الشواهد قوله تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ... وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ ... وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٣ – ١١٨].

في الآيات قبائح قولية ثلاث ، الأولى : مقالات أهل الكتاب والوثنيين في تكفير بعضهم بعضا ، والثانية: نسبة الولدية إلى الله سبحانه من أهل الكتاب والوثنيين ، والثالثة: طلب الآيات التعجيزية من الوثنيين وأهل الكتاب.

وقد ابتدأ بقبيحة التكفير: للتناسب مع السياق السابق ، مع قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١] .

قال ابن عاشور في تعليل عطف قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ... ﴾ على الآية السابقة :﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ ﴾ [البقرة: ١١١]: " لزيادة بَيَانِ أَنَّ الْمُجَازَفَةَ دَأْبُهُمْ وَأَنَّ رَمْيَ الْمُخَالِفِ لهُمْ بِأَنَّهُ ضَالٌّ شَنْشَنَةٌ قَدِيمَةٌ فِيهِمْ فَهُمْ يَرْمُونَ الْمُخَالِفِينَ بِالضَّلالِ لِمُجَرَّدِ الْمُخَالَفَةِ، فَقَدِيمًا مَا رَمَتِ الْيَهُودُ النَّصارَى بِالضَّلَال، وَرَمَتِ النَّصَارَى الْيَهُودَ بِمِثْلِهِ فَلا تَعْجَبُوا مِنْ حُكمِ كلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَفِي ذَلِكَ إِنْحَاءٌ عَلَى أَهْلِ الكِتَابِ وَتَطْمِين لِخَوَاطِرِ الْمُسْلِمِينَ وَدَفعِ الشُّبْهَةِ عَنِ المُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ مِنْ طَعْنِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الإِسْلَامِ حُجَّةً لأَنْفُسِهِمْ عَلَى مُنَاوَأتِهِ وَثبَاتا عَلَى شِرْكِهِمْ "(١).

والترتيب في مقالات التكفير جاء بالتقديم للأعرق في إطلاق هذه المقالات ، وهم أهل الكتاب دون الوثنيين، وكذلك ابتدأ مقالات أهل الكتاب في التكفير بمقالة اليهود ، كل ذلك من التقديم حسب الأعرق في إطلاق هذه القبيحة القولية ، فأهل الكتاب أعرق من الوثنيين في تكفير الغير لاغترارهم بكونهم أهل كتاب ، وكذلك اليهود أعرق من النصارى في هذا الإطلاق، لاغتراهم بكونهم الأصل والنصارى تبع لهم، ولم يذكر تكفير أهل الكتاب للوثنيين لأن كفر الوثنيين أوضح من أن يحتاج لتكفيرهم.

(١) ابن عاشور،**التحرير والتوير**، [١/ ٦٧٥]

ولا يمنع ذلك أن يكون تقديم مقالة اليهود على مقالة النصارى حسب السبق التاريخي، وتقديم مقالاتهم على مقالة الوثنيين لشرفهم عليهم لكونهم أهل كتاب.

وقد انتقل في القبائح القولية الثلاث في الآيات [البقرة: ١١٣ – ١١٨] من ذكر القبيحة القولية التي كان أهل الكتاب -خاصة اليهود- أعرق فيها من الوثنيين وهي قبيحة التكفير للآخر إلى ذكر القبيجة القولية التي اشترك فيها الجميع بالتساوي، وهي قبيحة نسبة الولدية إلى الله إلى ذكر القبيحة القولية التي كان الوثنيون أعرق فيها من أهل الكتاب، وهي طلب الآيات التعجيزية.

ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٦].

فتقديم ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ على ﴿ وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ ﴾

- لأجل اللف والنشر المعكوس لهما مع ما جاء في سابق الكلام من قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ المتقدم على قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾.

قال ابن عاشور في تعليل تقديم الضلال على الهداية: "بَيَانٌ وَتَفْسِيرٌ لِلْجُمْلَتَيْنِ الْمُصَدَّرَتَيْنِ بِأَمَّا عَلَى طَرِيقَةِ النَّشْرِ الْمَعْكُوسِ، لِأَنَّ مَعْنَى هَاتَيْنِ الْجُمْلَتَيْنِ قَدِ اشْتَمَلَ عَلَيْهِمَا مَعْنَى الْجُمْلَتَيْنِ السَّالِفَتَيْنِ إِجْمَالًا، فَإِنَّ عِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ هُدًى، وَقَوْلَ الْكَافِرِينَ مَاذَا أَرادَ اللَّهُ الْخَ ضَلَالٌ "(١).

ففي تعكيس الترتيب في الآية الكريمة ملحظان بليغان:

أولا:- علاقة المتجاورين في الوسط، وهي تعجيل مبادرتهم بما يسوؤهم ردا مناسبا على تهكمهم واستهزائهم بقولهم ذاك ، قال أبو السعود: " ليكون أولُ ما يقرَعُ أسماعَهم من الجواب أمراً فظيعاً يسوءُهم ويفُتَّ في أعضادهم "(٢).

---

(١)ابن عاشور، **التحرير والتنوير**[١/٣٦٥]

(٢)أبو السعود، **تفسير أبي السعود**، [١/٧٤]

ثانيا:- علاقة المتباعدين في الأطراف ليتناسب الختام بما بدئ به، وهي هنا الابتداء بالمؤمنين والانتهاء بهم، ليكون الابتداء والاختتام بما يسر الطبع ويشرح الصدر(١) .

– أيضا تقديم ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ للاهتمام ببيانه لغرابته، لأن كون ما في القرآن سببا للهدى في غاية الوضوح ، أما أن يكون سببا لضلال الكفار، فهذا يحتاج لبيان ، فالاهتمام بتقديمه لبيانه أولى(٢).

– أيضا تقديمه من تقديم الكثرة على القلة ، لأن الضالين أكثر من المهتدين.

ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠٠ – ٢٠١]

– فالابتداء بالأول لغرابته، إذ الدعاء بخيري الدنيا والآخرة في تلك المواضع في غاية الوضوح، أما الاقتصار على حظ الدنيا فمستغرب.

– وفيه أيضا تقديم الأنسب لما في سباق السياق، لكثرة التعريض في السباق بأعمال المشركين الفاسدة في حجهم .

ومن الشواهد قوله : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النمل: ٢٥] .

– فهو من تقديم المتكلم - وهو الهدهد هنا - محل اهتمامه، وهو ما يتعلق بشأن من شؤونه على ما يتعلق بشؤون غيره ، حيث قدم ما يرى فيه أثر نعمة الله عليه، بإخراج طعامه من الأرض، فهو من الخبء في الأرض.

قال الزمخشري: " وفي إخراج الخبء: أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض، وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السماوات والأرض جلت قدرته ولطف علمه"(٣).

– وفيه اعتبار آخر هو التقديم لشرف المعلوم، لأن العلم بالمخبوء في السماوات والأرض أعظم من العلم بما تسره النفوس وتعلنه.

---

(١) هذه عبارة الألوسي اقتبستها من كلامه في سياق آخر. الألوسي،**روح المعاني**[٢/٢٤٢] .
(٢) الآلوسي،**روح المعاني**[١/٢١١]
(٣) الزمخشري،**الكشاف**[٣/٣٦٣].

ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [النجم: ٣٠].

ففيه اعتبارات منها:

- الاهتمام بالتهديد والوعيد للضالين وفي ذلك تسلية وتأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.
- اعتبار التقديم للكثرة على القلة، لكثرة الضالين بالنسبة للمهتدين .
- تقديم الإضلال على الهداية لأنه متقدم عليها إذ هو إبقاء على الأصل ، والهداية إنشاء ما لم يكن.

ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ [طه: ٨٠] . ففيه اعتباران :

- الترتيب التاريخي للأحداث.
- التوسط بين الشجر ولحائه، للتنويه بفضل المنفعة الدينية بين المنفعتين الدنيويتين المرتبتين ترتيب التخلية والتحلية.

ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٧]

فالتقديم للرجالة على الركبان لاعتبار الرتبة، لكونه يأتي من المكان الأقرب، ولا يفتقر إلى الركوب، ولا يعني عندها أن الذي يحج ماشيا أشرف من الذي يحج راكبا(١).

وروي عن ابن عباس أن التقديم لاعتبار آخر غير الرتبة، وهو التقديم لشرف الماشي وفضله على الراكب، فقد روي عنه أنه قال: " وددت أني حججت راجلًا" (٢)، فهما أمران مختلفان.

(١)[السهيلي،**نتائج الفكر** [٢١١/١]
(٢)الطبري،**تفسير الطبري**، [٦٠٨/١٨]

المبحث الثاني: الترتيب بين الجمل الإنشائية

المطلب الأول: ترتيب المتعاطفات بدلالة المعنى
المطلب الثاني: ترتيب المتعاطفات بدلالة السياق
المطلب الثالث :ترتيب المتعاطفات بدلالة غرض المتكلم
المطلب الرابع: تعدد اعتبارات الترتيب في الموضع الواحد

المطلب الأول: ترتيب المتعاطفات بدلالة المعنى

من الجمل الإنشائية المتعاطفة ما يأتي ترتيبها طبيعيا كما هو الحال في الجمل الخبرية ، من ذلك:

- **التقديم للسبق الزمني في الإيجاد والحدوث**

من شواهده قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ [التوبة: ٨٢]، فالضحك اليوم والبكاء غدا.

وقوله: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فالإيمان بالله والرسول سابق في الحصول على اتباع الرسول. ومما يدخل فيه :

– الأخذ بالأسباب في كل شيء قبل التوكل على الله، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣] ، قال الآلوسي: " وَعَلَى اللَّهِ تعالى خاصة فَتَوَكَّلُوا بعد ترتيب الأسباب، ولا تعتمدوا عليها فإنها لا تؤثر من دون إذنه"(١) .

– السبق في وجوب الأداء، كسبق الركوع السجود في قوله: ﴿ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ ﴾ [الحج: ٧٧]، وكما في ترتيب الوضوء في الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾[المائدة: ٦]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ [الإنسان: ٢٦] على اعتبار أداء السجود أولا، وعند هيئة السجود يكون التسبيح .

– الانتقال من فعل الأمر الأيسر إلى فعل الأصعب ، كالتدرج في إصلاح نشوز المرأة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤]، فهو من الترتيب الوقوعي ، وعلى سبيل الوجوب - وهو الظاهر(٢) - لا الندب .

---

(١) الآلوسي،**روح المعاني**،[٢٤/٣]

(٢) قال الكاساني: "فَظَاهِرُ الْآيَةِ وَإِنْ كَانَ بِحَرْفِ الْوَاوِ الْمَوْضُوعَةِ لِلْجَمْعِ الْمُطْلَقِ لَكِنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ الْجَمْعُ عَلَى سَبِيلِ التَّرْتِيبِ، وَالْوَاوُ تَحْتَمِلُ ذَلِكَ " . الكاساني، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**،٣٣٤/٢ ، وقال ابن قدامة: " ووجه الدلالة عندهم أن في الآية إضمار تقديره : واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن ، فإن نشزن فاهجروهن، في المضاجع ، فإن أصررن فاضربوهن" . ينظر : ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد الحنبلي، (ت: ٦٢٠هـ)، **المغني**، الناشر: مكتبة القاهرة، بدون طبعة، عدد الأجزاء: ١٠، ١٩٦٨م، ٣١٨/٧،

○ **التقديم للسبب على المسبب**

نحو قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء: ١٠٨] ، قال أبو حيان: " وَقَدَّمَ الأَمْرَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى الأَمْرِ بِطَاعَتِهِ، لأَنَّ تَقْوَى اللَّهِ سَبَبٌ لِطَاعَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ"(١) .

ونحو قوله تعالى: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ١٩]، لأن السجود وسيلة الاقتراب، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[المائدة: ٤٩]، لأن الفتنة عن بعض ما أنزل من الكتاب تحصل باتباع أهوائهم ، ونحو قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، لأن تقوى الله حق تقاته هو سبيل التوفيق للموت على الإسلام ، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ﴾ [لأنعام: ٧٢]، فالصلاة تنهى عن الفشاء والمنكر، وهو يعني أنها أكبر معين على تحصيل التقوى ، ونحو قوله تعالى: ﴿ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ [مريم: ٢٤ – ٢٦] ، ونحو قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ [الملك: ١٥] فمن مشى أكل ومن لم يمش كان حريا ألا يأكل، ونحو قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٦٨] فحرقهم لإبراهيم عليه الصلاة والسلم وسيلة تحقق غايتهم – بزعمهم- وهي نصرهم آلهتهم .

ومما يدخل فيه التسبب بالاستدعاء:

نحو قوله تعالى: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [البقرة: ٣٥]، فهذا من التقدم للتسبب بالاستدعاء، لأن سكن الجنة سيتسبب في الأكل منها.

ومنه استدعاء التصدق صلاة النبي على المتصدق في قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ومن التسبب بالاستدعاء قوله: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ [لقمان: ١٧]، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيجلب العداوة والإيذاء من أهل الفسق والنفاق الآمرين بالمنكر والناهين عن المعروف، فاستدعى ذلك الوصاية بالصبر على أذاهم ، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس: ١٠٩] .

---

(١)أبو حيان،**البحر المحيط**[١٧٥/٨]

ومنه استدعاء النعمة شكرها ، كما في قوله تعالى:﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤] . وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١]. وهنا السببية من ناحيتين :

من ناحية أهمية التقوي بالطعام على عمل الصالحات، كأن المعنى: كلوا من الطيبات لتتمكنوا من عمل الصالحات . ومن ناحية الاستدعاء، فالنعمة تستدعي شكرها، والمعنى : كلوا من الطيبات واشكروا الله على ذلك بعمل الصالحات(١).

- **التقديم للشرف والفضل**

كالتقديم لفَضِيلَةِ الصلاة على التسليم في قَوْله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

ومنه التقديم لشرف الإحسان الفعلى على الإحسان القولي في قوله تعالى:﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣] .

قال ابن عاشور: " عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ الْفِعْلِيِّ حَيْثُ يَتَعَيَّنُ وَيَدْخُلُ تَحْتَ قُدْرَةِ الْمَأْمُورِ وَذَلِكَ الْإِحْسَانُ لِلْوَالِدَيْنِ وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَمَرَ بِالْإِحْسَانِ الْقَوْلِيِّ إِذَا تَعَذَّرَ الْفِعْلِيُّ عَلَى حَدِّ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ: فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ"(٢).

- **التقديم للكثرة على القلة**

كما في تقديم الحكم المتعلق بالحال الأكثر تلبسا بالمكلفين على الحكم المتعلق بالحال الأقل تلبسا بهم ، نحو بيان كيفية التطهر من الحدث الأصغر بالوضوء قبل بيان كيفيته من الحدث الأكبر بالاغتسال في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ﴾ [المائدة: ٦].

---

(١)قال ابن باديس: " تتوقف الأعمال على سلامة الأبدان، فكانت المحافظة على الأبدان من الواجبات، ولهذا قدم الأمر بالأكل على الأمر بالعمل. فليس من الإسلام تحريم الطيبات التي أحلها الله كما حرم غلاة المتصوفة اللحم. وليس من الإسلام تضعيف الأبدان وتعذيبها كما يفعله متصوفة الهنادك، ومن قلدهم من المنتسبين للإسلام. والميزان العدل في ذلك هو ما كان عليه النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه رضي الله عنهم، وقد بين ذلك أئمة السنة والأثر رحمهم الله... وفي تقديم الأكل من الطيبات على العمل الصالح تنبيه على أنه هو الذي يثمرها لأن الغذاء الطيب يصلح عليه القلب والبدن، فتصلح الأعمال، كما أن الغذاء الخبيث يفسد به القلب والبدن، فتفسد الأعمال" . [ابن باديس،تفسير ابن باديس: ١/١٥٥]

(٢) ابن عاشور،**التحرير والتنوير**: [١/٥٨٣]

ونحو بيان كيفية التطهر بوجود الماء- بنوعيه التطهر من الحدث الأصغر والأكبر- على بيان كيفيته بفقده أو تعذر استعماله، لأن الأول هو الحال الأكثر تلبسا به نسبة للحال الثاني، وذلك في قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [المائدة: ٦] .

وفي معنى التقديم للكثرة على القلة تقديم الجهر على المخافتة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠] .

- **تقديم العموم على الخصوص**

أولا: ما يتناول العموم فيه معنى الخاص (عُمُوم شُمُول):

نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ ...وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠ - ٤١].

قال ابن عاشور:" وَعَطْفُهُ [أي قوله: وآمنوا] عَلَى قَوْلِهِ: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي مِنْ قَبِيلِ عَطفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ فِي الْمَعْنَى"(١).

ونحو قوله تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٧٥]، فالنصرة مما يرجى حصوله من الولي .

ونحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨] ، فالخاص هنا من أقبح صور أكل الأموال بالباطل، لأنه أكل لها بقوة السلطان بعد ارتشائهم لتمكينهم من الأكل. قال ابن عاشور:" وَخَصَّ هَذِهِ الصُّورَةَ بِالنَّهْيِ بَعْدَ ذِكْرِ مَا يَشْمَلُهَا وَهُوَ أَكْلُ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ لِأَنَّ هَذِهِ شَدِيدَةُ الشَّنَاعَةِ جَامِعَةٌ لِمُحَرَّمَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مُعْطِيَ الرَّشْوَةِ آثِمٌ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَأْكُلْ مَالًا بَلْ آكَلَ غَيْرَهُ "(٢).

---

(١)ابن عاشور،**التحرير والتنوير** [٤٥٨/١]

(٢)المرجع السابق [١٩٠/٢]

ثانيا: ما يتناول العموم أصل معنى الخاص (عُمُومِ بدل بعض من كل) :

نحو قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ ﴾ [البقرة: ١٠٩] . قال ابن عاشور: "وَلَمْ يَسْتَغْنِ بِاصْفَحُوا لِقَصْدِ التَّدْرِيجِ فِي أَمْرِهِمْ بِمَا قَدْ يُخَالِفُ مَا تَمِيلُ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ مِنَ الِانْتِقَامِ تَلَطُّفًا مِنَ اللَّهِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي حَمْلِهِمْ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ"(١). فهو إذن من الترقي في الأمر : من الأعم إلى الأخص تلطفا بهم .

وقال أبو زهرة:" العفو معناه ترك المؤاخذة على الذنب والرفق في المظهر والمعاملة الحسنة، والصفح هو إزالة كل أثر في النفس " (٢). فالعفو ترك المقابلة بالمثل ظاهرا، وقد يكون في النفس شيء، أما الصفح فإنه يتناول السماحة النفسية، واعتبار الإيذاء كأن لم يكن .

- **الإبهام قبل البيان والإجمال قبل التفصيل**

نحو قوله تعالى:﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فقد أمر بالجدال بالتي هي أحسن ثم بين كيفيته .

- **التقديم حسب قرب المكانة**

نحو تقديم حق الله على العبد على حق غيره عليه كما في قوله تعالى:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، ونحو قوله : ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ ﴾ [هود:٨٤]، فحق الله بعبادته قبل حق الناس في حفظ أموالهم .

ونحو تقديم تكميل النفس على تكميل الغير، كتقديم الأمر بإقامة الصلاة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قولـه تعالى:﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [لقمان: ١٧]، و قولـه: ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ [النساء: ٨٤]، وقوله : ﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

ونحو تقديم نفع النفس على نفع الغير كما في قوله: ﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴾ [الحج: ٢٨].

---

(١)ابن عاشور،**التحرير والتنوير** [٧٦١/١]
(٢)أبو زهرة،محمد، **زهرة التفاسير**،دار الفكر العربي،القاهرة [٣٦٢/١]

ونحو ذكر المضرة القاصرة على النفس قبل المتعدية ، وعليه نفهم الترتيب في قوله: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النمل: ٧٠]، إذ المعنى: لا تحزن لكفرهم ولا يضيق صدرك لاعتدائهم ، فهو من تقديم ما تعلق بإساءة الكفار لأنفسهم قبل ذكر ما تعلق بإساءتهم للآخرين.

قال البقاعي: " {ولا تحزن عليهم} أي في عدم إيمانهم... ولما كانوا لا يقتصرون على التكذيب، بل يبغون للمؤمنين الغوائل، وينصبون الحبائل، قال: {ولا تكن في ضيق مما يمكرون} "[١].

ونحو تقديم المسؤولية الفردية على المسؤولية الجماعية، كما في تقديم قوله: ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ على قوله: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران: ١٠٢ – ١٠٣].

ونحو فعل الشيء وتركه إجلالا لله قبل فعله وتركه خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٠ –١٣٣]. فالنهي عن الربا ناسبه تقديم الترهيب على الترغيب، وناسب في الترهيب المقدم تقديم ترك هذه المعصية خوفا من الله على تركها خوفا من عقابه ، وفي الترغيب بعده ناسب الحث على فعل ذلك طاعة لله ورسوله قبل فعله طمعا في ثواب الله.

- **تقديم التخلية على التحلية ودفع المفاسد على جلب المصالح**

ومنه قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ [آل عمران: ٨]، ومنه الدعاء في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

---

(١) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور [٢٠٨/١٤]

المطلب الثاني: ترتيب المتعاطفات بدلالة السياق

وذلك من وجوه:

- **تقديم ما فيه تناسب مع السياق السابق**

نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

فتقديم الأمر بالاستجابة لله على الأمر بالإيمان به ، لأن الكلام قبله في الإخبار بقرب الله وإجابته الدعاء فهو بمثابة تعليل للأمر بالاستجابة لله خاصة، لأن معناه : الاستجابة له سبحانه في التوجه إليه بالدعاء(١)، وأما ذكر الإيمان به سبحانه فقد جاء تأكيدا لهذا الغرض، لا تأسيسا لغرض جديد، إذ ليس المقصود منه الدعوة إلى إنشاء الإيمان بالله ولا إلى تحقيق كماله على إطلاقه، بل المقصود الدعوة إلى تحقيق كمال الإيمان في أمر مخصوص، وهو استجابة الله دعاء السائلين أي اليقين والثقة المطلقة في أن الله يسمع دعاءهم ويستجيب لهم، كأنه قال: وليتيقنوا وليثقوا بي في أني أسمعهم وأجيبهم ، فهو استيقان من صفات الكمال المتصف بها سبحانه (٢).

ونحو قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس:٢].

فتقديم ذكر إنذار الرسل الناس على تبشيرهم المؤمنين، لقصد التوعد بالإنذار المتقدم الكفار الذين استهلت السورة بنقل تعجبهم من الإيحاء إلى رجل منهم ، فهم المقصودون بالناس، لأن هذا التعجب لا يصدر إلا من كافر، فهو من العام المخصوص، وقد ختمت الآية بالتصريح بما أضمره الكفار في تعجبهم ذاك من وصفهم الرسول والرسالة بالسحر.

---

(١) {فَلْيَسْتَجِيبُوا لي} معناه الأمر بالإقبال عليه بالدعاء أي لِيَسْتَدْعُوا مِنِّي الْإِجَابَةَ، وَحَقِيقَتُهُ فَلْيُطِيعُونِي لأن الْإِجَابَةَ فِي اللُّغَةِ: الطَّاعَةُ وَإِعْطَاءُ مَا سُئِلَ فَالْإِجَابَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْعَطَاءُ. [البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت : ٥١٠هـ)،(تحقيق : عبد الرزاق المهدي)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**، دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط١ ، ١٤٢٠ هـ،عدد الأجزاء :٥، ٢٠٥/١] بتصرف

(٢) عبد الكريم الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، [٤٢٥/١٠] بتصرف .

- **تأخير ما فيه تناسب مع السياق اللاحق**

نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨]، ففيه تناسب الدعوة المتأخرة مع تفصيل استجابتها في قوله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ ... ﴾ [يونس: ٩٠ – ٩١].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود: ٣٧]، ففيه تناسب النهي المؤخر مع ما سيأتي لاحقا من ارتكاب لهذا المحظور عند مخاطبة نوح ربه في شأن ابنه في قوله: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [هود: ٤٥] .

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [إبراهيم: ٥]، فتأخير ذكر قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ يناسب امتثال موسى الأمر بعده: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ... ﴾ [إبراهيم: ٦].

وقد يجتمع الاعتباران السابقان من تناسب الأول مع سباقه، والثاني مع لحاقه في شاهد واحد، نحو قوله تعالى : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧]، فتقديم النهي الأول يناسب السباق، لأن في السياق السابق شواهد على غلو النصارى في الْمَسِيحِ بتأليهه في الآية (٧٢)، وبقولهم بالتثليث: الأب والابن وروح القدس في الآية [٧٣] ، وهو أَشَدِّ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ بتأليه المخلوق . وتأخير الثاني يناسب لاحق الكلام، لأنه في تعداد قبائح اليهود في الآيات [٧٨-٨١]، واليهود هم القوم الذين يأمر الله النصارى ألا يتبعوا أهوائهم لضلالهم وإضلالهم.

○ ترتيب المتعدد في العطف بما يتناسب مع متعدد آخر في السياق

ومن وجوه هذا التناسب :

- **اللف والنشر بقسميه المرتب وغير المرتب**

أولا: الشواهد على اللف والنشر المرتب

نحو قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦- ٢٩]، ففي الآية لف ونشر مرتب، لأن قوله: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ متعلق بقوله: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾. والمعنى كما قال الطبري: " وإن تعرض يا محمد عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم إذا وجدت إليها السبيل بوجهك عند مسألتهم إياك، ما لا تجد إليه سبيلا حياء منهم ورحمة لهم (ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ) يقول: انتظار رزق تنتظره من عند ربك، وترجو تيسير الله إياه لك، فلا تؤيسهم، ولكن قل لهم قولا ميسورا: يقول: ولكن عدهم وعدا جميلا بأن تقول: سيرزق الله فأعطيكم"(١).

وقوله تعالى:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ متعلق بقوله:﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ ، لأن كل ذلك نهي عن قبائح مالية، فيكون قد نهى عن التبذير أولا، لأنه الأقبح والأفحش ثم نهى عن البخل والإسراف ثانيا .

ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ [الحج: ١٢ – ١٣] فقوله: ﴿ لَبِئْسَ الْمَوْلَى ﴾ مرتبط بقوله: ﴿ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ﴾ من تقديم المقدمة على النتيجة و السبب على المسبب، كأن المعنى: لبئس ذلك المولى ناصراً، فأيُّ ناصرٍ ذلك الذي لا ينفع ولا يضر!.

---

(١)الطبري، **تفسير الطبري**،[٤٣٠/١٧]

وقوله تعالى :﴿ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ مرتبط بقوله تعالى: ﴿ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ ، وهو أيضا من تقديم السبب على المسبب والمقدمة على النتيجة، والمعنى: ولبئس ذلك المعبودُ من صاحبٍ معاشر ضرره أقرب من نفعه [(١)].

ثانيا: الشواهد على اللف والنشر غير المرتب

نحو قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢ – ١١٤].

قال حبنكة في قوله تعالى: ﴿ وَآيَة مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ : " هو اختصار لقولهم في تعليل الطلب: ﴿ نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ، فقوله عليه السلام: ﴿ وآية منك ﴾ هو اختصار لقولهم في تعليل الطلب: ﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ، فوظيفة الآية الربانية الحسية طمأنة القلوب بالمشاهدة ، والانتقال من المشاهدة إلى العلم بصدق من أجرى الله له المعجزة بمقتضى الدليل العقلي ثم ليكونوا شهداء على وقوع هذه الآية فيشهدوا بها أمام من يدعونهم إل الإيمان برسالته وإلى اتباعه. وأما قولهم في التعليل : ﴿ نريد أن نأكل منها ﴾ فيظهر أن عيسى عليه السلام رآه غرضا لا يستحق أن تطلب من أجله آية خارقة، لذلك أخره في الدعاء ، وأورده بصيغة عامة فقال : ﴿ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾." [(٢)].

---

(١) في توجيه نَفَى الضُّرَّ وَالنَّفْعَ أولا في قوله تعالى: { يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ}، وَإِثباتهما ثانيا فِي قَوْلِهِ {يدعو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ} توجيهان: الأول ذكره أبو حيان قائم على اعتبار اختلاف المتعلق، فنفي الضر والنفع، لأن المقصود به الأصنام التي لا تعقل، وإثبات شيء من النفع وكثير من الضر، لأن المقصود المعبود من البشر كفرعون . ينظر: أبو حيان،**البحر المحيط** [٤٨٩/٧-٤٩٠]، وجعل الشعراوي النفع والضر خاص بسدنة الأصنام ، قال الشعراوي: " في قوله تعالى: {يدعو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ} إذن: هناك نَفْع وهو قريب، لكن الضر أقرب منه، فهذه الآية **في** ظاهرها تُناقِض الآية السابقة، والحقيقة ليس هناك تناقض... فالأوثان التي كانوا يعبدونها كان لها سَدَنة يتحكَّمون فيها وفي عابديها، فإذا أرادوا من الآلهة شيئاً قالوا للسدنة: ادعوا الآلهة لنا بكذا وكذا، إذن: كان لهم نفوذ وسُلْطة زمنية، وكانوا هم الواسطة بين الأوثان وعُبَّادها، هذه الواسطة كانت تُدِرُّ عليهم كثيراً من الخيرات وتعطيهم كثيراً من المنافع، فكانوا يأخذون كل ما يُهْدَى للأوثان.فالأوثان - إذن - سبب في نَفْع سدنتها، لكن هذا النفع قصاراه في الدنيا، ثم يتركونه بالموت، فمدة النفع قصيرة، وربما أتاه الموت قبل أنْ يستفيد بما أخذه، وإنْ جاء الموت فلا إيمانَ ولا عملَ ولا توبةَ، وهذا معنى {يدعو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ}". الشعراوي،محمد متولي (ت: ١٤١٨هـ)، الشعراوي،**تفسير الشعراوي – الخواطر**، الناشر: مطابع أخبار اليوم،١٩٧٧م ، عدد الأجزاء: ٢٠ بلا رقم الطبعة [٩٧٣٢/١٦] .

(٢) حبنكة،عبد الرحمن حسن ، **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**، [ص ٢٧٩]

إذن قول عيسى عليه السلام: ﴿ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ﴾ هو تلخيص لتعليل الحواريين طلبهم في قولهم: ﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾. وقوله عليه السلام: ﴿ وارْزُقْنَا ﴾ هو عموم لقولهم: ﴿ نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا ﴾ بلف ونشر معكوس .

ومن شواهده قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ٩ – ١٠] ، فهناك علاقة في الوسط بين المتجاورين وهما : ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ و﴿ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ ، وهي علاقة طباق بين حظر البيع والإذن فيه، فمنع البيع في وقت صلاة الجمعة وسمح به وبغيره من وسائل تحصيل الرزق بعد انقضائها، وهو أيضا من عطف العام على الخاص بقصد التعميم، فالابتغاء من فضل الله فيه تعميم ليشمل البيع وغيره . وهناك علاقة بين المتباعدين في الأطراف: ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ و ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ هي الانتهاء بما بدئ به، ليكون يوم الجمعة أوله ذكر لله وآخره ذكر.

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ﴾ [مريم: ٢٤ – ٢٦] وسبب التعكيس قصد الابتداء بالأهم والأشد احتياجا له وهو الأكل[١] .

- **التقسيم على نحو ترتيب اللف وعلى عكسه**

أولا: الشواهد على التقسيم على نحو ترتيب اللف

قوله تعالى: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ... وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ... وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾ [الحديد: ٧ – ١٠].

فقوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ هو المتقدم في متعدد التقسيم، وهو مرتبط بالمتقدم في متعدد اللف، وهو: ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ . والمتأخر في التقسيم، وهو: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ مرتبط بالمتأخر في اللف، وهو: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾.

---

(١) السري هو جدول ماء. ينظر الزمخشري، **الكشاف**: ١٢/٣

ثانيا: الشواهد على التقسيم على خلاف ترتيب اللف

قوله تعالى: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة: ٤٢].

وهو تقسيم على عكس اللف[١]، لأن الأهم هنا في التقسيم هو بيان انتفاء ترتب الأضرار على الإعراض، كما قال الألوسي: "وتقديم حال الإعراض للمسارعة إلى بيان أنه لا ضرر فيه حيث كان مظنة لترتب العداوة المقتضية للتصدي للضرر"[٢] .

- **حسن التقابل في معاني المتعددات**

أولا: التقابل بين عناصر طباقين

نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾[البقرة: ٢٣٣] [٣] .

ففي الآية مقابلة بين الواجبات والحقوق التي تكفل للرضيع نشأة سليمة قوية رغم ما حدث من فراق بين الأبوين، إذ عليها أن ترضعه حولين كاملين، وفي مقابل ذلك لها حق واجب على والد الطفل، وهو أن يتكفل برزقها أي إطعامها وكسوتها بالمعروف، وهذه المقابلة تشكل الطباق الأول.

ويأتي هذا الطباق متبوعا بطباق آخر هو عدم الإضرار بالوالدة مقابل عدم الإضرار بالوالد [٤].

ونلاحظ أن هناك تناسب في تقديم الطرف الأول على الثاني في كل طباق، لأن الطرف الأول فيهما هو المقدم رتبة، إذ التقديم في موضوع الرضاعة يكون للوالدة المرضع دون الرجل المولود له .

كما أن تقديم الطباق الأول على الطباق الثاني هو أيضا من التقديم للرتبة باعتبار أن حق الطفل الرضيع في أن تبين واجبات الوالدين تجاهه مقدم على تبيين حقوق كل من الوالدين أحدهما على الآخر.

---

(١) على افتراض تقدير محذوف : (وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فأعرض عنهم فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا)، وعليه تكون الجملة إنشائية. بدليل ما يقابلها {وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ}.

(٢) أبو السعود، **تفسير أبي السعود**:٣٩/٣

(٣) هذا مثال على الجمل الإنشائية معنى فقط وقد أشرت إلى أنه ما كان خبرا لفظا لا معنى أو العكس العبرة في ذلك كله المعنى، فيلحق كل منهما بمعناه ، فالخبري لفظا فقط يلحق بالجمل الإنشائية كما في هذا الشاهد .[ينظر في الفصل التمهيدي ص٢٦]

(٤) كمال إبراهيم ،**أسلوب المقابلة في القرآن الكريم** ص ٢٨٥

ثانيا:- التقابل بين عناصر طرفي مقابلة

ومن شواهده قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤].

هنا بني الكلام على نفي شيئين من جهة، وإثبات ما يقابلهما من جهة أخرى(١)، فقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾ نفي يقابله إثبات هو: ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾. وقوله: ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ نفي يقابله إثبات هو ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ .

فالقول الكريم ولين الجانب مقابل القول المؤلم والزجر بالتقابل على التوزيع، بحيث يكون الأول للأول والثاني للثاني، فباجتماع أطراف المقابلة يتشكل طباقان: كلاهما من نوع طباق السلب أي أحد طرفي الطباق مثبت والآخر منفي.

ومن الشواهد - فيما يبدو لي- قوله تعالى:﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الأنفال: ٥٨ - ٦١].

فالآيات الكريمة في أولها عنصران يشكلان أحد طرفي مقابلة، وفي آخرها عنصران يشكلان الطرف الآخر المتتم للأول .

ففي صدر الآيات: الأمر بنبذ العهود مع الأعداء إذا خيف أو بدا منهم نقضا، وفيها أيضا أمر مترتب على الأمر السابق وهو تحقيق الأخذ بالأسباب المادية أي إعداد القوة ، لأنه بعد نبذ العهود خاصة يتوقع نشوب الاقتتال في أي لحظة، فلا بد من الاستعداد المسبق له بالإعداد .

وفي آخر الآيات: الأمر بمسالمة الأعداء إذا ظهر منهم ميل شديد إليها ، وأمر آخر مترتب عليه هو تحقيق الأخذ بالأسباب المعنوية أي التوكل على الله، لأنه بعد الجنوح للسلم خاصة يبقى هناك احتمال

(١) عقد ابن أبي الأصبع بابا بحث فيه هذا اللون البديعي سماه (باب السلب والإيجاب) ، ابن أبي الأصبع المصري العدواني،**بديع القرآن**،(تحقيق حفني محمد شرف)،ط٢،دار نهضة،مصر،١٩٥٧. [ص ١١٦].

إبطان الأعداء قصد المخادعة فيما أظهروه من جنوح للسلم، فتوكل المؤمنين على الله عندها لا بد منه ليعصمهم من كيدهم ومكرهم.

فباجتماع طرفي المقابلة يتشكل طباقان : الأول : الطباق بين الأمر بنبذ عهود الأعداء إذا بدا أو خيف منهم نقضا، والأمر بمسالمتهم إن جنحوا للسلم. والطباق الثاني: بين التحقق من أسباب النصر المادية بإعداد القوة، والتحقق من أسباب النصر المعنوية بالتوكل على الله.

المطلب الثالث :ترتيب المتعاطفات بدلالة غرض المتكلم

أولا :- أغراض بلاغية في التقديم

- **الاهتمام بما فيه مصلحة الضعيف والعاجز،**

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [النساء: ٦] .

ففي الآية توجيه المولى سبحانه للأوصياء على مال اليتيم، يبين لهم كيف يتصرفون في حالين:حال الغنى، وحال الفقر.

ففي حال الغنى: على الوصي الاستعفاف عن أكل مال اليتيم. وفي حال الفقر: يجوز له أن يأكل من مال اليتيم بالمعروف.

فالحكم في الحال الأول هو في مصلحة اليتيم، لأنه يحفظ ماله من النقصان، والحكم في الحال الثاني هو في مصلحة الوصي ، فأيهما قدم الله عز وجل؟ قدم ما فيه مصلحة اليتيم للاهتمام بشأنه أكثر لعجزه وضعفه وإن كانا جميعاً يُهِمّانِه.

- **العناية الخاصة بما هو مظنة التهاون في شأنه لتوفر دواعيه .**

كتقديم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ...وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ [النساء: ١٠٥ـ ١٠٧] .

قال عبد الكريم الخطيب: "كان التوجيه السماوي إلى النبىّ- ومن ورائه المسلمون جميعا- ألّا يكون خصيما وعدوا لمن تظهر خيانتهم، وينكشف جرمهم، فى مجلس الفصل فى الخصومات، وفى هذه الآيات، يجىء التوجيه السماوي متمما لتلك الصورة، ضابطا الوجه المقابل لها... وهو ألا يقف من الخائنين وأولى التّهم موقف الدفاع، الذي يجادل عنهم ويلتمس المعاذير لهم"(١).

فهنا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بصفته قاضيا يفصل في الخصومات، وقد نهي عن أمرين: الأول: مخاصمة من تظهر خيانته، والثاني: المحاماة عن الخائنين .

وقدم النهي الأول لمزيد اعتناء بشأنه، لأن احتمال التهاون فيه واقترافه أشد لتوفر دواعيه وهو الانجرار للعاطفة الكارهة للخيانة، والآمرة بالإفراط في معاقبة الخائن ، وهو ظلم له .

---

(١)عبد الكريم الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**[٣/٨٩٠]

ومن الشواهد قوله تعالى:﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ [الإسراء: ٢٣]، حيث قدم النهي عن التأفف على النهي عن النهر مع أن الثاني أقبح، لأن القصد تقديم ما يحتاج إلى مزيد اعتناء لمظنة الاستخفاف بشأنه والإقدام عليه .

- **التقديم لمحل الاهتمام عند المتكلم**

نحو قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾ [المائدة: ٤١] حيث قدم اليهود ما هو مرغوب عندهم، وهو أن يأتي حكم النبي صلى الله عليه وسلم موافقا لأهوائهم .

- **التقديم لمحل الاهتمام عند المخاطب**

منه قوله تعالى: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ﴾ [النساء: ٩٢] وهو من عطف الإنشائيتين معنى، فَقَدَّمَ الْكَفَّارَةَ عَلَى الدِّيَةِ في قتل المسلم وَعَكَسَ فِي قَتْلِ الْمُعَاهَدِ حَيْثُ قَالَ: ﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾[النساء: ٩٢] .

قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: "وَقَدَّمَ فِي قَتْلِ الْمُسلِمِ الْكَفَّارَةَ عَلَى الدِّيَةِ وَفِي قَتْلِ الْكَافِرِ الدِّيَةَ عَلَى الْكَفَّارَةِ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ يَرَى تَقْدِيمَ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى حَقِّ نَفْسِهِ وَالْكَافِرُ يَرَى تَقْدِيمَ حَقِّ نَفْسِهِ عَلَى حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى"(١).

- **تقديم الترغيب على الترهيب لغرض التلطف بالمخاطب**

منه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ [النساء: ١]، فبدأ بآثار الربوبية قبل آثار الألوهية للتلطف .

- **التقديم للمبالغة في الحث والتحضيض**

تقديم ذكر منفعة النكاح وهو الاستمتاع على ذكر المهر على عكس الترتيب الوقوعي بتقديم المهور أو جزء منها قبل الوطء، وذلك لما في استحضار منفعة النكاح من أثر عند الرجل يهون عليه إخراج المال، ومن يَخْطُب الحسناءَ لا يُغْلِه المهر، كما في قوله تعالى: ﴿ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ٢٥]، وهو أيضا من تقديم الغاية على الوسيلة، والاعتبار الأول هنا- في رأيي- أبلغ .

---

(١)الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت: ٤٥٠هـ)، **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني**،(تحقيق: علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود)،دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ، ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م ،عدد الأجزاء: ١٩ [٦٦/١٣]

ثانيا :- أغراض بلاغية في التوسط

فمن هذه الأغراض البلاغية في التوسط :

- التنويه بشرف المتوسط

كما في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢] .

توسط السلام على المرسلين بين التخلية والتحلية للتشريف والتنويه بشأن رسل الله لأنهم يشتغلون بأفضل ما يشتغل به الذاكرون، وعلى أكمل وجه، وهو الجمع بين التسبيح والحمدلة: أي بين تنزيهه تعالى عما يصفه به المشركون ووصفِه عزَّ وجلَّ بصفاتِه الكريمةِ الثُّبوتيةِ (١).

وقد جاء السلام بشكل ملحوظ في هذه السورة عند ذكر : نوح، إبراهيم ، موسى، وهارون ، وإلياس .

- التعظيم

وقد يكون منه توسط الأمر بالزكاة الكلام عن الصلاة في نحو قوله تعالى:﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣].

قال رشيد رضا: " وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْفَصْلَ بَيْنَ مَعْنَى الصَّلَاةِ وَصُورَتِهَا بِالزَّكَاةِ فِيهِ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِ الزَّكَاةِ" (٢). وقد يكون التقديم للزكاة على الأمربالركوع لأمر آخر هو التقدم للشرف والفضل، فإقامة الصلاة أولا لأنها روح العبادة والإخلاص فيها، يليها شرفا وفضلا إيتاء الزكاة، لِأَنَّهَا تَدُلُّ أَيْضًا عَلَى زَكَاةِ الرُّوحِ وَقُوَّةِ الْإِيمَانِ، فصورة الصلاة البدنية ثالثا، وهو عبادة لِأَنَّهُ يُؤَدَّى امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ تعالى.

---

(١) قال أبو السعود: " {سبحانَ رَبّكَ رَبّ العزة عَمَّا يَصِفُونَ} تنزيهٌ لله سبحانه عن كل ما يصفُه المشركونَ به ممَّا لا يليقُ بجنابِ كبريائِه وجبروتِه ممَّا ذُكر في السورة الكريمة ومالم يُذكر من الأمورِ التي من جُملتِها تركُ إنجازِ الموعودِ على موجبِ كلمتِه السَّابقةِ ... {وسلام على المرسلين} تشريفٌ لهم عليهم السَّلامُ بعد تنزيهه تعالى عمَّا ذُكر وتنويهٌ بشأنِهم وإيذانٌ بأنَّهم سالمون عن كلِّ المكارهِ... وقولُه تعالى{والحمد للَّهِ رَبّ العالمين} إشارةٌ إلى وصفِه عزَّ وجلَّ بصفاتِه الكريمةِ الثُّبوتيةِ بعد التَّنبيهِ على اتِّصافِه تعالى بجميعِ صفاتِه السَّلبيةِ". أبو السعود، **تفسير أبو السعود**[٢١٢/٧]

وقال الألوسي: " وقد يقال: تقديم التنزيه لأهميته ذاتا ومقاما، ولما كان التنزيه عما يصف المشركون وقد ذكر عز وجل إرشاد الرسل إياهم وتحذيرهم لهم من أن يصفوه سبحانه بما لا يليق به تعالى وضمن ذلك الإشارة إلى سوء حالهم وفظاعة منقلبهم أردف جلّ وعلا ذلك بالإشارة إلى حسن حال المرسلين الداعين إلى تنزيهه تعالى عما يصفه به المشركون، وفيه من الاهتمام بأمر التنزيه ما فيه، وأتى عز وجل بالحمد للإشارة إلى أنه سبحانه متصف بالصفات الثبوتية كما أنه سبحانه متصف بالصفات السلبية ... إلا أن الفصل بينهما هنا بالسلام على المرسلين مما اقتضاه مقام ذكرهم فيما مر وجدد الالتفات إليهم تقديم التنزيه عما يصفه به من يرسلون إليه، ولعل من يدقق النظر يرى أن السلام هنا أهم من الحمد نظرا للمقام وإن كان هو أهم منه ذاتا ... ولعله من تتمة جملة التسبيح وبهذا ينحل ما يقال من أن حمده تعالى أجل من السلام على الرسل عليهم السلام فكان ينبغي تقديمه عليه " . الألوسي،**روح المعاني** ١٥١/١٢

(٢)رشيد رضا، **المنار**[٢٤٤/١]

قال محمد رشيد رضا: " ثُمَّ أَمَرَ بَعْدَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ بِالرُّكُوعِ مَعَ الرَّاكِعِينَ، وَالرُّكُوعُ صُورَةُ الصَّلَاةِ أَوْ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَائِهَا، وَقَدْ أَخَّرَهُ وَلَمْ يَصِلْهُ بِالصَّلَاةِ لِحِكْمَةٍ جَلِيلَةٍ ...[فقد] وَرَدَتْ هَذِهِ الْأَوَامِرُ الثَّلَاثَةُ مُرَتَّبَةً كَمَا يُحِبُّ اللهُ - تَعَالَى -؛ فَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى مِنْ عِبَادَةِ اللهِ - تَعَالَى - لِأَنَّهَا رُوحُ الْعِبَادَةِ وَالْإِخْلَاصُ لَهُ، وَيَلِيهَا إِيتَاءُ الزَّكَاةِ لِأَنَّهَا تَدُلُّ أَيْضًا عَلَى زَكَاةِ الرُّوحِ وَقُوَّةِ الْإِيمَانِ، وَأَمَّا الرُّكُوعُ وَهُوَ صُورَةُ الصَّلَاةِ الْبَدَنِيَّةِ أَوْ بَعْضُ صُورَتِهَا أُشِيرَ بِهِ إِلَيْهَا فَهُوَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ فَرْضٌ لِلتَّذْكِيرِ بِسَابِقَيْهِ وَمَا هُوَ بِعِبَادة لِذَاتِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ عِبَادَةً لِأَنَّهُ يُؤَدَّى امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ - تَعَالَى - وَإِظْهَارًا لِخَشْيَتِهِ، وَالْخُشُوعِ لِعَظَمَتِهِ." (١).

---

(١)رشيد رضا، **المنار** [٢٤٤/١]

المطلب الرابع: تعدد دلالات الترتيب

ومما جاء من عطف الجمل الإنشائية معنى، قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠] . ففيه عدة اعتبارات في الترتيب:

- الاهتمام بغرض الوقاية ، لأن درهم وقاية خير من قنطار علاج .
- تقديم السببية، لما في إطلاق البصر من معنى السببية في الزنى.
- التقديم للكثرة على القلة، لأن إطلاق البصر إذ هو مما عمت به البلوى
- الاعتناء بشأن غض البضر لأنه مظنة التهاون وعدم الاكتراث بشأنه.

قال الزمخشري: "فإن قلت: لم قدّم غض الأبصار على حفظ الفروج؟ قلت: لأنّ النظر بريد الزنى ورائد الفجور، والبلوى فيه أشدّ وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه"(١).

ونحو قوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢] . ففيه اعتباران:

- التقديم لشرف الذكر على الشكر، قال الآلوسي: " وإنما قدم الذكر على الشكر، لأن في الذكر اشتغالا بذاته تعالى، وفي الشكر اشتغالا بنعمته، والاشتغال بذاته تعالى أولى من الاشتغال بنعمته" (٢).
- تقديم العام على الخاص ، فالشكر من أنواع الذكر وتخصيصه هنا لكثرة موجبه من فيوض نعم الله على عباده، ونحو قوله: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [آل عمران: ٤١] إذ التسبيح من الذكر .

ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾[البقرة: ٢٨٦] . وفيه اعتباران في الترتيب:

- العلاقة بين الجمل الثلاث هي تقديم التخلية على التحلية، فطلب العفو أولا لضمان السلامة من التعذيب الجسماني في النيران، وطلب المغفرة ثانيا لضمان السلامة من عذاب التخجيل، وأخيرا طلب التحلية بالفوز بالجنان .

قال الرازي: " مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْعفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ؟الْجَوَابُ: أَنَّ الْعَفْوَ أَنْ يُسْقِطَ عَنْهُ الْعِقَابَ، وَالْمَغْفِرَةَ أَنْ يَسْتُرَ عَلَيْهِ جُرْمَهُ صَوْنًا لَهُ مِنْ عَذَابِ التَّخْجِيلِ وَالْفَضِيحَةِ، كَأَنَّ الْعَبْدَ يَقُولُ: أَطْلُبُ مِنْكَ الْعَفْوَ

---

(١) الزمخشري،**الكشاف**، [٢٣٠/٣]
(٢) الآلوسي،**روح المعاني** [٤١٧/١]

وَإِذَا عَفَوْتَ عَنِّي فَاسْتُرْهُ عَلَيَّ فَإِنَّ الْخَلَاصَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ إِنَّمَا يَطِيبُ إِذَا حَصَلَ عَقِيبَهُ الْخَلَاصُ مِنْ عَذَابِ الْفَضِيحَةِ، وَالْأَوَّلُ: هُوَ الْعَذَابُ الْجُسْمَانِيُّ، وَالثَّانِي: هُوَ الْعَذَابُ الرُّوحَانِيُّ، فَلَمَّا تَخَلَّصَ مِنْهُمَا أَقْبَلَ عَلَى طَلَبِ الثَّوَابِ، وَهُوَ أَيْضًا قِسْمَانِ: ثَوَابٌ جُسْمَانِيٌّ وَهُوَ نَعِيمُ الْجَنَّةِ وَلَذَّاتُهَا وَطَيِّبَاتُهَا، وَثَوَابٌ رُوحَانِيٌّ وَغَايَتُهُ أَنْ يَتَجَلَّى لَهُ نُورُ جَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى " (١).

وفي تفسير الراغب : "إن قيل: ما الفرق بين العفو والغفران والرحمة؟ وما وجه هذه الترتيب؟ قيل: العفو: إزالة الذنب بترك عقوبته، والغفران ستر الذنوب، وكشف الإحسان الذي غطى به، والرحمة إفاضة الإحسان عليه، وقد علم أن الثاني أبلغ من الأول، والثالث أبلغ من الثاني"(٢).

– في الآية لف ونشر مرتب بين قوله تعالى:﴿ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ ﴾[البقرة: ٢٨٦]، وما جاء قبله، وهو قوله :﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾[البقرة: ٢٨٦]، إما من عطف المسبب على السبب والنتائج على المقدمات، وإما من عطف التعميم على التخصيص أو الأصول على الفروع، كل ذلك بلف ونشر مرتب ، وبالأول قال أبو حيان (٣)، وبالثاني ابن عاشور(٤).

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ [المائدة: ٣]. ففيه:

– التقديم للنهي الأول للتناسب مع سابق السياق، لأنه متفرع عن يأس الكفار المذكور في السباق، قال الآلوسي: "فَلا تَخْشَوْهُمْ أن يظهروا عليكم وهو متفرع عن اليأس "(٥).

– وهو عندي أيضا من الترتيب على الأصل بتقديم التخلية على التحلية.

---

(١)الرازي، **التفسير الكبير**،[١٢٤/٧] وبنحوه قال ابن حيان، أبو حيان ،**البحر المحيط** [٧٦٦/٢]

(٢)الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، **تفسير الراغب الأصفهاني** ، (المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني) ، كلية الآداب - جامعة طنطا،ط١، ١٩٩٩ م [٦٠٠/١]

(٣)أبو حيان **البحر المحيط**، [٦٧٣/٢]،قال أبو حيان:" وَلَمْ يَأْتِ لَفْظُ: رَبَّنَا، فِي الْجُمَلِ الطَّلَبِيَّةِ أَخِيرًا لِأَنَّهَا نَتَائِجُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْجُمَلِ الَّتِي دَعَوْا فِيهَا: بِرَبِّنَا، وَجَاءَتْ مُقَابَلَةُ كُلِّ جُمْلَةٍ مِنَ الثلاث السوابق جملة، فقابل لَا تُؤاخِذْنا بِقَوْلِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَقَابَلَ وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً بِقَوْلِهِ: وَاغْفِرْ لَنا وَقَابَلَ قَوْلَهُ وَلا تُحَمِّلْنا مَا لَا طاقَةَ لَنا بِهِ بِقَوْلِهِ: وَارْحَمْنا "

(٤)ابن عاشور، **التحرير والتنوير** [١٤١/٣] قال ابن عاشور: "" تِلْكَ الدَّعَوَاتِ الْمُقْتَرِنَةَ بِقَوْلِهِ: رَبَّنا فُرُوعٌ لِهَذِهِ الدَّعْوَاتِ الثَّلَاثِ، فَإِذَا اسْتُجِيبَ تِلْكَ حَصَلَتْ إِجَابَةُ هَذِهِ بِالْأَوْلَى فَإِنَّ الْعَفْوَ أَصْلٌ لِعَدَمِ الْمُؤَاخَذَةِ، وَالْمَغْفِرَةَ أَصْلٌ لِرَفْعِ الْمَشَقَّةِ وَالرَّحْمَةَ أَصْلٌ لِعَدَمِ الْعُقُوبَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ تَعْمِيمًا بَعْدَ تَخْصِيصٍ، كَانَ كَأَنَّهُ دُعَاءٌ وَاحِدٌ."

(٥) الآلوسي،**روح المعاني** [٢٣٣/٣]

الفصل الثاني

تغاير ترتيب الجمل المتعاطفة بالواو في متشابه النظم

التمهيد

المبحث الأول : تغاير الترتيب في الموضوع الخاص

المبحث الثاني: تغاير الترتيب في الموضوع العام

التمهيد

عرف الغرناطي متشابه النظم بأنه: "ما تكرر من آياته لفظاً، أو اختلف بتقديم أو تأخير، وبعض زيادة في التعبير"[١]، وعرفه الزركشي بقوله: "إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة"[٢] .

والصحيح أن متشابه النظم لا يقتصر وجوده في القصة الواحدة كما قد يفهم من تعريف الزركشي السابق.

وأجمع تعريف له : "ما تكرر من القرآن لفظاً أو مع اختلاف في العبارة والتركيب بأي صورة من الصور، كالتقديم والتأخير، والزيادة والنقصان، وإبدال حرف بآخر أو كلمة بأخرى، وغير ذلك" . من الجمل المتعاطفة بالواو في القرآن الكريم جمل تراها متغايرة في ترتيبها من موضع لآخر، وهذه المواضع بعضها في الموضوع الواحد، وبعضها في الموضوعات المختلفة، ويمكن أن يدخل بحث ذلك كله تحت مسمى "مشتبه النظم"[٣].

وعليه يمكن أن أسمي هذا الفصل : بلاغة الترتيب في متشابه النظم، وأن أقسمه إلى مبحثين:

المبحث الأول: تغاير الترتيب في سياقات الموضوع الواحد.

االمبحث الثاني : تغاير الترتيب في سياقات الموضوعات المختلفة.

وتحت كل مبحث مطلبان هما:

- ما جاء بترتيب على الغالب وبخلافه على الأقل
- ما جاء بترتيب في موضع وبخلافه في موضع آخر

وسوف تعمد هذه الدراسة في الكشف عن الأغراض البلاغية المختبئة في فروق الترتيب مستعينة بإيحاءات السياق .

---

(١)الغرناطي، **ملاك التأويل** [١/٧-٨]

(٢)الزركشي، **البرهان** [١/١١٢]

(٣)جمال مصطفى عبد الحميد عبد الوهاب، **مُتَشَابِهُ النَّظْمِ في القُرْآنِ الْكَرِيمِ**، بحث منشور على موقع جامعة أم القرى،ص١.

المبحث الأول

تغاير الترتيب في الموضوع الخاص

المطلب الأول: ما جاء بترتيب في الغالب وبخلافه في الأقل

المطلب الثاني: ما جاء بترتيب في موضع وبخلافه في موضع آخر

المطلب الأول: ما جاء بترتيب في الغالب وبخلافه في الأقل

وسوف أتناول في هذا المبحث جملة من الشواهد وتحليلها، فمن ذلك:-

أ- تقديم التزكية على التعليم في الغالب وخلافه في الأقل

فتقديم التعليم على التزكية جاء في تلك الآية التي ذكرت دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأن يبعث الله نبي آخر الزمان، وفيها بيان مهمته في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩]

وتقديم التزكية جاء في آيات أخرى إخبارا من الله ابتداءً، ومفيدة ضمنا استجابة دعوة إبراهيم- عليه الصلاة والسلام- ومن هنا كان اعتبارها من متشابه النظم في القصة أو الموضوع الواحد ، وهي:

- قوله تعالى:﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] .
- وقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢].
- وقوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١] .

ولبيان سبب الاختلاف، لا بد من التفصيل الآتي:

أولا : التزكية لها معنيان(١):

أ- على اعتبار المقصود بالتزكية التي تسبق التعلم ، على معنى : التطهير من الشرك والدنس والمعاصي(٢) .

---

(١)أبو السعود، **تفسير أبي السعود** [١٠٨/٢]

(٢) وهذا هو المعنى الذي اقتصر عليه البقاعي في موضع سورة الجمعة:٢، حيث قال: "" ولما كان المقام للتنزيه ولتأديب من وقع في موادة الكفار ونحو ذلك، قدم التزكية فقال: {ويزكيهم} أي عن الأخلاق الرذيلة والعقائد الزائغة، فكانت تزكيته لهم مدة حياته بنظره الشريف إليهم وتعليمه لهم وتلاوته عليهم، فربما نظر إلى الإنسان نظرة محبة فزكاه الله بها، وربما سرت تلك النظرة إلى ثان فأشرقت أنوارها عليه على حسب القابليات ... ولما كانوا بعد التزكية التي هي تخلية عن الرذائل أحوج ما يكون إلى تحلية بالفضائل قال: {ويعلمهم الكتاب} أي المنزل عليه الجامع لكل خير ديني ودنيوي في الأولى والأخرى {والحكمة} وهي غاية الكتاب في قوة فهمه والعمل به، فهي العلم المزين بالعمل والعمل المتقن بالعلم معقوله ومنقوله ليضعوا كل شيء منه في أحكم مواضعه فلا يزيغوا عن الكتاب كما زاغ بنو إسرائيل، فيكون مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً ولو لم يكن له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معجزة إلا هذه لكانت غاية ". " البقاعي، **نظم الدرر**[٢٠ /٤٩-٥١]

ب- على اعتبار المقصود بالتزكية التي تلي التعلم أي ثمرته، على معنى : تهذيب النفس وتكميلها بحسب القوة العملية المتفرعة على تهذيبها وتكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة .

ثانيا:- في الآية التي قدم فيها التعليم على التزكية كان الكلام على لسان إبراهيم، وفي الآيات الأخرى التي قدم فيها التزكية كان الكلام من الله ابتداءً، لا على لسان أحد.

ثالثا:- إما أن يكون معنى التزكية واحدا في الكلامين، وإما أن يكون مختلفا فيهما.

وينتج من ذلك احتمالات:

أولا: أن يكون معنى التزكية واحدا في الكلامين، وهو معنى : " تهذيب النفس وتكميلها بحسب القوة العملية المتفرعة على تهذيبها وتكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة ".

وعليه يكون ما جاء من الله ابتداءً :

- بملاحظة تقدمها على التعليم خاصة
- يكون من تقديم الأهم: الغايات على الوسائل: لأن غاية التعليم هو تحصيل التزكية .
- بملاحظة توسطها بين التلاوة والتعليم
- من التوسط بين الشجر ولحائه: لتعظيم شأن التزكية .
- للإيذان بأن كل واحد من الأمرين المترتب على غيره، أي: التزكية المترتبة على التعليم، والتعليم المترتب على التلاوة، نعمة جليلة على حيالها مستوجبة الشكر، فَلَو رُوعِي ترتيبَ الوجودِ فذكرت التزكية بعد التعليم، وذكر التعليم بعد التلاوة بلا فاصل بينهما لتبادر إلى الفهم عدُّ الجميعِ نعمةً واحدةً (١). وأما ما جاء على لسان إبراهيم فيكون من الترتيب الطبيعي بتقديم السبب على المسبب (٢) .

---

(١) ينظر أبو السعود، **تفسير أبي السعود** [١٠٨/٢] قال أبو السعود: " {وَيُعَلّمُهُمُ الكتاب والحكمة} أي القرآنَ والسنةَ وهو صفةٌ أُخْرَى لرسولاً مترتبةٌ في الوجودِ عَلَى التِّلاوةِ وإنَّما وَسَّطَ بينَهُما التزكيةَ التي هي عبارةٌ عن تكميل النفس بحسب القوةِ العمليةِ وتهذيبِها المتفرِّع عَلَى تكميلِهَا بحسبِ القوةِ النظريةِ الحاصلِ بالتعليمِ المترتبِ على التلاوة للإيذانِ بأنَّ كلَّ واحدٍ من الأمورِ المترتبةِ نعمةٌ جَليلةٌ على حيالِهَا مستوجبةٌ للشكرِ فَلَو رُوعِي ترتيبَ الوجودِ كما في قوله تعالى رَبَّنَا وابعث فِيهِمْ رَسُولاً مّنْهُمْ يتلو عَلَيْهِمْ آياتك وَيُعَلّمُهُمُ الكتاب والحكمة وَيُزَكّيهِمْ لتبادر إلى الفهم عدُّ الجميعِ نعمةً واحدةً وهو السرُّ في التعبير عن القرآن بالآياتِ تارة وبالكتاب والحكمة أخرى رمزاً إلى أنَّه باعتبارِ كلِّ عنوانٍ نعمةٌ عَلى حدة ولا يقدحُ في ذلك شمولُ الحكمةِ لِمَا في مطاوي الأحاديثِ الكريمةِ من الشرائع" .

(٢) وقد جعله أبو السعود من الترتيب الوجودي ولا تعارض مع ما ذكرت ، لأن ما في الآية هو من الترتيب الوجودي بمعناه الأعم ، ومن التقديم السببية بمعناه الأخص، لأن ما كان تقديما للسببية هو بالضرورة ترتيبا وجوديا. ينظر أبو السعود، **تفسير أبي السعود** [١٠٨/٢]

ثانيا: أن يكون معنى التزكية واحدا في الكلامين، وهو معنى : "التطهير من الشرك والدنس والمعاصي".

وعليه يكون ما جاء من الله ابتداءً بتقديم التخلية على التحلية، وما جاء على لسان إبراهيم من تقديم التحلية على التخلية لشرافتها وفضلها وكمالها[(١)]، أولأنها الأهم من تقديم الغايات على الوسائل .

وأستبعد هذا الاحتمال من ناحيتين:

الأولى: أنه يجعل وجاهة الترتيب فيما جاء على لسان إبراهيم لا فيما جاء من الله ابتداءً، لأن اعتبار تقديم الغايات على الوسائل في ذاته، أبلغ من الترتيب بتقديم التخلية على التحلية في هذا الموضع .

الثانية : لأنه يجعل التعليم هو الغاية والتزكية هي الوسيلة، وأرى أن العكس هو الصحيح.

ثالثا: أن يكون معنى التزكية مختلفا في الكلامين، ويظهر أن هذا هو القول المقدم عند الألوسي، فقد ابتدأ به، وذكر غيره بصيغة التمريض "وقيل". قال الآلوسي: "وقدم التزكية على التعليم في هذه الآية، وأخرها عنه في دعوة إبراهيم لاختلاف المراد بها في الموضعين، ولكل مقام مقال"[(٢)].

وأستبعد تخريج الاختلاف في التقديم والتأخير في الموضعين على اختلاف المراد بالتزكية فيهما، لأنه يفوت ملاحظة معان بلاغية مبنية على اعتبار معنى التزكية واحد في المواضع كلها ، ولأن اتحاد المعنى هو الأصل.

والذي يترجح لدى الباحث أن يكون معنى التزكية واحدا في الكلامين، وهو " تهذيب النفس وتكميلها بحسب القوة العملية المتفرعة على تهذيبها وتكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة ".

وعليه تكون دعوة إبراهيم جاءت بالترتيب الطبيعي بالتقديم لاعتبار السبق بالزمان والسببية أي تقديم التعليم على التربية ، أما ترتيب الكلام من الله ابتداءً، فيكون قد جاء بعكس الترتيب قصدا لتقديم الأهم، وهو الغايات على الوسائل أي تقديم التزكية على التعليم .

---

(١)قال الألوسي:" وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ صفة إثر صفة وأخرت لأن تعليم الْكِتابَ وتفهيم ما انطوى عليه من الحكمة الإلهية والأسرار الربانية إنما يكون بعد التخلي عن دنس الشرك ونجس الشك بالاتباع، وأما قبل ذلك فالكفر حجاب" الألوسي، **روح المعاني**، [٤١٧/١] ، وقال أيضا في توجيه تقديم التعليم "التحلية" على لسان إبراهيم " ولعل تقديم الثاني على الأول لشرافته" الألوسي، **روح المعاني**،[٣٨٥/١].

(٢) الآلوسي، **روح المعاني**، [٤١٧/١] قال الألوسي:" وقيل: قدمت التزكية تارة وأخرت أخرى لأنها علة غائية لتعليم الْكِتابَ والحكمة، وهي مقدمة في القصد والتصور مؤخرة في الوجود والعمل فقدمت وأخرت رعاية لكل منهما" وقد جوز الألوسي هذا القول ورد على من اعترض عليه.

وبمقارنة هذين الاعتبارين نجد أن الاعتبار الذي جاء من الله ابتداء في الآيات الثلاث هو الأبلغ.

ولعل هذه المقارنة ونتيجتها كانت مقصودة من خلال العمد إلى نقل دعوة إبراهيم بالترتيب الذي صدر عنه بكل أمانة دون تصرف فيه، وإعادة صياغته على أبلغ وجه عندما كان الإخبار من الله ، ليعمد العقل إلى المقارنة بين ما هو بليغ وما هو أبلغ، فيتنبه إلى كمال علمه سبحانه، وقصور علم البشر مهما أوتوا من العلم.

ومن هذه المقارنات الكامنة في فروق النظم ما جاء على لسان سليمان وهو يدعو ربه : ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

وما جاء متضمنا هذا الكلام، لكن من الله ابتداء وفي سياق التعليم والتلقين للخلق : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥] .

فدعوة سليمان غاب عنها الدعوة بصلاح الذرية، وهو ما نجده حاضرا متداركا في الدعوة النموذجية التعليمية المتكاملة، التي جاءت ابتداءً من الله، لتكون تعليما لخلقه .

وبمقارنة الموضعين نحصل على: دعوة بليغة على لسان سليمان، ودعوة أبلغ من الله، فيها إيذان بكمال علمه سبحانه، وقصور علم البشر إزاءه .

ب- تقديم جعل المشركين البنات لله على جعلهم الذكور لأنفسهم وعكسه.

في موضوع خرق المشركين لله البنات، جاء تقديم ما خرقوه لله من البنات على ما اصطفوه لأنفسهم من البنين هو الأكثر ، وذلك في الآيات:

- قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل: ٥٧]
- وقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٩]
- وقوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾ [الزخرف: ١٦]
- وقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ [الطور:٣٩].

وتقديم البنين على البنات في الآيات:

- قوله تعالى:﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٢١]
- وقوله تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ﴾ [الإسراء: ٤٠].

والذي أراه أن الآيات التي تقدمها جعل المشركين البنات لله على جعلهم الذكور لأنفسهم - وهي الأكثر - جاء الترتيب فيها على الأصل بتقديم المقصود بالذات إنكاره، وهو افتراء المشركين البنات لله على ما هو مذكور على سبيل التتميم بالمقابلة بما يزيده قبحا ببيان كراهيتهم لأنفسهم ما نسبوه لله، واستئثارهم لأنفسهم بأفضل الجنسين عندهم ، أو هو من تقديم ما تعلق بالمقدم شرفا وهو ذات الله العلية على ما تعلق بالمؤخر لقبحه وحقارته وهم المشركون.

أما ما جاء بتقديم نصيب المشركين من الذكور، فذلك وارد في موضعين اثنين: في سورة الإسراء وسورة النجم.

والغرض من تقديم ما لهم على ما لله - على زعمهم - في موضع النجم هو قصد تحقيرهم بتقديمهم في الذكر، وقد اقتضاه السياق : لأنه تقدم موضع الشاهد قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]، وفيه يظهر أن ما نسبوه لله في هذه السورة هو أحطّ جنسي الإناث - في زعمهم - وهي الأصنام المذكورة في الآية ، فهي أدنى رتبة من الملائكة التي ادعوا أنوثتها هي الأخرى وجعلوها بنات الله في غير هذا الموضع .

فناسب لأجل ذلك تحقيرهم بالتقديم في هذا الموضع خاصة، والمعنى عليه : ألكم أنتم - أحقر الناس وأبعدكم عندي منزلة لشرككم بي - الكامل من الزوجين عندكم: (الذكر)، ولذاتي العلية الناقص منهما عندكم (الأنثى)!، بل أحط الإناث: (الأصنام)! .

أما ما جاء في موضع الإسراء ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ [الإسراء: ٤٠]. فقد سبق هذه الآية آيات كلها وصايا يتجلى فيها حكمة الله – جل في علاه- ابتداءً من قوله تعالى:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ... ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وانتهاءً بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٩] . فناسبه مجيء ترتيب موضع الشاهد بتقديم الأمر الأشد إنكارا لكونه الأشد منافاة لمقتضى الحكمة، لأنه إن جاز على سبيل

الفرض أن يصطفي الله لنفسه شيئا – وهو غير جائز لكونه مناف للحكمة - فالأشد منه استحالة ألا يحسن الاصطفاء ، فيختار للكفرة الفجرة به المقدم عندهم شرفا "الذكور"، ويختار لذاته العلية الأحط قدرا عندهم "الإناث"، فيظهر بمظهر من فضل خلقه على نفسه ، بل من فضل أكفر خلقه به على نفسه .

وفيه أيضا التقديم لغرض التحقير لا للتشريف، كأنه قال: لئن جاز اصطفاء الذكور على سبيل الفرض لأحد من خلقي على نفسي ، فأنتم أبعدهم عن هذا الشرف لكفركم بي .

ت- تقديم لباس أهل الجنة على حليهم والعكس

فتقديم الحليّ على اللباس في الآيات:

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [الحج: ٢٣ – ٢٤] .

- وفي قوله : ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴾ [فاطر: ٣٢ - ٣٥].

- وفي قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ ﴾ [الكهف: ٣١].

وتقديم اللباس على الحلية جاء في سورة الإنسان في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴾ [الإنسان: ٢٠ – ٢١].

ومرجع ذلك عندي إلى دلالة المعنى والسياق.

فما كان مرجعه إلى المعنى: أن ما في سورة "الإنسان" جاء مرتبا على الأصل، بتقديم ما هو أساسي: (اللباس لستر العورة)، على ما هو كمالي: (الحلي) ، من تقديم التخلية على التحلية .

أضف إلى ذلك ملاحظة كون اللباس من السندس والإستبرق - وهما نوعان من الحرير(١)- بينما الحلي هنا من الفضة ، ولباس الحرير أشرف وأثمن من حلي الفضة .

أما ما جاء في الحج وفاطر والكهف ، فقد كان الترتيب على خلاف الأصل بتقديم التحلية على التخلية، وذلك لشرف التحلية هنا أي الحلي ، لكونه من الذهب والؤلؤ(٢) كما في "الحج" و"فاطر" أو من الذهب فقط كما في "الكهف"، إذ حلي الذهب واللؤلؤ أشرف من لباس الحرير والله أعلم. وقد يكون تقديم التحلية لكونها الأشهى إلى النفس (٣).

وجعل أبو السعود تقديم التحلية في الحج وفاطر لكونه المقصود بالذات بيانه، قال: " ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ غُيِّر الأسلوبُ حيثُ لم يقُلْ ويلبسون فيها حريراً لكن لا للدِّلالةِ على أنَّ الحريرَ ثيابُهم المعتادة أو لمجرَّدِ المحافظةِ على هيئةِ الفواصلِ بل للإيذانِ بأن ثبوت اللباسِ لهم أمرٌ محققٌ غنيٌّ عن البيان إذ لا يمكن عراؤهم عنْهُ وإنَّما المحتاجُ إلى البيانِ أنَّ لباسَهم ماذا بخلافِ الأساورِ واللؤلؤ فإنَّها ليستْ من اللَّوازمِ الضَّروريَّةِ فجعل بيان تحليتهم بها مقصوداً بالذَّاتِ ولعلَّ هذا هو الباعثُ لتقديمِ بيانِ التَّحليةِ على بيانِ حالِ اللِّباس " (٤).

أما ما يرجع إلى دلالة السياق، فلكون الترتيب في كل موضع قائما على تقديم الأنسب للسابق من السياق في تلك المواضع، فتقديم الحلي ، لأنه الأنسب لوصف الجنة قبله، وتقديم اللباس لأنه الأنسب لوصف أهل الجنة قبله.

قال ابن عاشور: " وَقَدَّمَ ذِكْرَ الْحُلِيِّ عَلَى اللِّبَاسِ هُنَا(٥)، لِأَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ صِفَةً لِلْجَنَّاتِ ابْتِدَاءً، وَكَانَتْ مَظَاهِرُ الْحُلِيِّ أَبْهَجَ لِلْجَنَّاتِ، فَقَدَّمَ ذِكْرَ الْحُلِيِّ، وَأَخَّرَ اللِّبَاسَ لِأَنَّ اللِّبَاسَ أَشَدُّ اتِّصَالًا بِأَصْحَابِ الْجَنَّةِ لَا

---

(١)السُّنْدُسُ مَا رَقَّ مِنَ الدِّيبَاجِ، وَالْإِسْتَبْرَقُ مَا غَلُظَ مِنْهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي اسْمِ الْحَرِيرِ ، ينظر: الرازي ، تفسير الرازي، [٧٥٤/٣٠] ،وقال عبد الكريم الخطيب: والسندس، ضرب من نسيج الحرير الرقيق، والإستبرق نسيج أغلظ من نسيج السندس.. أي أن السندس يكون شعارا، والإستبرق يكون دثارا.. [عبد الكريم الخطيب،**التفسير القرآني**،١٣٧٢/١٥]وابن عاشور،**التحريروالتنوير**[٣١٣/٥]

(٢) جاء في الآية :{وَلُؤْلُؤاً} بالنَّصبِ عطفاً عَلى محلِّ منْ أساورَ. ينظر:أبو السعود، **تفسير أبي السعود**، [١٠٢/٦] والشعراوي يرى أن الأساور إما من ذهب أو فضة أو لؤلؤ ،**تفسير الشعراوي**[٨٨٩٥/١٤]

(٣)السمين الحلبي، **الدر المصون** [٤٨٣/٧].

(٤)أبو السعود، **تفسير أبي السعود**، [٦/ ١٠٢]

(٥)يقصد موضع الكهف ومثله يقال في موضعي الحج وفاطر لأن الحلي في ثلاثتها يصح ان يكون صفة للجنات ابتداء.

بِمَظَاهِرِ الْجَنَّةِ، وَعَكْسُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ ﴾ [الإنسان: ٢١] لِأَنَّ الْكَلَامَ هُنَالِكَ جَرَى عَلَى صِفَاتِ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ." (١).

ويمكن أن يقال أيضا: إنه من تقديم الأنسب لحال المخاطبين في كل موضع، وهذا تفسير لاختلاف نوع الحلي – خاصة - في هذه المواضع .

فحلي المذكورين في الحج وفاطر هو الأعلى شرفا ونفاسة ، لأنه ثواب السابقين في الخيرات المذكورين صراحة في السباق لموضع الشاهد من سورة فاطر، وهو قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾(٢). وهم أنفسهم المذكورون في الحج بدلالة تشابه لاحق السياق بين السورتين : فاطر والحج ، ففي الحج: ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾[الحج:٢٤]. وفي " فاطر" تفسير لهذا الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ المبهم بقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[فاطر:٣٤-٣٥].

فهؤلاء المقربون ، السابقون في الخيرات، المُحَلَّوْن بحلي الذهب واللؤلو، المذكورون في سورتي: "الحج وفاطر"، هم أعلى منزلة من أولائك المذكورين في سورة "الإنسان" ، ولذلك كان حُلِيُّ الآخرين من فضة، وليس حليهم فقط، بل الأواني والصحاف والأباريق والأكواب التي يطاف بها عليهم هي كذلك من فضة.

ويؤيد ما ذهبت إليه ما ذكره ابن تيمية رحمه الله ، قال : " فَإِن قيل فَلم اقْتصر من آنيتهم وحليتهم على الْفضة دون الذَّهَب، وَمَعْلُوم أن الْجنان جنتان من فضَّة آنيتهما وحليتهما وَمَا فيهمَا وجنتان من ذهب آنتيهما وحليتهما وَمَا فيهمَا، قيل: سِيَاق هَذِه الْآيَات إِنَّمَا هُوَ فِي وصف الْأَبْرَار ونعيمهم مفصلا دون تَفْصِيل جَزَاء المقربين، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا أَشَارَ اليه إشارة تنبه على مَا سكت عَنهُ، وَهُوَ أَن شراب الْأَبْرَار يمزج من شرابهم ، فالسورة مسوقة بِصفة الْأَبْرَار وجزائهم على التَّفْصِيل وَذَلِكَ وَالله أعلم لأَنهم أَعم من المقربين

---

(١)ابن عاشور،**التحرير والتنوير**[٥/٣١٤]

(٢) يفهم من كلام ابن عاشور أنه جعل مرجع الضمير في "يدخلونها" إلى الأصناف الثلاثة، وبنى عليه التقديم في التفصيل لـ " ذِكْر الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ لِدَفْعِ تَوَهُّمِ حِرْمَانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَتَعْجِيلًا لِمَسَرَّتِهِ ". ابن عاشور،**التحرير والتنوير** [٢٢/ ٣١٢]، ولا شك أن نفاسة النعيم المذكور من حلي الذهب والفضة ولباس الحرير لا يناسب الظالم لنفسه ولا المقتصد وإنما يناسب السابق بالخيرات.

وَأكْثر مِنْهُم وَلِهَذَا يخبر سُبْحَانَهُ عَنْهُم بِأَنَّهم ثلة من الْأَوَّلين وثلة من الآخرين، وَعَن المقربين السَّابِقين بِأَنَّهُم ثلة من الْأَوَّلين وَقَلِيل من الآخرين . وَأَيْضًا فَإِن فِي ذكر جَزَاء الْأَبْرَار تَنْبِيها على أَن جَزَاء المقربين مَا لَا عين رَأَتْ وَلَا أذن سَمِعت وَلَا خطر على قلب بشر. وَأَيْضًا فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ ذكر أهل الْكفْر وَأهل الشُّكْر، وَأهل الشُّكْر نَوْعَانِ: أبرار أهل يَمِين، ومقربون سَابِقُونَ . وكل مقرب سَابق فَهُوَ من الأبرار وَلَا ينعكس، فاسم الأبرار والمقربين كاسم الإسلام والايمان أَحدهمَا أعم من الآخر. "(١).

ث- التقديم لسبق الأجل على تأخيره وعكسه

فتقديم نفي التأخير للأجل(٢) على نفي التقديم له جاء آيات:

- في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤]
- وفي قوله: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل: ٦١].
- ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٩]

وتقديم نفي التقديم للأجل على نفي التأخير له جاء في نحو قوله تعالى: ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ [الحجر: ٥].

ما جاء بتقديم نفي التأخير للأجل هو من تقديم ما هو المقصود بالذات بيانه من عدم خلاصهم من العذاب واستيجابهم الإنذار به لأن معناه عدم المهلة عن الأجَل(٣). وعطف "ولا يستقدمون" عليه هو للمبالغة في انتفاء حصول الأول.

قال أبو السعود: " ﴿ وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ أي ولا يتقدمون عليهِ وهو عطفٌ عَلى يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع إمكانه في نفسه كالتأخر بل المبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيلِ عقلاً ، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ

---

(١)ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ)، **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**،(المحقق: د. محمد السيد الجليند)، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق،ط٢، ١٤٠٤ه عدد الأجزاء:٦ [٢٤/٣]

(٢){فِإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ} فيه قولان: أحدهما: أجل موتهم. الثاني: أجل عذابهم. {لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} يحتمل وجهين: أحدهما: لا يزيد أجل حياتهم ولا ينقص. والثاني: لا يتقدم عذابهم ولا يتأخر.[الماوردي،**النكت والعيون**: ٢٢٠/٢]

(٣)القاسمي ،محمد جمال الدين بن محمد سعيد (ت: ١٣٣٢هـ)، **تفسير القاسمي (محاسن التأويل)**،(تحقيق محمد باسل عيون السود)،دار الكتب العلميه ، بيروت،ط١، ١٤١٨ هـ [٥٠/٥] ، وينظر: الزركشي،**البرهان**[٢٦٤/٣]

ﭐلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ [النساء: ١٨]، فإن من مات كافراً مع ظهور أن لا توبةَ له رأساً قد نُظم في عدم القبولِ في سلك من سوفها إلى حضور الموتِ إيذاناً بتساوي وجودِ التوبة حينئذ وعدمها بالمرة" (١).

وأما قوله تعالى: ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ [الحجر: ٥]، فالتقديم لانتفاء السبق لمراعاة التناسب المعنوي مع السابق في السياق في قوله تعالى:﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الحجر: ٣ - ٤].

فالمراد هنا بيان سر عدم تعجيل إهلاكهم مع استحقاقهم له، حسبما ينبئ عنه آيات السباق ، فالأهم هنا بيان انتفاء السبق الذي هو تعجيل عذابهم (٢)، وهو أيضا من التقديم بمراعاة اشتقاق اللفظ (٣).

---

(١)أبو السعود،**تفسير أبي السعود**[٢٢٥/٣] وفي حاشية الش:هاب، [٣٤/٥] "الفائدة فيه [أي في عطف "لا يستقدمون"] المبالغة في انتفاء التأخير لأنه لما نظمه في سلكه أشعر بأنه بلغ في الاستحالة إلى مرتبة التقدم فهو مستحيل كالتقدّم للتقدير الإلهيّ، وان أمكن في نفسه وهو السرّ في إيراده بصيغة الاستفعال أي بلغ في الاستحالة إلى أنه لا يطلب إذ المحال لا يطلب".

(٢)القاسمي، **محاسن التأويل** [٥٠/٥]

(٣)الزركشي،**البرهان**[٢٦٣/٣] فمما جاء على الأصل بمراعاة الاشتقاق قوله تعالى: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ [الانفطار:٥] وقوله تعالى: ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة:١٣] وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ [الحجر: ٢٤]

المطلب الثاني: ما جاء بترتيب في موضع وبخلافه في موضع آخر

ويمكن أن ندرس تحته الشواهد التالية:

أ- تقديم انتفاء قبول الشفاعة على انتفاء أخذ العدل وعكسه

تقديم انتفاء قبول الشفاعة جاء في قوله:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٧ – ٤٨]

والعكس بتقديم انتفاء قبول العدل على انتفاء نفع الشفاعة في قوله تعالى:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢٢ – ١٢٣] .

نرى سياقين متشابهين لقصة واحدة في سورة واحدة ، فيها نداءات متكررة من ربّ العزة إلى ذلك القطيع الشارد من بنى إسرائيل، تذكرهم بنعمة الله عليهم وواجب شكرها، وتخوفهم ذلك اليوم الموعود "يوم القيامة" ، والسياق المتقدم فيها جاء فيه تقديم نفي قبول الشفاعة من أي نفس ذلك اليوم المخيف على أخذ العدل منها، والسياق المتأخر كان التقديم فيه لنفي قبول العدل والتأخير لنفي نفع الشفاعة، وليس هذا الاختلاف لأجل التفنن في العبارة كما ذهب إليه ابن عاشور (١).

وقد تدبرت الآيات الكريمة فوجدت أن التقديم في كل موضع كان للأنسب في سياقه ، وبيان ذلك أن المخاطب في الموضعين هم اليهود المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم .

في الموضع الأول ابتدئ بتصحيح أصل الاعتقاد في الشفاعة، لأن اليهود المعاصرين لمهد الدعوة الإسلامية غرهم في دينهم تفضيل أسلافهم بنعم كثيرة، وعلى رأسها تفضيلهم على عالمي زمانهم، فتركوا

(١) قال ابن عاشور:"وَهُوَ تَفَنُّنٌ وَالتَّفَنُّنُ فِي الْكَلَامِ تَنْتَفِي بِهِ سَآمَةُ الْإِعَادَةِ مَعَ حُصُولِ الْمَقْصُودِ مِنَ التَّكْرِيرِ. وَقَدْ حَصُلَ مَعَ التَّفَنُّنِ نُكْتَةٌ لَطِيفَةٌ إِذْ جَاءَتِ الشَّفَاعَةُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ مُسْنَدًا إِلَيْهَا الْمَقْبُولِيَّةُ فَقُدِّمَتْ عَلَى الْعَدْلِ بِسَبَبِ نَفْيِ قَبُولِهَا وَنَفْيُ قَبُولِ الشَّفَاعَةِ لَا يَقْتَضِي نَفْيَ أَخْذِ الْفِدَاءِ فَعَطَفَ نَفْيَ أَخْذِ الْفِدَاءِ لِلِاحْتِرَاسِ، وَأَمَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَدَّمَ الْفِدَاءَ لِأَنَّهُ أُسْنِدَ إِلَيْهِ الْمَقْبُولِيَّةُ وَنَفْيُ قَبُولِ الْفِدَاءِ لَا يَقْتَضِي نَفْيَ نَفْعِ الشَّفَاعَةِ فَعَطَفَ نَفْيَ نَفْعِ الشَّفَاعَةِ عَلَى نَفْيِ قَبُولِ الْفِدَاءِ لِلِاحْتِرَاسِ أَيْضًا. وَالْحَاصِلُ أَنَّ الَّذِي نُفِيَ عَنْهُ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا قَدْ جُعِلَ فِي الْآيَتَيْنِ أَوَّلًا وَذُكِرَ الْآخَرُ بَعْدَهُ. وَأَمَّا نَفْيُ الْقَبُولِ مَرَّةً عَنِ الشَّفَاعَةِ وَمَرَّةً عَنِ الْعَدْلِ فَلِأَنَّ أَحْوَالَ الْأَقْوَامِ فِي طَلَبِ الْفِكَاكِ عَنِ الْجُنَاةِ تَخْتَلِفُ، فَمَرَّةً يُقَدِّمُونَ الْفِدَاءَ فَإِذَا لَمْ يُقْبَلْ قَدَّمُوا الشُّفَعَاءَ، وَمَرَّةً يُقَدِّمُونَ الشُّفَعَاءَ فَإِذَا لَمْ تُقْبَلْ شَفَاعَتُهُمْ عَرَضُوا الْفِدَاءَ". ابن عاشور،**التحرير والتنوير**،[٦٨٩/١] . وقد حاول ابن عاشور ألا يقتصر في تعليل ذلك على القول بالتفنن كما هو واضح في كلامه .

العمل وانكبوا على متع الحياة وجمع الأموال واقتراف الذنوب، واتكلوا على شفاعة سلفهم (الصالح)- على حد زعمهم- فيهم .

وقد كان النداء الأول لهم في سورة البقرة قبيل إماطة القرآن اللثام عن السيرة الحقيقية التي كان عليها أسلافهم، فناسب هذا الموضع تقديم انتفاء المخلص الأهم في تصورهم، والذي سيخلصهم أمام الله من المحاسبة على ما اقترفت أيديهم من الجرائم مهما بلغت .

هذا المخلص هو شفاعة سلفهم الصالح فيهم، فهو أقوى تأثيرا عند الله - في تصورهم- من كل افتداء بالمال وغيره لمكانة أسلافهم عند الله.

ثم انسابت الآيات تباعا تكشف المستور، وإذ بها تقلب ما كان يظن أنه حقائق رأسا على عقب ، فإذا بنا نكتشف ومعنا عوام اليهود أن ما حاول شياطينهم ترويجه من صلاح سلفهم " أصحاب موسى" ما هو إلا أكذوبة كبيرة، وأن أكثر أسلافهم في الحقيقة كانوا فاسدين مفسدين، تشربوا حب العجل في قلوبهم، وتشربوا سفك الدماء وقتل الأنبياء، وأنهم قوم مردوا على كفران نعم الله.

جاء النداء الثاني وقد اختلفت المعطيات، فلم يعد الاتكال على شفاعة الأسلاف نافعا بعد أن كشف القرآن المستور وأسقط أهليتهم للشفاعة .

ولعل هذا الكشف للمستور هو النكتة في التصريح بعدم نفع شفاعة أسلافهم في الموضع الثاني دون الأول، ولأجل ذلك كان اتكال اليهود في تخليص أنفسهم هذه المرة على ما راهنوا عليه دائما وهو "المال"، فالابتداء في هذا الموضع كان بنفي الأهم، وهو الانتفاع بالافتداء بالمال ، مثلما كان الابتداء في الموضع الأول بنفي الأهم هناك، وهو الشفاعة لاعتقاد أهلية الشفعاء وقتها.

ب- تقديم الأمر بدخول الباب سجدا على قول حطة وعكسه

فتقديم الأمر بدخول الباب سجدا جاء في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ٥٨] .

وتقديم الأمر بقول حطة جاء في قوله تعالى﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:١٦١] [(١)] .

أيضا في هذا الموضع كان تعليل الاختلاف في التقديم والتأخير عند البعض لأجل التفنن بالعبارة، ولأن المهم الجمع بين الأمرين، وقد حصل المطلوب سواء قدم هذا أو ذاك[(٢)].

وأيضا أقول مثلما قلت في الموضع السابق : إن التقديم في الأول، لأنه الأنسب مع سياقه، والتأخير في الثاني لأنه الأنسب مع سياقه.

والسياقان لنفس القصة، لكن السياق الأول في البقرة، وهي السابقة بترتيب المصحف، والثاني في الأعراف، وهي اللاحقة بترتيب المصحف.

إن مردَّ الاختلاف في الترتيب تقديما وتأخيرا في الموضعين، هو اختلاف المعني بالخطاب في كل موضع ، ففي موضع البقرة كان توجيه الكلام للمحسنين من بني إسرائيل، وفي موضع الأعراف الكلام للمسيئين .

فالكلام من تقديم الأنسب لحال المخاطبين في كل موضع ، وأدلتي على ذلك :

أولا: أن المحسنين يناسبهم الاشتغال بتحصيل كمال القرب بالسجود ، فهو الأولى في حقهم من الاشتغال بالاستغفار، لأنهم الفريق الأقل اقترافا للذنوب، وهذا هو ترتيب البقرة.

أما الفريق الثاني، فالأنسب بحالهم الاشتغال بالاستغفار على ما اقترفوه من الذنوب قبل الاشتغال بتحصيل الزلف والقربات بالسجود، لأن التخلية قبل التحلية، وهذا ترتيب الأعراف.

---

(١) لم تبين الآية ما هي هذه القرية، والراجح أنها بيت المقدس، ولعل ما يقوّى هذا الرأى أنهم أمروا بدخولها على صفة خاصة، وبمراسيم محددة تؤدّى لها بأن يدخلوا الباب ساجدين، وأن يقولوا عند دخولهم: حطة لذنوبنا أي مغفرة لها. ومما يقوى الرأى بأن القرية المشار إليها هنا هى بيت المقدس، أن بابها المأمور بدخوله فى هذه الآية قد ورد فى قوله تعالى: «قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ، فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ» (٢٣: المائدة) ". ينظر: [عبد الكريم الخطيب ،**التفسير القرآني**، ٨٨/١] بتصرف.

(٢)ابن عاشور،**التحرير والتنوير**،[١٤٥/٩]، الزمخشري،**الكشاف**، [١٧٠/٢]

ثانيا: ترتيب التكليف في البقرة {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ}، يشبه ترتيب الفاتحة { إياك نعبد وإياك نستعين }، فهو التكليف بالترتيب الأكمل المناسب للفريق الأكمل وهو المحسنون.

وإنما كان ترتيب البقرة هو الأكمل من جهات:

- موضع البقرة من تقديم الوسائل أمام المآرب، وهو أدعى إلى الاستجابة ، فالأنسب طلب المغفرة بعد التمكن من هيئة السجود ، سواء قصد السجود الشرعي أم مطلق الانحناء(١)، إذ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد(٢)، فالمغفرة عنده مرجو تحققها أكثر.

- تناسب تقديم السجود مع سابق السياق ومع المقام، لأن قبله {ادخلوا هذه القرية}، والابتداء في موضع الشاهد بالأمر بالدخول أيضا، ولأنه " جاءت هذه القصة عقب الأمر بالصلاة، قال تعالى: {وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ} [البقرة:٤٣]، والسجود من أركان الصلاة، وقال بعدها أيضاً {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة:٤٥]، فالسياق في الصلاة، فتقديم السجود هو المناسب للسياق من ناحية، ومن ناحية أخرى هو المناسب للمقام"(٣). و أيضا هناك تناسب للمؤخر مع اللحاق، لأنه يكون دعاءً بالمغفرة وجوابها بلا فاصل.

- في موضع البقرة تقديم مطلوب الرب على مطلوب العبد، وهو الأنسب . أو يقال: " السجود أشرف من القول، فقدم عليه تقديم شرف وفضل"(٤) .

- في موضع البقرة « ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا » له، و« قُولُوا حِطَّةٌ » به، وما له مقدم على ما به. قال ابن القيم: " ما له متعلق بمحبته ورضاه، وما به متعلق بمشيئته، وما تعلق بمحبته أكمل مما تتعلق بمشيئته"(٥) .

---

(١) قال الزمخشري: "الْبابَ باب القرية... أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكراً للّه وتواضعاً. وقيل «السجود» أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين، ليكون دخولهم بخشوع وإخبات". الزمخشري،**الكشاف**،[١٤٢/١]. وعكس ابن عاشور ما ذكره الزمخشي في معنى السجود، فرجح السجود بمعنى مطلق الانحناء لِإِظْهَارِ الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ لا السجود الشرعي . ابن عاشور، **التحريروالتنوير**[٥١٥/١].

(٢) مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)،**(صحيح مسلم) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٥ [٣٥٠/١] .

(٣)السامرائي، فاضل ، **التعبير القرآني** [ص٣٢٧]

(٤)المرجع السابق [٣٢٧]

(٥)ابن القيم ، **التفسير القيم**، [٧١/١].

ثالثا: كما كان ترتيب التكاليف في البقرة هو الترتيب الأكمل، وهو الأنسب بالمحسنين، كان كذلك الجزاء المذكور فيها هو الجزاء الأكمل، وهو الأنسب بالمحسنين أيضا ، وتوضيح ذلك من وجوه:

- لأنه الجزاء الأشد رسوخا وتحققا، خصوصا الجزاء بالزيادة للمحسنين، لأنه جاء في البقرة مربوطا بالجزاء بالمغفرة بحرف العطف "الواو"، لإفادة تحقق وقوع للأمرين بشكل متزامن في الأغلب، وهو ما يفيده العطف بالواو غالبا (١)، أما على الجزاء بدون الواو- كما هو الحال في موضع الأعراف- فيصبح الكلام بعد الواو مشكوكا فيه بادئ الأمر، لأنه يصبح من قبيل الاستئناف البياني المبني على التساؤل الدال على التشكك، كأن يقول السؤال: وماذا بعد الغفران؟(٢). هل هناك شيء آخر؟. هل سيكون هناك جزاء للمحسنين أم لا ؟. فيأتي الجواب بعد هذا التخوف مزيلا له ومطمئنا صاحبه.

أما بالواو فليس فيه أصلا مثل هذا التخوف ابتداء، فكان العطف بها أظهر في المنة، لأنه يخلو من القلق وعذاب التساؤل .

وللدكتور السامرائي توجيه آخر في فائدة العطف بالواو في البقرة ، إذ يقول : " في البقرة (وسنزيد المحسنين) جاء بالواو الدالة على الاهتمام والتنويع، وقال في الأعراف (سنزيد المحسنين) لم ترد الواو هنا، لأن المقام ليس فيه تكريم ونعم وتفضّل" (٣) .

- جزاء المغفرة في البقرة كان الجزاء الأعظم، لأنه كان مغفرة للخطايا، وهو جمع كثرة، بينما الجزاء في الأعراف كان بمغفرة الخطيئات، وهو جمع قلة (٤). وعظم الجزاء يناسب المحسنين، وهو ما جاء في البقرة (٥).

---

(١) كما قال ابن مالك: "وتنفرد الواو بكون متبعها في الحكم محتملًا للمعية برجحان، وللتأخر بكثرة، وللتقديم بقلة." ابن مالك، **التسهيل** [ص ١٦٦] . وقد ذهب إلى أن الجزاء بالواو أكثر تحقيقا الكرماني حيث قال: "وَفِي هَذِه السُّورَة {وسنزيد} وَفِي الْأَعْرَاف {سنزيد} بِغَيْر وَاو لِأَن اتصالها فِي هَذِه السُّورَة أَشد لِاتِّفَاق اللَّفْظَيْنِ وَاخْتلفَا فِي الْإِعْرَاب لِأَن اللَّائِق {سنزيد} مَحْذُوف الْوَاو ليَكُون استئنافا لكَلَام" . الكرماني، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**، [٧٣/١]

(٢)الزمخشري،**الكشاف**،[١٧٠/٢]

(٣)فاضل السامرائي، **التعبير القرآني** [٣٢٧]

(٤)الآلوسي،**روح المعاني**: [٢٦٨/١]

(٥) لا يعني هذا أن المحسنين أكثر ذنوبا من المسيئين، بل هم الأقل ذنوبا، ولكن معناه أن الله يغفر هذا القليل كله، بينما يغفر للمسيء أقل الكثير مما اقترفوه، فيكون مغفرة القليل كله أعظم من مغفرة أقل الكثير. قال فاضل السامرائي : " آية الأعراف لم تحدد أن خطاياهم قليلة، لكن ما غُفر منها قليل إذا ما قورن بآية البقرة. في آية البقرة يغفر كل الخطايا، أما في الأعراف فيغفر قسماً منها " . فاضل السامرائي، **التعبير القرآني** [٣٢٧]

▪ الإغراء لأجل الحث على امتثال أمر التكليف بدخول القرية كان أقل في البقرة، إذ كان الإغراء بترتب الأكل على امتثالهم التكليف، أما الإغراء في الأعراف فكان أشد، لأنه كان بترتب أمرين السكن والأكل ، وذلك لأن حال أصحاب البقرة أصلح وأقوم، فيحتاجون إلى تحثيث دنيوي أقل للقيام بالتكاليف، بخلاف أصحاب ترتيب الأعراف.

والدكتور فاضل السامرائي يرى أن تقديم السجود في موضع البقرة، لأن المقام فيها مقام تكريم بني إسرائيل. وتأخيره في موضع الأعراف، لأن المقام فيها مقام تقريع وتأنيب على ذنوبهم ومعاصيهم (١).

ولا ينافي ذلك ما ذكرته، بل يلتقي معه، لأن مقام التكريم يناسب المحسنين من بني إسرائيل، ومقام التقريع والتوبيخ يناسب المسيئين منهم.

(١) فاضل السامرائي، **التعبير القرآني**، [ص:٣٢٠]. ومما استدل به على أن موضع البقرة في مقام تكريم بني إسرائيل، أنه بدأ الكلام معهم بقوله سبحانه {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة:٤٧]. وأما الاستدلال على كون موضع الأعراف في مقام التقريع والتأنيب، فلذكر جملة من معاصيهم ، فهم قد خرجوا من البحر ورأوا أصناماً فقالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وعبدوا العجل وانتهكوا حرمة السبت وهذا كله لم يذكره في البقرة فالسياق اختلف . وقال في البقرة (وإذ قلنا) بإسناد القول إلى نفسه سبحانه وتعالى، وهذا يكون في مقام التكريم، وبناه للمجهول في الأعراف للتقريع (وإذ قيل لهم). وقال في البقرة (ادخلوا القرية فكلوا) والفاء تفيد الترتيب والتعقيب يعني الأكل مهيئ بمجرد الدخول، أما في الأعراف (اسكنوا وكلوا) فالأكل حاصل مع السكن ولكنه غير موقوت بزمن فلا يدرى متى يكون ، والأكرم أن يقول ادخلوا فكلوا. وقال (رغداً) في البقرة ولم يقلها في الأعراف، لأنها في مقام تقريع، رغداً تستعمل للعيش يعني لين العيش ورخاؤه، رغداً تتناسب مع التكريم. المرجع السابق[٣٢٥-٣٢٦]

ت- تقديم ضرب الذلة والمسكنة على البوء بالغضب الإلهي في موضع وتوسط البوء بالغضب الإلهي الضربين بالذلة والمسكنة في آخر

تقديم ضرب الذلة والمسكنة على البوء بالغضب الإلهي جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ... ﴾ [البقرة: ٦١]

وتوسط البوء بالغضب الإلهي الضربين بالذلة والمسكنة جاء في قوله تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ... ﴾ [آل عمران: ١١٢]

هذان سياقان متشابهان: الأول في البقرة، والثاني في آل عمران . في موضع البقرة إخبار بضرب واحد لأمرين هما: الذلة والمسكنة، والعطف بينهما من عطف المفردات. وفي موضع آل عمران إخبار بضربين: أحدهما بالذلة، والآخر بالمسكنة، والعطف بينهما من عطف الجمل. وقد جاء الإخبار بالبوء بالغضب فاصلا بين الضربين في آل عمران، وجاء تاليا للضرب بالذلة والمسكنة في البقرة.

هذا الاختلاف بين السياقين ليس مرده التفنن في العبارة ، وإنما اقتضاه اختلاف المتحدث عنه في كل سياق، فآيات البقرة السابقة في ترتيب التلاوة تتحدث عن عقوبة الأسلاف (أسلاف اليهود)، لأن السياق هناك كان كله عن الأسلاف وكفرانهم النعم المذكورة في تلك السورة. وأما آيات آل عمران فلبيان عقوبة الأخلاف[(١)]، لأن السياق فيهم، إذ قبل هذا الكلام قوله تعالى: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١١١]، فهو " إلفات للمسلمين أن يأخذوا حذرهم من اليهود، الذين لا يكفّون أبدا عن السعى فى تدبير الكيد لهم وتوجيه الضرّ إليهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. وهو تطمين المسلمين- حالا ومستقبلا- مما يدبر اليهود لهم من كيد خبيث، ومكر خسيس، وأن غاية ما يبلغه اليهود منهم لا يتجاوز «الأذى» الذي مهما بلغ لا يبلغ حدّ الخطر والتلف.. وسيظل المسلمون- رغم كل شىء-

---

(١)أعني بأخلاف اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم إلى يوم القيامة.

على الصحة والسلامة أبدا.. فإذا انتقل اليهود إلى ميدان آخر، وهو ميدان القتال، واشتبكوا مع المسلمين فى حرب، فإنّهم لا يلقون إلا الخزي والخذلان" [(١)] .

ولما كانت عقوبة الأخلاف أشد - لأنهم كانت أمامهم فرصة ليتعظوا بما حدث لأسلافهم ولم يفعلوا- ظهر ذلك في الترتيب فاختلف ليؤدي هذا الفارق في شدة العقوبة على النحو الآتي:

أولا: بعد أن كان الضرب على الأسلاف في البقرة ضربا واحدا بالذلة والمسكنة صار ضربين على الأخلاف في آل عمران، وهذا يعني أن عقوبة الأخلاف أشد. وهذه رسالة الواو هنا، إذ أفادت استقلالية كلٍّ من الضربين بحيث يستحق أن ينظر إلي كل واحد منهما على أنه عقاب مستقل عن الآخر.

ثانيا : بعد أن كان البوء بالغضب الإلهي في سورة البقرة في مكانه الطبيعي بعد الضرب بالذلة والمسكنة من باب الترقي في العقوبة صار متوسطا بين الذلة والمسكنة توسط الشيء بين الشجر ولحائه، وذلك للاهتمام به بهذا المتوسط ، للإيذان بأنه غضب عظيم أشد مما في البقرة ، فهو قد تقدم خطوة عما في البقرة ولم يعد في آخر الكلام .

وقد وجدت لاحقا بعد كتابتي هذه السطور أن الدكتور الكبيسي وافقني في أن موضع البقرة في الأسلاف، وموضع آل عمران في الأخلاف، ولكنه نحى منحى آخر بعد ذلك، إذ يرى أن الجمع بين الذلة والمسكنة بلا فاصل في البقرة ليعكس حقيقة تاريخية هي أنهم أي الأسلاف كانوا يتعرضون للأمرين في آن واحد، فالذلة بالهزائم، والمسكنة هي أثر تلك الهزائم، هذا في الماضي قبل الإسلام .

أما موضع آل عمران - وفيه الفاصل بين الضربين- فذلك ليعكس التفريق بين الزمن الذي ضربت عليهم الذلة والزمن الذي ضربت عليهم المسكنة بعد سنوات. ففي زمن الرسول ضربت الذلة أولاً فقط، فقد انهزموا في الحروب. وكل المعارك التي خاضها اليهود مع المسلمين خسروا فيها خسارة عظيمة أصابهم الذلة فقط، وبقوا أعزاء، والنبي أعطاهم في خيبر وغير ذلك. فالضرب بالمسكنة في آل عمران هو وعدهم في المستقبل أنهم سوف يصابون بها، وقد أصيبوا بها فعلاً منذ أن انتهى العهد الراشدي إلى يومنا هذا، وهم في العالم كله يشعرون بالمسكنة [(٢)].

---

(١)عبد الكريم الخطيب،**التفسير القرآني**، [٢/٥٥٣-٥٥٤]
(٢) الدكتور أحمد الكبيسي ،برنامج "وأخر متشابهات(٣٧) ،المصدر :موقع إسلاميات

ث- تقديم حال زكريا على حال زوجته في دعائه وعكسه

حال زكريا قدم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٤٠] .

وحال زوجته قدم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ [مريم:٨] .

إن ما جاء في سورة مريم هو بتقديم المانع الأعرق في الدلالة على القدرة والعجب من حصول الإنجاب مع وجوده ، وهو مانع عقر االمرأة دون مانع كبرالسن .

وما جاء في آل عمران بتقديم حال زكريا قد يكون أدبا عاليا من آداب النبوة ، لأن " بلوغ الكبر ليس دليلا على أنه عاجز عن الإنجاب لأنه يكون كبير العمر، وقادرا على إخصاب امرأة، ذلك أن الإخصاب بالنسبة لبعض الرجال ليس أمرا عسيرا مهما بلغ من العمر إن لم يكن عاقرا، ولكن المرأة هي العنصر المهم، فإن كانت عاقرا، فذلك قمة العجز في الأسباب. ولو أن زكريا قال فقط: {وامرأتي عَاقِرٌ} لكان أمرا غير مستحب بالنسبة لزوجته، ولكان معنى ذلك أنه نسب لنفسه الصلاحية وهي غير القادرة. إنه أدب النبوة وهو أدب عال " [(١)] .

وقد تكون الإشارة لهذا الأدب في آل عمران خاصة جبرا في هذا الموضع لافتقاره التقديم للدعاء بالاستعطاف والتوطئة له كما في مستهل سورة مريم .

وقد أجاب عن ذلك أبو السعود بغير ما سبق ، فقال: " ولعل البداءة ههنا[أي في سورة مريم] بذكر حال امرأتِه على عكس ما في سورة آل عمرانَ، لِما أنه قد ذكر حالُه في تضاعيف دعائِه. وإنما المذكورُ ههنا بلوغُه أقصى مراتبِ الكِبَر تتمةً لما ذكر قبل، وأما هنالك [أي في سورة آل عمران] فلم يسبِقْ في الدعاء ذكرُ حاله فلذلك قدّمه على ذكر حال امرأتِه لِما أن المسارعةَ إلى بيان قصورِ شأنه أنسبُ"[(٢)].

وعندي أيضا أن الابتداء بحال امراته في سورة مريم لمناسبته مع السابق في السياق : مع الابتداء بأقرب مذكور من الدواعي التي ساقها زكريا عليه السلام لاستعطاف الإجابة في قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ

---

(١)الشعراوي،**تفسير الشعراوي** [١٤٤٧/٣]

(٢) أبو السعود،**تفسير أبي السعود** [٢٥٦/٥]

ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ مريم: ٤-٥]. وأيضا لمناسبة تقديم حال امرأته في السورة التي تحمل اسم امرأة .

وأبعد الأقوال عندي أن يعزى ذلك لأجل الفاصلة كما قال به الغرناطي(١)، لأن مناسبة الفاصلة أمر تكميلي يستأنس به لا سبب أصيل ينهض أساسا في الترتيب .

ج- الابتداء في تصوير حدث الطوفان زمان نوح بالانتقال من جهة السماء إلى جهة الأرض وخلافه عند تصوير انتهائه .

قال في تصوير الابتداء:﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ٩ – ١٢] .

وقال في تصوير الانتهاء: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى ﴾ [هود: ٤٤] .

في تقديم فتح أبواب السماء تناسب معنوي مع تقدم دعاء نوح عند قوله تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾، لأن الداعي عندما تستجاب دعوته تفتح لها أبواب السماء ، فهنا دعا ربه ففتح أبواب السماء بماء منهمر، فهي إجابة فعلية فورية لدعائه، وفي سورة هود ليس هناك دعاء اقتضى تقدم ذكر السماء فيها (٢).

أما الابتداء من جهة الأرض عند الكلام عن انتهاء الطوفان، فهو من البدء بالأهم، وبينه حبنكة بقوله: "إنَّ جُمَل هذه الآية معطوفٌ بعضها على بعضٍ بواو عطف النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة. فقد جاء فيه البدء بالأهمّ، الذي هو انحسار الماء عن الأرض، المتوقف عليه غاية مطلوب أهل السفينة، الذين يترقَّبُونَ الْخلاصَ من سِجْنِها. وبعده جاء بيان انقطاع مدَد الماء من السماء، الذي يتوقف عليه كمال المطلوب "(٣).

---

(١) الغرناطي،**ملاك التأويل** [٨١/١-٨٢] قال الغرناطي:" للسائل أن يسأل عن اختلاف السياق فى الآيتين مع اتحاد معناهما. والجواب عن ذلك والله أعلم: أن المعنى وإن كان فى السورتين واحدا وفى قضية واحدة فإن مقاطع آى سورة مريم وفواصلها استدعت ما يجرى على حكمها ويناسبها من لدن قوله تعالى فى افتتاح السورة: "ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا " إلى قوله فى قصة عيسى عليه السلام: "والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا "، لم تخرج فاصلة منها عن هذا المقطع ولا عدل بها إلى غيره ثم عادت إلى ذلك من لدن قوله تعالى: "واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا " إلى آخر السورة فاقتضت مناسبة آى هذه السورة وورود قصة زكريا عليه السلام على ما تقدم ولم يكن غير ذلك ليناسب أما آية آل عمران فلم يتقيد ما قبلها من الآى وما بعدها بمقطع مخصوص فجرت هى على مثل ذلك والله أعلم" .

(٢) السامرائي، فاضل، **من اللمسات البيانية فى سورة القمر**، المصدر: موقع اسلاميات

(٣)حبنكة، عبد الرحمن حسن، **البلاغة العربية**[٤٦٢/٢-٤٦٣]

وقال أيضا: " وجاء نداء الأرض سابقا لنداء السماء،لأن المطلوب منها وظيفتان:

- توقف عيونها عن الإمداد بتدفق المياه .
- وابتلاع مياهها التي كانت قد فاضت بها، ليتناقص الماء، وتستوي الفلك على اليابسة .

أما المطلوب من السماء فوظيفة واحدة هي الإقلاع عن هطول الأمطار" (١) .

ح- تقديم شهادة الأمة على الناس على شهادة الرسول عليها والعكس

فتقديم شهادة الأمة على الناس على شهادة الرسول عليها جاء في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ [البقرة: ١٤٢ – ١٤٣] .

وتقديم شهادة الرسول على الأمة على شهادتها على الناس جاء في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٧ – ٧٨].

في البقرة المقام مقام إشادة بخيرية ووسطية قبلة المسلمين، فجاء الاستطراد بذكر وسطية وخيرية الأمة ذاتها، وذلك بشهادتها على الأمم الأخرى، وهو المقصود بالذات .

أما ذكر شهادة الرسول على الأمة بعد ذلك فهو تكميل و تتميم لشهادة الأمة (٢)، بقصد الاحتراس من الاغترار والعجب .

أما في سورة الحج، فالمَقَام مقام التنويهِ بِالدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، فَكَانَ ذِكْرُ شَهَادَتِهِ أَهَمّ، وليكون فيه ترهيب من التقصير في التكاليف .

---

(١)حبنكة،عبد الرحمن حسن، **نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**، دار القلم، دمشق، والدار الشامية بيروت، ط ١ ، ١٩٩٠ م . [ص: ١٢٤]

(٢) ابن عاشور،**التحرير والتنوير** [٢١/٢] قال ابن عاشور:"وَقَوْلُهُ: وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً مَعْطُوفٌ عَلَى الْعِلَّةِ، وَلَيْسَ عِلَّةً ثَانِيَةً لِأَنَّهُ لَيْسَ مَقْصُودًا بِالذَّاتِ بَلْ هُوَ تَكْمِيلٌ لِلشَّهَادَةِ الْأُولَى".

قال ابن عاشور: " وَقُدِّمَتْ شَهَادَةُ الرَّسُولِ لِلْأُمَّةِ هُنَا [أي في الحج] ، وَقُدِّمَتْ شَهَادَةُ الْأُمَّةِ فِي آيَةِ [الْبَقَرَةِ: ١٤٣]، لِأَنَّ آيَةَ هَذِهِ السُّورَةِ فِي مَقَامِ التَّنْوِيهِ بِالدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ. فَالرَّسُولُ هُنَا أَسْبَقُ إِلَى الْحُضُورِ فَكَانَ ذِكْرُ شَهَادَتِهِ أَهَمَّ، وَآيَةُ الْبَقَرَةِ صُدِّرَتْ بِالثَّنَاءِ عَلَى الْأُمَّةِ فَكَانَ ذِكْرُ شَهَادَةِ الْأُمَّةِ أَهَمَّ"(١).

خ- تقديم خوف موسى من تكذيب فرعون له على خوفه على نفسه من القتل والعكس في موضع آخر وعدم ذكر الأمرين في موضع ثالث

فتقديم الخوف من التكذيب جاء في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ [الشعراء: ١٠ – ١٤] .

وتقديم الخوف من القتل جاء في قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصص: ٣٣ – ٣٤] .

ولم يذكر أيا من الخوفين في سورة طه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى هَٰرُونَ أَخِى ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ [طه: ٢٥ – ٣٥] .

قال الغرناطي: "والحاصل من قول موسى، عليه السلام، في هذه السور الثلاث سؤاله ربه شرح صدره وتيسير أمره وإطلاق لسانه وتشكيه منه والتعاون بأخيه هارون، عليهما السلام، وخوفه أن يكذب وذكره ما تقدم منه من قتل القبطي، على هذه القضيات السبع دار المحكي من كلامه، عليه السلام"(٢).

وللإجابة على هذه الاختلافات أقول:

في سورة طه وهي أول السور الثلاث في ترتيب المصحف لم يذكر فيها موسى عليه السلام خوف التكذيب ولا خوف القتل، وإنما كان طلبه راجعا إلى تحصيل الكمال النفسي الداخلي فتحصيل الكمال الخارجي.

(١) ابن عاشور،**التحرير والتنوير** [٣٥٢/١٧] .
(٢)الغرناطي،**ملاك التأويل** [٣٣٧/٢]

يليه موضع الشعراء، وفيها ابتدأ بإظهار تخوفه من تكذيب فرعون له - وهو تخوف راجع إلى حرصه على نجاح الدعوة – وقدمه على تخوفه على نفسه من القتل ، فهو من تقديم الأهم: خوفه على مصلحة الدعوة فوق خوفه على نفسه.

وفي الموضع الأخير في ترتيب المصحف، وهو موضع الشعراء، كان التقديم لتخوفه على نفسه لأجل التناسب مع سابق السياق : لذكر حادثة قتله القبطي في الآية [١٥].

واختصاص كل سورة من السور الثلاث بما جاء فيها من موضع الشاهد، وترتيب كل موضع على ما هو عليه مناسب لما بنيت عليه كل سورة .

فسورة "طه" بنيت على التأنيس والبشارة لنبينا صلى الله عليه وسلم من لدن افتتاحها بقوله: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ [طه: ٢] إلى ختامها بقوله لنبيه عليه السلام: ﴿ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ ﴾ [طه: ١٣٢]، ولا شك أن ما طلبه موسى فيها من شرح صدره وتيسير أمره وإطلاق لسانه وتشكيه منه والتعاون بأخيه هارون، عليهما السلام كل ذلك ينسجم وجو التأنيس.

وسورة الشعراء مبينة على ابتداء الرسالة ودعائه فرعون ومراجعة إياه إلى نجاة بني إسرائيل وإغراق فرعون، وهذه المراجعة يناسبها تقديم حصول التكذيب لتوقعه بكثرة المراجعات في الكلام .

وأما سورة القصص فمبينة على ابتداء امتحان بني إسرائيل بذبح الأبناء واستحياء النساء للخدمة والمهنة، وابتلاء موسى بقتل القبطي وتخليصه عليه السلام من ذلك، وتكفله الله سبحانه من ابتداء نشأته إلى توجهه إلى مدين ورجوعه من عند شيخ مدين إلى ما تخلل ذلك وما أعقبت به، إلى أخذ فرعون وهلاكه.

فتقديم خوف موسى من القتل يتناسب مع جو الخوف من القتل في السورة منذ طفولته على أيدي جنود فرعون ورجال مخابراته، وتجدد بقتل موسى القبطي عندما بلغ أشده واستوى وخرج متخفيا خوفا من القتل، واستمر الخوف إلى أن كلفه الله بدعوة فرعون فأفصح موسى عنه (١).

---

(١)جل هذه الاختلافات ذكرها الغرناطي في ثنايا حديثه. الغرناطي،**ملاك التأويل** [٢/ ٣٣٧-٣٣٨]

د- تقديم التنازع على الفشل على الأصل والعكس

تقديم التنازع على الفشل وخلافه جاءا في سياقين متممين لموضوع واحد، فموضع الأنفال بتقديم التنازع على الفشل بغرض الوصية والإرشاد للمؤمنين لما ينبغي عليهم فعله مستقبلا إثر تنازعهم عقب غزوة بدر على توزيع الغنائم، وموضع آل عمران متصل بما سبق، فهو في سياق التذكير بما مضى وكان سببا في الهزيمة يوم أحد، وأنه هو بعينه عدم اتباع الإرشاد والوصية السابقة ذكرها في الأنفال.

تقديم التنازع جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٥ – ٤٦].

وتقديم الفشل جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٢].

تقديم التنازع جاء على الأصل من تقديم السبب على المسبب، فالفشل ناجم عن التنازع بنص الآية: ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا ﴾[الأنفال: ٤٦].

فالتَّنَازُعُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَنْشَأَ عَنِ اخْتِلَافِ الْآرَاءِ، وَهُوَ أَمْرٌ مُرْتَكِزٌ فِي الْفِطْرَةِ بَسَطَ الْقُرْآنُ الْقَوْلَ فِيهِ بِبَيَانِ سيّىء آثَارِهِ، فَجَاءَ بِالتَّفْرِيعِ بِالْفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ فَحَذَّرَهُمْ أَمْرَيْنِ مَعْلُومًا سُوءُ مَغَبَّتِهِمَا: وَهُمَا الْفَشَلُ وَذَهَابُ الرِّيحِ(١).

وهذا التنازع صدر عن الرماة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرهم بطاعته بالتزامهم مواقعهم على جبل الرماة، فاختلفوا فيما بينهم، حيث اجتهد بعضهم ورأى ترك مواقعه عندما رأى بوادر هزيمة الأعداء، فأقبلوا على طلب الغنائم ولم يقبلوا نصح الآخرين الذين ثبتوا في مواقعهم وقتلهم المشركون.

---

(١)ابن عاشور،**التحرير والتنوير** [٣١/١٠]

ثم جاءت آيات "آل عمران" بتقديم الفشل على التنازع، وهو ترتيب على خلاف الترتيب الحصولي بدلالة قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[الأنفال: ٤٦].

فالترتيب للمتعاطفات الثلاث في موضع آل عمران: ﴿ فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ ﴾ جاء معاكسا للترتيب في موضع الأنفال ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴾ .

والسبب في ذلك عندي مرده كون الترتيب في كل موضع جاء لغرض مختلف:-

ففي الأنفال كان الغرض من الكلام الوصية والإرشاد للمؤمنين لما ينبغي عليهم فعله مستقبلا إثر تنازعهم عقب غزوة بدر على توزيع الغنائم . وقد نزلت الآيات في صدر الأنفال تعاتبهم على ذلك، وتدعوهم إلى تقوى الله وإصلاح ذات البين والتزام طاعة الله ورسوله ، ولو تذكر الرماة هذا الإرشاد الإلهي وهم على جبل الرماة يوم أحد لما عصوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما تنازعوا ولما فشلوا ولما ذهب ريحهم .

وسياق الإرشاد والوصية لما ينبغي فعله مستقبلا لا بد فيه من بدء الترتيب بذكر أول التوجيهات بطاعة الله ورسوله فما يليها من عدم التنازع المفضي إلى الفشل وذهاب ريحهم .

أما ما جاء في آل عمران فهو سياق التذكير بما مضى وكان سببا في الهزيمة يوم أحد وأنه هو عينه عدم اتباع الإرشاد والوصية السابقة ذكرها في الأنفال.

وفي سياق التذكير يكون الابتداء باستذكار واستجلاب آخر الأحداث حصولا ، سواء أكان التذكير هنا لعناصر الوصية الكلامية السابقة في آية الأنفال أم كان للتسلسل الوقوعي للأحداث في "أحد" .

كل ذلك يكون استحضاره باستجلاب آخر الأحداث وقوعا ووضعه أولا في الكلام ، لأنه هو الأعلق في الذهن والأقوى رسوخا في الذاكرة، يليه ما قبله فما قبله.

فعلى هذه الطريقة جاء التذكير بأحداث "أحد" باستحضار آخر المشاهد، وهو الفشل فما قبله، وهو التنازع فما قبله، وهو عصيان أمر الرسول للرماة بالتزام مواقعهم مهما حدث . أو إن شئت قلت : على هذه الطريقة جاء الاستحضار في موضع آل عمران عقب غزوة "أحد" للوصايا القولية المذكورة في موضع الأنفال عقب غزوة بدر .

وعلى هذه الطريقة في استحضار الأحداث ابتداءً بالأحدث حصولا فالأقدم - لأن الأول هو الأرسخ في الذاكرة و الأمكن - جاء الترتيب في آية عتاب آدم وزوجه في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]، فتقديم العتاب لآدم وزوجه على انتهاك النهي عن الأكل من الشجرة على العتاب على التهاون في عداوة الشيطان، لأن الأول هو انتهاك لما هما حديثا عهد به، فالعتاب عليه أشد، وذلك النهي ورد عند أمر الله آدم وزوجه بسكن الجنة في قوله تعالى﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩]. أما العتاب على الأمر الآخر ، فهو عتاب على أمر قديم نسبيا جاء في سياق قصة سابقة على القصة آنفة الذكر، وذلك عندما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى، فحذرهما الله من عداوته، قال تعالى:﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴾ [طه: ١١٦ – ١١٧].

ويمكن أن يقال أيضا: إن تقديم الفشل في "آل عمران" للإشارة إلى أن انتهاء غاية الحَس المذكور في الآية﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦ ﴾، كان عند حصول الفشل لا قبل ذلك بمعنى أن الحس استمر مع العصيان وما تبعه من التنازع إلى أن استفحل الأمر، فوقع الفشل .

فهنا كانت الهزيمة وليس قبل ذلك، وفي هذا إشارة إلى عظيم رحمة الله أنه بقي ينصرهم عند حصول العصيان والتنازع أملا في أن يتداركوا أمرهم بالإصلاح، ولما لم يحصل ذلك، وكان الفشل، أذهب الله ريح النصر عنهم .

ذ- **تقديم نعمة الأمن على نعمة الرزق والعكس**

والآيات المتناول بحثها هنا تتعلق بموضوع خاص يدور حول نعمة الأمن والرزق في مكة وساكنيها.

فتقديم الأمن في قوله تعالى: ﴿ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٢٦]

وتقديم الرزق في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ [قريش: ١ – ٤].

وفي قوله تعالى ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢] فيه تقديم الأمن على الرزق في صدر الآية والعكس في آخرها، وهذا الشاهد الأخير من عطف المفردات بخلاف سابقيه.

ونلاحظ أن آية البقرة فيها دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام - باني البيت - وقد سأل الله البلدية والأمن للمكان الذي شرف ببناء البيت فيه، وسأل أيضا جلب الأرزاق لسكانه.

والشاهد هنا تقديم طلب الأمن على طلب الرزق، بينما كان الاستدلال على وجوب إفراد رب البيت بالعبادة في سورة قريش بتقديم امتنانه عليهم بالإطعام قبل امتنانه عليهم بالأمن.

وفي موضع النحل لف ونشر معكوس، فذكر في تفصيل اللف تقديم نعمة الأمن على نعمة الرزق [(١)]. بينما الترتيب في تفصيل النشر - في معرض الانتقام من كفرانهم النعم - كان بتقديم الإذاقة للجوع على الإذاقة للخوف .

ولتوضيح هذا الاختلاف في الترتيب نقول:

الترتيب في دعوة إبراهيم في سورة البقرة {اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ}[(٢)]جاء على الأصل بتقديم السبب على المسبب، لأن الأمن يستجلب الأرزاق وكل خير [(٣)].

ومثله ترتيب اللف في آية النحل {كانت آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ} ، إذ هو يتضمن الإخبار بتحقق دعوة إبراهيم فجاءت بنفس الترتيب.

---

(١) وهو هنا يتكلم عن مكة فهي القرية المضروب بها المثل ينظر : الطبري،**تفسير الطبري**،[٣٠٩/١٧]

(٢)في البقرة كان دُعَاء إبراهيم بالبلدية للمكان قبل أن يصير بلدا وَأَمَّا حِكَايَةُ دَعْوَتِهِ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ بِقَوْلِهِ: {اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً}[آية :٣٥] فَتِلْكَ دَعْوَةٌ لَهُ بَعْدَ أَنْ صَارَ بَلَدًا. [ابن عاشور،**التحرير والتنوير** :٧١٥/١] وأيضا لأن ما جاء في البقرة هو السابق في ترتيب المصحف فجاء منكرا وما بعده في سورة إبراهيم جاء بالتعريف لأنه صار معروفا بسبق ذكره في البقرة

(٣)ابن عاشور،**التحرير والتنوير** [٧١٥/١]

والإطعام من جوع والأمن من خوف في سورة قريش هما نعمتان امتن الله بهما على مشركي مكة، وفيهما - فيما يبدو لي- تعريض بالتهديد بزوالهما عنهم إن بقوا على شركهم، وهو ما صرح به في موضع النحل بتقديم الانتقام بإذاقة للجوع على إذاقة الخوف.

كلا الموضعين - في سورة قريش وترتيب النشر في سورة النحل - جاءا على الأصل بالترتيب الحصولي في زوال النعمة، لأن حصول الجوع يتبعه انعدام الأمن لسببية الأول في الثاني .

وقد يكون هناك اعتبار آخر في تقديم الإطعام من جوع في سورة قريش وإذاقة الجوع في سورة النحل هو كونه رزق أساسي به قوام الحياة بينما الرزق في دعاء إبراهيم كان رفاهية من الرزق(١)، لأن الثمرات ليست أهم ما يطعمه الإنسان فالحبوب أهم منها .

وفي سورة قريش ومثله موضع النحل : قدم الأهم: الإطعام من جوع الذي به قوام الحياة وبدونه هلاك النفس محقق على الأمن الذي بدونه لا يكون الهلاك محققا ولكن الحياة به عذاب .

أما في سورة البقرة وصدر آية النحل فبالإضافة لما سبق من كونه من تقديم السبب على المسبب هو من تقديم ما هو أساسي على ما هو كمالي وهو صورة من صور التقديم للتخلية على التحلية.

وقد يكون التقديم للإطعام من جوع في سورة قريش خاصة من تقديم الأهم: أي الغايات والمقاصد على الوسائل، بمعنى أن الإطعام من جوع هو الغاية من الرحلتين المألوفتين لهم: رحلة الشتاء والصيف. وإنما كانتا رحلتين مألوفتين لنعمة الأمن من خوف حين تسير قوافلهم في الشمال وفي الجنوب، وهذا لم يكن لغيرهم كما قال تعالى: {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ} [القصص: ٥٧] (٢).

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن تقديم الجوع على الخوف في سورة قريش يتناسب مع تقديم الشتاء على الصيف فيها، لأنه حسب قوله : " المعروف أن حاجة الإنسان للطعام في الشتاء أكثر من

---

(١)قال ابن عاشور في تعليقه على دعوة إبراهيم بأن يرزقهم من الثمرات:"وفِي هَذَا دُعَاءٌ لَهُمْ بِالرَّفَاهِيَةِ حَتَّى لَا تَطْمَحَ نُفُوسُهُمْ لِلِارْتِحَالِ عَنْهُ".ابن عاشور،**التحرير والتنوير** [٧١٥/١]

(٢)جاء في التفسير القرآني:" فلقد أطعمهم الله سبحانه من جوع، بما فتح لهم من طرق آمنة يغدون فيها ويروحون بتجاراتهم، وألبسهم لباس الأمن حيث كانوا، داخل هذا البلد الحرام أو خارجه.. وإنه لا أجلّ من نعمة الأمن بجده الإنسان وسط غابة، تزأر فيها الأسود، وتعوى الذئاب! " عبد الكريم الخطيب،**التفسير القرآني**[١٦٨٢/١٦] وفي تفسير الشعراوي:" وجاء لهم بثمرات كل شيء، وآمنهم من خوف حين تسير قوافلهم في الشمال وفي الجنوب. " الشعراوي، **تفسير الشعراوي** [٢٣٢٠/٤]

الصيف، والخوف في الصيف أكثر، لأنه فيه يكثر قطّاع الطرق والزواحف لذا قدّم تعالى الشتاء والخوف على الصيف والجوع[١].

والدكتور حسام النعيمي يرى أن السبب في تقديم الجوع في سورة النحل أن الكلام فيها عن الرزق ، والرزق يناسبه الجوع فقدّم الجوع. وفي سورة قريش الكلام على التجارة والأموال والتجارة طعام وأصلاً تجارتهم كانت طعاماً فقدّم الجوع {فأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف}[٢].

ر- تقدم النهي عن قتل النفس بشكل عام على النهي عن الزنى على الأصل وخلافه

فتقدم القتل على الزنى جاء على الأصل من تقديم الأعظم ذنبا كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان: ٦٨] .

وخلافه جاء في في الآية ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الإسراء: ٣٢ – ٣٣] .

وهذه المخالفة للأصل في الترتيب هي لأجل الحث على الاعتناء بجرم الزنى خيفة التهاون به ، لأنه لم يكن الكثير من العرب في الجاهلية يستقبحه أو يخشى منه عقابا بخلاف القاتل الذي يخشى الثأر من أولياء المقتول[٣] . ويحتمل عندي أيضا كون تقديم النهي عن قرب الزنى في الآية، لأنه تتميم للمعنى في الآية السابقة له: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣١]، بذكر تتمة الأسباب المفضية إلى قتل الأولاد، فبعض القتل يكون خشية إملاق، وهذا غالبا ما يقدم عليه الأب وبعضه خشية كشف فضيحة الزنى، وهذا غالبا ما تقدم عليه الأم الزانية.

أما قتل النفس فهو معنى مستقل لا يرتبط بالنهي عن قتل الأولاد إلا من ناحية المناسبة الشكلية في أن كليهما قتل ، وما كان علاقته بالشيء علاقة معنوية فهو أولى بمجاورته مما كانت علاقته به لفظية.

ويحتمل عندي أيضا أن يكون هذا الحث على الاعتناء بجرم الزنى خيفة التهاون به حاصل بطريقة أخرى هي التوسط بين القتلين المذكورين: قتل الأولاد وقتل النفس .

---

(١)فاضل صالح السامرائي ، **لمسات بيانية**، (تفريغ لمحاضرات، أعده للشاملة: أبو عبد المعز) [٥٢١/١]

(٢)حسام النعيمي، **لمسات بيانية في سورة قريش**، المصدر موقع اسلاميات. جمع سمر ويسرا الأرناؤوط من برامج تلفزيونية هادفة لـ د.فاضل السامرائى - د.حسام النعيمى - د.أحمد الكبيسى .

(٣)المسيري، منير محمود، **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم**،مكتبة وهبة،القاهرة،ط ٢،٢٠٠٩ ص٤٧٤ . وهذا المعنى أفاده منير المسيري من ابن عاشور في تعليله لتقدم النهي عن أكل الأموال على النهي عن القتل في الآية:٢٩ من سورة النساء دون أن يشير إليه ، ينظر ابن عاشور،التحرير والتنوير [٢٤/٥] .

ز - تقدم النهي عن قتل الأولاد خاصة على النهي عن الزنى في موضع وخلافه في آخر.

تقدم النهي عن الزنى جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وتقدم النهي عن قتل الأولاد جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ۝ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣١ – ٣٢] .

أما تقدم الزنى في موضع الممتحنة فقد جاء على الأصل من تقدم السبب على المسبب، وهو منسجم ومتناسق في موضعه من بقية المنهيات في الآية: لأن السياق من قبيل التنزل والتحدر في ذكر المنهيات، من حق الله بعدم الإشراك به إلى حق الناس بعدم الاعتداء على أموالهم إلى حق النفس بعدم تدنيسها بالزنى إلى حق الحياة لما يتولد عن هذه النفس وهم الأولاد إلى حق الأزواج في عدم إلصاق أولاد ليسوا من صلبه به . وهذه المنهيات كلها يتلوها المأمورات المستفادة من عدم عصيانهم في المعروف " لأن التخلي عن الرذائل مقدم على التحلي بالفضائل، لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح " (١)

وأما موضع الإسراء فتقدم قتل الأولاد لمناسبته ما جاء في سابق الكلام في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٩ – ٣٠]. فالسياق السابق حديث متصل بالمال: بالنهي عن البخل والإسراف، وقتل الأولاد المذكور كان بسبب المال أي خشية الفقر، والنهي عن الزنى بعده جاء على سبيل التتميم للأسباب المفضية إلى قتل الأولاد وهو خشية عار الزنى أيضا.

(١)البقاعي ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ٥٢٤/١٩

س- تقديم النهي عن القتل على الاعتداء على الأموال وخلافه

فمما جاء على الأصل بتقديم الأعظم ذنبا: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ... وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ [الإسراء: ٣٣ - ٣٤] .

وخلافه في نحو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩] .

وقد علل موضع النساء ابن عاشور بقوله: " وَتَقْدِيمُ النَّهْيِ عَنْ أَكْلِ الْأَمْوَالِ عَلَى النَّهْيِ عَنْ قَتْلِ الْأَنْفُسِ، مَعَ أَنَّ الثَّانِيَ أَخْطَرُ، إِمَّا لِأَنَّ مُنَاسَبَةَ مَا قَبْلَهُ أَفْضَتْ إِلَى النَّهْيِ عَنْ أَكْلِ الْأَمْوَالِ فَاسْتَحَقَّ التَّقْدِيمَ لِذَلِكَ، وَإِمَّا لِأَنَّ الْمُخَاطَبِينَ كَانُوا قَرِيبِي عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ أَكْلُ الْأَمْوَالِ أَسْهَلَ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ أَشَدُّ اسْتِخْفَافًا بِهِ مِنْهُمْ بِقَتْلِ الْأَنْفُسِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَقَعُ فِي مَوَاقِعِ الضَّعْفِ حَيْثُ لَا يَدْفَعُ صَاحِبُهُ عَنْ نَفْسِهِ كَالْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ وَالزَّوْجَةِ. فَآكِلُ أَمْوَالِ هَؤُلَاءِ فِي مَأْمَنٍ مِنَ التَّبِعَاتِ بِخِلَافِ قَتْلِ النَّفْسِ، فَإِنَّ تَبِعَاتِهِ لَا يَسْلَمُ مِنْهَا أَحَدٌ، وَإِنْ بَلَغَ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْعِزَّةِ فِي قَوْمِهِ كُلَّ مَبْلَغٍ"(١) .

ش- ما جاء في موضع بتقديم الوفاء بالعهد على توفية الكيل والزنة بالقسط وفي آخر بتعكيس ذلك

فالتقديم للوفاء بالعهد على توفية الكيل والزنة بالقسط جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٤ – ٣٥] .

والتقديم لتوفية الكيل والزنة بالقسط على الوفاء بالعهد جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

فالتقديم للأمر بالوفاء بالعهد على الأمر بتوفية الكيل والزنة بالقسطاس في موضع الإسراء ليتوسط الحكمين الذين بينهما علاقة التخصيص والتعميم، فالأول تخصيص الحديث عن حفظ أموال اليتيم والثاني تعميم الحديث عن حفظ أموال الناس في البيع والشراء، فالتوسط للاهتمام بالمتوسط لأنه الحامل على

(١)ابن عاشور،**التحرير والتنوير** [٢٤/٥]

الوفاء بهما، إذ كل منهما عهد. فقوله تعالى: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلًا» مرتبط بما قبله وما بعده ، فهو بالنسبة لما قبله أمر للأوصياء على اليتامى بأن أموالهم هى أمانة فى أيديهم، وهو بالنسبة لما بعده أمر للمسلمين عامة بحفظ عهودهم المالية وعدم التعدي على أموال الغير .

قال ابن باديس: " وجاء هنا [الأمر بالوفاء بالعهد] في آية الوصاية باليتيم- وهي آية حفظ الأموال باحترام الملكية- لوجهين: الأول: أن الكافل لليتيم قد أعلن بكفالته- بلسان حاله- أنه ملتزم لحفظه في بدنه وماله، فهذا عهد منه يطالب بالوفاء به، ويسأل عن ذلك الوفاء. الثاني: أن الآية في حفظ الأموال وعدم التعدي على ملك أحد ... فأمروا بالوفاء بالعهد الذي هو أساس للتعامل، وفي ذلك سلامة مال كل أحد من التعدي عليه. ولا ينافي هذا عموم اللفظ الذي يقتضي الأمر بالوفاء عاماً، لأنه باق على عمومه وإنما يدخل فيه هذان الوجهان المذكوران في ارتباط النظم دخولا أولياً. ومن بديع إيجاز القرآن في نظم الآيات أن يؤتي باللفظ مفيداً للعام، ومقوياً للخاص...فالأمر بإيفاء الكيل من موضوع ما قبله: في الأمر بحفظ الأموال واحترام الملكية. والمكيلات والموزونات مورد عظيم للتعامل، ومعرضة تعريضاً كبيراً للبخس، والتطفيف، وأخذ مال الناس بالزيادة، أو بالتنقيص: إما بفعل الشخص، وإما بفساد الآلة. فأمر تعالى بإيفاء الكيل، وأمر باختيار الآلة الصالحة لذلك"[(١)] .

والتأخير للوفاء بالعهد في موضع الأنعام، لأن القصد منه الحمل على الوفاء بعهود ثلاثة مذكورة في الآية هي : حفظ أموال اليتيم خاصة، وحفظ الحقوق المالية للناس في البيوع خاصة، وحفظ العدل. فناسب تأخيره عنها جميعا. ووجه تقديم حَقِّ الْيَتِيمِ - خاصة - فِي حفظ مَالِهِ " أَنَّ ذَلِكَ الْحَقَّ مَظِنَّةُ الِاعْتِدَاءِ عَلَيْهِ مِنَ الْوَلِيِّ، وَهُوَ مَظِنَّةُ انْعِدَامِ الْمُدَافِعِ عَنْهُ، لِأَنَّهُ مَا مِنْ ضَعِيفٍ عِنْدَهُمْ إِلَّا وَلَهُ مِنَ الْأَقَارِبِ وَالْمَوَالِي مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ إِذَا اسْتَجَارَهُ أَوِ اسْتَنْجَدَهُ، فَأَمَّا الْيَتِيمُ فَإِنَّ الِاعْتِدَاءَ عَلَيْهِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَهُوَ وَلِيُّهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَلِي الْيَتِيمَ عِنْدَهُمْ إِلَّا أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَكَانَ الْأَوْلِيَاءُ يَتَوَسَّعُونَ فِي أَمْوَالِ أَيْتَامِهِمْ، وَيَعْتَدُونَ عَلَيْهَا، وَيُضَيِّعُونَ الْأَيْتَامَ لِكَيْلَا يَنْشَأُوا نَشْأَةً يَعْرِفُونَ بِهَا حُقُوقَهُمْ "[(٢)].

(١)ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي (ت: ١٣٥٩هـ)،**تفسير ابن باديس((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير))**،(تحقيق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين)،دار الكتب العلمية، بيروت.ط١، ١٩٩٥م. عدد الأجزاء: ١ [١/٩٧-٩٨]

(٢)ابن عاشور، التحرير والتنوير، [١٦٤/٨]

المبحث الثاني

تغاير الترتيب في الموضوع العام

المطلب الأول: ما جاء بترتيب في الغالب وبخلافه في الأقل

المطلب الثاني: ما جاء بترتيب في موضع وبخلافه في موضع آخر

المطلب الأول: ما جاء بترتيب في الغالب وبخلافه في الأقل

وسوف أتناول تحليل جملة من الشواهد على هذا المبحث ، منها:

أ- تقديم المغفرة على الرحمة، وعكسه

تقديم المغفرة على الرحمة جاء في سياق موضوعات مختلفة، كتوبة آدم وحواء في [الأعراف:٢٣]، وكتوبة نوح في [هود: ٤٧]، وكاستغفار موسى لقومه في [الأعراف: ١٥٥] إلخ.

وتقديم المغفرة على الرحمة هو ترتيب على الأصل من تقديم التخلية على التحلية، وهو الأكثر في القرآن، ومن شواهده من عطف الجمل بالواو:

- قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف:٢٣]
- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٧]
- قوله تعالى: ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]
- قوله تعالى: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥]
- قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]
- قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[المؤمنون: ١١٨]

وخلافه بتقديم الرحمة على المغفرة جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨ – ١٤٩].

وإنما قدمت التحلية هنا لملاحظة سببيتها في تحصيل المغفرة(١)، بمعنى أن ندم القوم وتيقنهم من ضلال ما فعلوه ، كل ذلك لا يكفي في تحصيل المغفرة لعظم الذنب الذي اقترفوه، وإنما غفران عبادتهم العجل لا يحصل إلا أن يتغمدهم الله برحمته كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -

---

(١)رشيد رضا،**تفسير المنار**:[١٧٦/٩]

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: " لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ " قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا "(١).

وإنما كان استحضار معنى السببية هنا خاصة للمبالغة في استشعارهم عظيم جرمهم واسْتِحْقَاقهم الْعِقَابِ الشديد.

قال صاحب المنار" أَقْسَمُوا إِنَّهُ لَا يَسَعُهُمْ بَعْدَ هَذَا الذَّنْبِ إِلَّا رَحْمَةُ رَبِّهِمُ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، قَائِلِينَ: لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا بِقَبُولِ تَوْبَتِنَا وَالتَّجَاوُزِ عَنْ جَرِيمَتِنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ لِسَعَادَةِ الدُّنْيَا؛ وَهِيَ الْحُرِّيَّةُ وَالِاسْتِقْلَالُ فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ، وَلِسَعَادَةِ الْآخِرَةِ؛ وَهِيَ دَارُ الْكَرَامَةِ وَالرِّضْوَانِ"(٢).

وأيضا في تقديم الرحمة على المغفرة على خلاف الأصل تناسب مع تقديم الندم على تبين الضلالة في سابق السياق في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ ﴾ أي هناك تناسب في ترتيب المتعاطفات مع ترتيب المتعدد في سابق السياق أيضا .

فقوله : "سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ" : كناية عن شدة الندم والحسرة، وقوله: " وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا" أي رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه بعيونهم (٣)، فهو أيضا ترتيب على خلاف الأصل، إذ تَقْدِيم النَّدَمِ فِي الذِّكْرِ عَلَى تبين الضلال ، هو على عكس الترتيب الحصولي، لأن الندم يكون بعد تبين الضلال لا قبله. وإنما قدم هنا لأنه من تقديم الأهم وهو تقديم ثمرة العلم بالضلال وهو" شدة الندم والْمُبَالَغَةِ فِي اسْتِشْعَارِهِمُ اسْتِحْقَاقَ الْعِقَابِ " على العلم بالضلال نفسه، لأنه لا قيمة للعلم بالشيء إِلَّا إِذَا تَرَتَّبَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُ(٤).

بل الآية نفسها : [الأعراف: ١٤٩] هي مقدمة من تأخير على الآية التالية لها : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾ [الأعراف :١٥٠] .

وفي التفسير الوسيط: "وما حكاه القرآن عنهم من الندم والرؤية، وما قالوه وإن كان بعد رجوع موسى - عليه السلام - إليهم من الميقات كما دلت عليه آيات سورة طه [الآيات:٨٦-٨٨] . لكن أُريد بتقديمه هنا

---

(١)البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل ، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، (المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر) ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ عدد الأجزاء: ٩ [١٢١/٧]

(٢)رشيد رضا،**تفسير المنار**[١٧٥/٩]

(٣)الزمخشري، **الكشاف** : [١٦٠/٢]

(٤)رشيد رضا، المرجع السابق ١٧٦/٩]

على رجوع موسى أَن يكون ما صدر عنهم من اتخاذ العجل والندم عليه في موضع واحد، مسارعة إِلى تذكير أَهل مكة، بندم بنى إِسرائيل على اتخاذهم العجل الذهبى الذي يخور خوار البقر، فهم أَحق منهم بالندم على عبادة ما هو دون ذلك من الأَحجار، أَمَّا ما جاءَ في سورة طه فهو تفصيل كامل للقصة يقتضي وضع كل حادث في موضعه"(١).

وجاء تقديم معنى الرحمة على المغفرة في موضع آخر من القرآن الكريم، ولكن من عطف المفردات - ولابأس في ذكره لمزيد توضيح - في قوله تعالى في مستهل سورة سبأ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ: ١ – ٢].

هنا التقديم للرحمة للسبق في الرتبة : رتبة العموم على الخصوص .

قال السهيلي:" وأما تقديم (الغفور) على (الرحيم) فهو أولى بالطبع، لأن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة ...فهذا من الترتيب البديع، بدأ بالسلامة قبل الغنيمة...وأما قوله: (وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ) في (سبأ) ... [فـ] لأنها منتظمة بذكر أوصاف الخلق من المكلفين وغيرهم من الحيوان، فالرحمة تشمهلم والمغفرة تخصهم، والعموم بالطبع قبل الخصوص كقوله تعالى: (فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) "(٢).

---

(١) مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** [١٥١٤/٣]

(٢) السهيلي،**نتائج الفكر** [٢١٢/١-٢١٣] ونحوه قال الزركشي: " وَإِنَّمَا تَأَخَّرَتْ فِي آيَةِ سَبَأٍ في قوله: {الرحيم الغفور} لِأَنَّهَا مُنْتَظِمَةٌ فِي سِلْكِ تَعْدَادِ أَصْنَافِ الْخَلْقِ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ وَغَيْرِهِمْ وَهُوَ قَوْلُهُ: {مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الغفور} فَالرَّحْمَةُ شَمِلَتْهُمْ جَمِيعًا وَالْمَغْفِرَةُ تَخُصُّ بَعْضًا وَالْعُمُومُ قَبْلَ الْخُصُوصِ بِالرُّتْبَةِ " الزركشي،**البرهان** [٢٤٩/٣].

ب- تقديم تكفير السيئات على إدخال الجنات ، وخلافه

تقديم تكفير السيئات على إدخال الجنان هو ترتيب على الأصل والغالب بتقديم التخلية على التحلية، ومن شواهده:

- قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [المائدة: ٦٥].
- قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [آل عمران: ١٩٥]
- قوله: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ﴾ [المائدة: ١٢].
- قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التحريم: ٨]
- قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التغابن: ٩].

وما جاء على خلافه بتقديم إدخال الجنات على تكفير السيئات قوله تعالى: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ [الفتح: ٥]

وذلك لأجل التناسب مع لاحق السياق: لأجل مراعاة المقابلة بين إدخال المؤمنين الجنات المصدر به الآية، وتعذيب المنافقين وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ في النيران المصدر به الآية اللاحقة في قوله تعالى:﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ [الفتح: ٦] ، ولو روعي الترتيب الطبيعي بتقديم التخلية أي تكفير السيئات لفات مراعاة هذه المقابلة.

وقد جعل صاحب التفسير القرآني التقديم لأمر آخر فقال : "إشارة إلى أن دخول الجنّة أمر مقضيّ به لكل مؤمن ومؤمنة، سواء كان ذلك من غير عذاب، أو بعد أن يستوفى العصاة من المؤمنين عذابهم، فهم

جميعا موعدون بالجنة، وحسب المؤمن- أيّا كان- أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، كما يقول سبحانه: «فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ» هذه هى القضية.. أما تكفير السيئات، فهو إلى رحمة الله سبحانه وتعالى، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى فى ختام الآية: «وَكانَ ذلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً» .. أي كان دخول الجنة، والقرب من الله، والنعيم برضوانه- «فَوْزاً عَظِيماً» .. أما تكفير السيئات والتجاوز عنها بالعفو والمغفرة، فذلك إلى حكمة الله، وإلى مشيئته فى عباده، إن شاء غفر، وإن شاء حاسب وعاقب"[١].

ومما جاء التقديم لأجل مراعاة المقابلة، لكن مع المقدم في سابق السياق لا لاحقه، قول الله تعالى :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

فالأصل أن يقال في غير القرآن : "والله يدعو إلى المغفرة بإذنه والجنة "، لأن سؤال المغفرة قبل سؤال الجنة من باب تقديم التخلية على التحلية، لكنه بهذا الترتيب تضيع نكتة إنشاء المقابلة مع دعوة أولئك إلى النار، لأنه لا يقابلها دعوة الله إلى المغفرة بل يقابلها دعوة الله إلى الجنة فيظهر بتقديمها مراعاة المقابلة بين الدعوتين .

قال أبو السعود: "وتقديمُ الجنة على المغفرة مع أن حق التخلية أن تُقدَّم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداءً "[٢]، وهذا الشاهد من عطف المفردات لكن أذكره توضيحا للفكرة وتثبيتا لها.

ت- تقديم الضر على النفع وعكسه

ورد لفظا الضر والنفع مقترنين في سبع عشرة آية.

سبق لفظ الضر النفع في تسع آيات: البقرة :١٠٢، المائدة :٧٦، يونس:١٨، يونس:٤٩، طه:٨٩ ، الحج:١٢ ، الحج:١٣ ، الفرقان:٣ ، الفتح:١١.

وسبق لفظ النفع الضر في ثماني آيات هي:الأنعام:٧١،الأعراف:١٨٨، يونس:١٠٦، الرعد :١٦، الأنبياء:٦٦، الفرقان:٥٥، الشعراء:٧٣،سبأ:٤٢.

---

(١) عبد الكريم الخطيب،**التفسير القرآني** [٤٠١/١٣]
(٢)أبو السعود،**تفسير أبي السعود** [٢٢٢/١]

ما جاء من ذلك من عطف الجمل بالواو بتقديم الضر:

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ البقرة: ١٠٢ .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ يونس: ١٨ .

وما جاء بتقديم النفع:

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يونس: ١٠٦.

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ الأنبياء: ٦٦.

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ الأنعام: ٧١ .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٥.

تقديم الضر على النفع جاء على الأكثر في القرآن الكريم [تسعة مقابل ثمانية]، وبشكل عام يقال: هو ترتيب على الأصل، لأن العابد يعبد معبودا خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ أَوَّلا ثُمَّ طَمَعًا فِي ثَوَابِهِ، فهو من تقديم التخلية على التحلية، وخلافه بتقديم النفع لِسَابِقَةِ مَعْنًى يَتَضَمَّنُ نَفْعًا(١) .

وبشكل مفصل نقول:

موضع البقرة : ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

المقصود الأصلي فيها هو الإخبار بثبوت ضرر السحر، أما ما بعده من نفي النفع جاء تتميما للمعنى لبيان أنه ضرر محض، لا كغيره من الأضرار التي يكون ضرها غالبا، لا خالصا من النفع بوجه(٢) .

كما أن إثبات الضر هو المناسب للمعنى السابق في قوله تعالى: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ البقرة: ١٠٢، إذ الإخبار فيه عن تعلمهم السحر بقصد الإضرار: للتفريق بين المرء وزوجه ، فبين الله أن الأمر بيده وأنه لن يصيب أحدا ضر إلا بإذنه سبحانه ، ثم بين أن المتضرر الحقيقي هم المتعاملون بالسحر ، فالكلام كله في الضر لا في النفع .

---

(١)الكرماني ، تاج القراء أبو القاسم محمود بن حمزة (ت: نحو ٥٠٥هـ) ،**أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان،(** تحقيق: عبد القادر أحمد عطا) مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة، عدد الأجزاء: ١ [١٣٠/١]

(٢) أبو السعود،**تفسير أبو السعود** [١٣٩/١]

موضع يونس الأول: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ﴾ [يونس: ١٨].

تقديم الضر فيه لأسباب، منها:

- الترتيب جاء على الأصل: لأن العبادة تقام للمعبود خوفا من العقاب أولا، ثم رجاء للثواب ثانيا. فهو من تقديم التخلية على التحلية.

- بدأ بما هو أبلغ إذا ابتدئ به، لأن القدرة على ضر الغير أسهل من القدرة على نفعه، أي يعبدون أصناماً لا تقدر على ما يتسهل على الفاعلين، فكيف ما يتعذر؟ ثم ذكر بعده: (ولا ينفعهم) لاستيعاب مافي الباب (١).

- تناسب تقديم الضر مع ما جاء في السياق السابق: مع قوله: {إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم} [يونس: ١٥]، " فكأنه قال: ويعبدون من دون الله ما لا يخافون ضررا في معصيته، ولا يرجون نفعا في طاعته " (٢)، وكذلك موافقة مَا قبلهَا من تصدير الكلام بـ: {وَإِذا مس الْإِنْسَان الضّرّ} [يونس:١٢] .

- تناسب تأخير النفع مع ما جاء في السياق اللاحق : مع قوله : {ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله}، لأنه ادعاء وجه من وجوه النفع وهو الشفاعة (٣).

موضع يونس الثاني: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦].

تقديم النفع فيه:

- لتناسب تقديم النفع مع ما جاء في السياق السابق من سابقة معنى من معاني النفع: مع قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٣] ، و قوله تعالى: ﴿ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ [يونس: ٩٨].

---

(١) الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٤٢٠هـ)، **درة التنزيل وغرة التأويل**، تحقيق: (محمد مصطفى آيدين) ، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (معهد البحوث العلمية مكة المكرمة ، ط:١، ٢٠٠١ م،عدد الأجزاء: ٣ [٩٥٩/١-٩٦٠].

(٢) الإسكافي، **درة التنزيل وغرة التأويل**، [٧٣٣/٢- ٧٣٤].

(٣) الغرناطي، **ملاك التأيل** [٢٤٠/١]

– لتناسب تأخير الضر مع ما جاء في لاحق السياق: ليجاور تقديم حال الضر المقدم على حال النفع في قوله: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ ﴾ [يونس: ١٠٧] .

موضع الأنعام: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ [الأنعام: ٧١] .

تقدم النفع لِسَابِقَةِ مَعْنًى يَتَضَمَّنُ نَفْعًا هو قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ ﴾ [الأنعام: ٧٠].

موضع الأنبياء: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٦٦].

تقدم النفع لِسَابِقَةِ مَعْنًى يَتَضَمَّنُ نَفْعًا هو تَقَدَّم قَوْل الْكُفَّارِ لإِبْرَاهِيمَ فِي الْمُجَادَلَةِ: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٥]، ففيه إقرار منهم بعدم نفع أصنامهم لهم، فناسب الابتداء بتوبيخهم على عبادة ما لا ينفع.

موضع الفرقان: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ [الفرقان: ٥٥]

تقدم النفع فيه :

– لتقدم نعم جمة من المعبود النافع بحق في الآيات: [٤٥-٥٤].

– ليتناسب الطباق بين النفع والضر والطباق بين الماء العذب الفرات والماء الملح الأجاج في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٣ - ٥٤] بتقديم الأفضل على الأدون في كل منهما، والمناسبة أيضا حاصلة مع تقديم الأفضل:النسب على المصاهرة.

قال الإسكافي: " وصلة النسب أفضل من صلة المصاهرة، كما أن العذب من الماء أفضل من الملح، وقال بعده: (ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم) أي: يتكلفون المشقة بعبادة ما لا يرجونه لنفع، ولا يخشونه لضر، فقدم الأفضل على الأدون لهذا المعنى، وللبناء على ما تقدم من الآيات" (١).

(١)الإسكافي،**درة التنزيل**: ٧٣٣/٢ ـ٧٣٤

ث- تقديم السمع على البصر وعكسه

قال الدكتور فاضل السامرائي : " والمعلوم أن الأكثر في القرآن تقديم السمع على البصر،لأن السمع أهم من البصر في التكليف والتبليغ، لأن فاقد البصر الذي يسمع يمكن تبليغه، أما فاقد السمع فيصعب تبليغه [فهو من التقديم للشرف والفضل بهذا المعنى]. ثم إن مدى السمع أقل من مدى البصر فمن نسمعه يكون عادة أقرب ممن نراه [فهو من التقديم للرتبة على هذا المعنى]، بالإضافة إلى أن السمع ينشأ في الإنسان قبل البصر في التكوين [فهو من التقديم لسبق الوجود بهذا المعنى] "(١) .

فمن شواهد تقديم السمع على البصرعلى سبيل المثال لا للحصر

- قوله تعالى:﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ يونس: ٤٢ - ٤٣
- قوله تعالى:﴿ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴾ هود: ٢٠
- قوله تعالى:﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ النمل: ٨٠
- قوله تعالى:﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ الروم: ٥٢
- قوله تعالى:﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ مريم: ٣٨
- قوله تعالى:﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ طه: ٤٦

وعكسه بتقديم البصر لأسباب منها:

- التقديم للسبق في زمن الحدوث، كما في قوله تعالى ﴿ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧١].

قال الآلوسي: "وبدأ بالعمى لأنه أول ما يعرض للمعرض عن الشرائع فلا يبصر من أتى بها من عند الله تعالى ولا يلتفت إلى معجزاته، ثم لو أبصره لم يسمع كلامه فيكون عروض الصمم بعد عروض العمى"(٢). ومن الناحية العلمية الإدراك بالعين أسرع من الإدراك بالسمع(٣).

---

(١)السامرائي، فاضل، **لمسات بيانية**،٦٦/١

(٢) الآلوسي،**روح المعاني**،[٣٧١/٣]

(٣) وهذا ثابت علميا لأن سرعة الضوء - الذي يعتمد عليه الإبصار - أسرع من سرعة الصوت . ينظر [النجار، زغلول راغب محمد ، **من آيات الإعجاز العلمي: السماء في القرآن الكريم**، دار المعرفة، بيروت – لبنان ط٤ ، ٢٠٠٧م [ص ٥٠١]

- التقديم لما الكلام فيه، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ ﴾ [الكهف: ٢٦] .

فتقديم التعجب(١)من شأن البصر، لأجل أن الكلام فيما هو من المبصرات كما قال أبو السعود: "ولعل تقديمَ أمرِ إبصارِه تعالى لما أن الذي نحن بصدده من قبيل المبصَرات"(٢).

وقد وضح هذا الأمر الدكتور فاضل السامرائي بقوله: " الكلام عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم لئلا يراهم أحد ولجأوا إلى ظلمة الكهف لكيلا يراهم أحد لكن الله تعالى يراهم في تقلبهم في ظلمة الكهف، وكذلك طلبوا من صاحبهم أن يتلطف حتى لا يراه القوم، إذن مسألة البصر هنا أهم من السمع فاقتضى تقديم البصر على السمع في الآية"(٣).

- التقديم للأهم يوم القيامة ، ففي الدنيا، السمع أهم من البصر، لقوة الاعتماد على الأول في الإيمان بالغيبيات التي عليها مدار الفلاح والخسارة. وأما يوم القيامة فما كان من عالم الغيب صار من عالم الشهادة، وصارت قوة إدراكه بالبصر أشد منه بالسمع، فالآخرة ميدان الرؤية وليس ميدان السمع ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ١٢]. قال الدكتور فاضل: " الكلام عن المجرمين الذين كانوا في الدنيا يسمعون عن القيامة وأحوالها ولا يبصرون لكن ما يسمعوه كان يدخل في مجال الشك والظنّ ولو تيقنوا لآمنوا أما في الآخرة فقد أبصروا ما كانوا يسمعون عنه لأنهم أصبحوا في مجال اليقين وهو ميدان البصر (عين اليقين) والآخرة ميدان الرؤية وليس ميدان السمع وكما يقال ليس الخبر كالمعاينة. فعندما رأوا في الآخرة ما كانوا يسمعونه ويشكون فيه تغير الحال ولذا اقتضى تقديم البصر على السمع"(٤). ويمكن أن يعلل لنفس السبب التقديم لآلة البصر" على آلة السمع"الأذن" في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٌ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٌ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٌ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] فهو من تقديم الأهم يوم القيامة على نحو التفصيل السابق.

---

(١) الماوردي،**النكت والعيون**،[٣٠٠/٣] قال الماوردي في قوله تعالى{ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ } : فيه تأويلان: أحدهما: أن الله أبصر وأسمع ، أي أبصر ، بما قال وأسمع لما قالوا. الثاني: معناه أبصرهم وأسمعهم ما قال الله فيهم. أصححما عندي أن معناه على التعجب أي ما أعظم سمعه وبصره .
(٢) أبو السعود،**تفسير أبي السعود**، [٢١٨/٥]
(٣)فاضل السامرائي،**لمسات بيانية**،٦٦/١
(٤)المرجع السابق ٦٦/١

ج- تقديم الغضب على اللعنة وعكسه

اللَّعْن: هُوَ بِمَعْنى الطَّرْد من رَحْمَة الله، فَلَا يكون إِلَّا للْكَافِرِينَ وَبِمَعْنى الإبعاد من دَرَجَة الْأَبْرَار ومقام الصَّالِحين(١). وفي لسان العرب:الغضب: نقيض الرضا(٢). وقال الكفوي: هُوَ إِرَادَة الْإِضْرَار بالمغضوب عَلَيْهِ (٣).

وغضب الله أعظم من لعنته، قال الألوسي: " لا يسلم أن اللعن في أي موضع وقع بمعنى الطرد عن الرحمة فإنه قد يكون بمعنى الإسقاط عن درجة الأبرار وقد يقصد به إظهار خساسة الملعون، وكذا لا يسلم اختصاص الغضب بالكافر وإن كان أشد من اللعن"(٤).

واللعنة هي أشد صور الغضب، جاء في المنار:"اللَّعْنَةُ عِبَارَةٌ عَنْ مُنْتَهَى الْمُؤَاخَذَةِ لِمَنْ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ". وفيه أيضا (٥): " اللَّعْنُ: أَشَدُّ مَا يُعَبِّرُ اللهُ تَعَالَى بِهِ عَنْ مَقْتِهِ وَغَضَبِهِ ؛ فَالْمَلْعُونُ هُوَ الْمَحْرُومُ مِنْ لُطْفِهِ وَعِنَايَتِهِ، الْبَعِيدُ عَنْ هُبُوطِ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ "(٦) .

فتقديم الغضب على اللعن من تقديم السبب على المسبب والمؤثر على الأثر وهو الأصل، ومما جاء بتقديمه قوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]. ونحوه قوله: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح: ٦].

وعكسه بتقديم اللعنة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٦٠]. فلأجل الاعتداد باللعنة باعتبارها عقوبة مستقلة في سياق تعداد النقم، ولو أخرت لعدت مع الغضب عقوبة واحدة ، والتعداد للنقم هو المناسب للسياق الذي يدل على منتهى الغضب الإلهي من هؤلاء اليهود المستهزئين بالمسلمين وقرآنهم وصلاتهم كما يظهر في الآيات السابقة واللاحقة لموضع الشاهد.

---

(١)الكفوي، أبو البقاء، أيوب بن موسى (ت: ١٠٩٤هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**،(تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري)، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص١/ ٧٩٧

(٢)ابن منظور، **لسان العرب** [١/٦٤٨]

(٣)الكفوي، **الكليات** ، ص١/٦٧١

(٤)الآلوسي،**روح المعاني**[٩/٣٠٨].

(٥) رشيد رضا،**تفسير المنار** [٦/٤٠٦]

(٦)المرجع السابق [٦/٣٧١]

ح- تقديم المغفرة على العذاب وخلافه

تقديم المغفرة أو الرحمة على العذاب هو الأصل ، لسبق الرحمة الغضب الإلهي، ومن شواهده :

- ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ البقرة: ٢٨٤
- ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ آل عمران: ١٢٩
- ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ المائدة: ١٨
- ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ الفتح: ١٤
- ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الأحقاف: ٣١
- ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ آل عمران: ١٦
- ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ غافر: ٧

ومع كون التقديم للمغفرة أو الرحمة هو الأصل، يمكن أن يضاف لذلك ملاحظة التناسب في هذا الترتيب مع السياق : سابقه ولاحقه.

ففي بعض الآيات السابقة التي قُدّمت فيها (المغفرة) على (العذاب)، نحو: الآيات الأربع الأولى من القائمة السابقة، بين الغرناطي وجوه تناسبها مع السياق، فقال: " وإنما تقدمها ما يفهم قوة الرجاء لمن أحسن وأناب كقوله تعالى في آية البقرة: "وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه " والخطاب للمؤمنين. وورد قبل الآية الثانية من الأربع قوله تعالى: "ليس لك من الأمر شئ "، وقبل الثالثة: "وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه "إلى قوله تعالى: "بل أنتم بشر ممن خلق "، وفي هذا وإن كان خطابا لأهل الكتابين تنبيه لهم وأنهم إن أسلموا وأنابوا لربهم رجوا عفوه ومغفرته. وقبل الآية الرابعة قوله تعالى: "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله "، ولم يخرج الكلام إلى غير هذا من تعريف نبيه صلى الله عليه وسلم بعلي حاله وما منحه والإعلام بحال المخلفين من الأعراب وما جرى في ظنهم وكل ذلك تثبيت للمؤمنين ومنبئ بما تعقبهم الاستجابة لله ولرسوله ثم أتبع ذلك بالإعلام بأنه سبحانه المالك للكل والمتصرف فيهم بما يشاء فقال تعالى: "ولله ملك السماوات والأرض " وأفهم ذلك أن فعل المخلفين من الأعراب غير خارج عما أراده

وقدره وأن مخالفتهم لا تضره تعالى وأنها صادرة عن قضائه فناسب هذه الأربع بجملتها تقديم ذكر المغفرة وجاء كل على ما يناسب والله أعلم"[١] .

وخلافه بتقديم العذاب على المغفرة أو الرحمة للتناسب مع سَابِقَةٍ مَعْنًى في السياق يَتَضَمَّنُ عذابا وذلك في الآيات:

- ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ المائدة: ٤٠ .

تقدم موضع الشاهد معنى من معاني العذاب، وهو عقوبة قطع يد السارق في [الآية:٣٨] ، وقبلها عقوبة الحراب في [الآية:٣٣] فناسبه الابتداء بالعذاب.

- ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢١] تقديم العذاب لأجل:

– التناسب مع السَّابِق على موضع الشاهد، وهو ذِكْرُ الكفَّار، " فَذَكَرَ الْعَذَابَ لِسَبْقِ ذِكْرِ مُسْتَحِقِّيهِ بِحُكْمِ الإِيعَادِ" [٢] .

– كَمَا ذكر بَعْدَ إثبَاتِ الأصْلِ الأَوَّلِ - وَهُوَ التَّوْحِيدُ- التَّهْدِيدَ بِقَوْلِهِ: {وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ} [العنكبوت: ١٨] وَأهْلِكُوا بِالتَّكْذِيبِ، كَذَلِكَ ذَكَرَ بَعْدَ إِثْبَاتِ الأصْلِ الآخَرِ [أي الإيمان باليوم الآخر] التّهْدِيدَ بِذِكْرِ التَّعْذِيبِ، وَذِكْرُ الرَّحْمَةِ وَقَعَ تَبَعًا لِئلا يَكُونَ الْعَذَابُ مَذكُورًا وَحْدَهُ [٣] .

- ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٦٧]

هنا تقدم التهديد بالعقاب، لأن المقام مقام تَخْوِيفٍ وتهديد، وقد تقدم قصَّة المُعْتَدين في السَّبْت ومسخهم في [الآية ١٦٣-١٦٦] [٤] .

- ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٦٥]

هذا موضع قدم التهديد بالعقاب لأن الخطاب قبلها في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ للمشركين فهو من الكلام المأمور به الرسول

---

(١) الغرناطي:ملاك التأويل:٧٤/١-٧٥
(٢) الرازي، **التفسير الكبير** ٤٢/٢٥
(٣) المرجع السابق ٤٢/٢٥
(٤) ابن عادل ،أبو حفص سراج الدين عمر بن علي (ت: ٧٧٥هـ)، **اللباب في علوم الكتاب** ،(تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض)،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،ط١، ١٩٩٨م،عدد الأجزاء: ٢٠ [٥٤٠/٨]

صلى الله عليه وسلم أن يخاطبهم به جوابا لهم لما دَعَوْهُ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ(١)، وهذا أولى من كون الْخِطَاب فيه لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لأنه لا يناسبه تقديم الوعيد على الوعد الذي جاء عليه النظم ، فالقصد من تقديم الوعيد والتهديد هو تخويف المشركين(٢)، فناسبه الابتداء بالتلويح بالعقاب.

وقال النيسابوري: " وإنما أخر قرينة الرحمة في الموضعين [يقصد في الأنعام والأعراف] ليقع ختم الكلام على المغفرة والرحمة فيكون أدل على كمال رأفته ووفور إحسانه" (٣).

ويفهم من كلامه أن تقديم العقاب جاء عارضا ونتيجة لقصد تأخير الرحمة عنه في الموضعين لتحقيق ما ذكر مما يجعل تأخير الرحمة هي المقصود الأصلي في الكلام .

ولست معه في ذلك بل أرى أن التقديم للعقاب هو المقصود الأصلي ليتناسب مع السباق، وأما تأخير الرحمة فهو أمر تكميلي متمم له، ولا بأس أن يكون هذا التتميم فيه لأجل ما ذكر بشرط أن يكون على سبيل التتميم للمقصود الأصلي. وكذلك لست مع من يجعل تقديم سرعة الْعقَاب فِي الْآيَتَيْنِ مُرَاعَاة لفواصل(٤) .

- ﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ ... ﴾[الأعراف: ١٥٦-١٥٧]

قد اجتمع في هذا الموضع مناسبة تقديم الأول مع سابق السياق، وتأخير الثاني مع لاحق السياق، فجرائم اليهود المذكورة في الكلام السابق على هذه الآية، وعلى رأسها عبادتهم العجل يناسبها قوله تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُ ﴾ ، وأما قوله: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾، فيناسبه الحديث عن مسلمة

(١) ابن عاشور،**التحرير والتنوير** [٢٠٩/٨ -٢١٠] قال ابن عاشور: "فَالْخِطَابُ مُوَجَّهٌ إِلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أُمِرَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا [الْأَنْعَام: ١٦٤] وَذَلِكَ يُذَكِّرُ بِأَنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ أُولَئِكَ. فَمَوْقِعُ هَذِهِ عَقِبَ قَوْلِهِ: ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ [الْأَنْعَام: ١٦٤] تَذْكِيرٌ بِالنِّعْمَةِ، بَعْدَ الْإِنْذَارِ بِسَلْبِهَا، وَتَحْرِيضٌ عَلَى تَدَارُكِ مَا فَاتَ، وَهُوَ يَفْتَحُ أَعْيُنَهُمْ لِلنَّظَرِ فِي عَوَاقِبِ الْأُمَمِ وَانْقِرَاضِهَا وَبَقَائِهَا".

(٢)الشوكاني، محمد بن علي اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ [٢١٢/٢]

(٣)النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد (ت: ٨٥٠هـ)، **تفسير النيسابوري(غرائب القرآن ورغائب الفرقان)**،(تحقيق: الشيخ زكريا عميرات)، دار الكتب العلميه – بيروت،ط١، ١٤١٦ هـ [١٩٥/٣]

(٤)الكرماني، **البرهان في توجيه متشابه القرآن** [١١٦/١] ، والفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز**،[٢٠٠/١]

أهل الكتاب، وهم المقصودون بالأوصاف اللاحقة ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ... ﴾.

وأرى أنه قد يكون تقديم العذاب في بعض المواضع لا للتناسب مع سَابِقَةِ مَعْنًى في السياق يَتَضَمَّنُ عذابا، ولكن للإيذان بتفاقم سوء حال فريق من الناس مما يترجح في حقهم تعذيبهم على رحمتهم ، نحو:

- قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ [الكهف: ٨٦ – ٨٨] (١) .

فتقديم احتمال العذاب على الإحسان هو على خلاف الأصل في الترتيب من سبق الرحمة الغضب، وليس هناك في السياق السابق للموضع معنى من معاني العذاب حتى يقال إنه من التقديم لمناسبة السابق عليه في السياق ، مما يرجح عندي الدلالة على سوء حال المخاطبين المقتضي تغليب معاقبتهم على مسامحتهم(٢) .

- وقوله:﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٦]

فتقديم احتمال التعذيب على التوبة على خلاف الأصل من سبق الرحمة الغضب، وليس هناك في السياق السابق للموضع معنى من معاني العذاب حتى يقال إنه من التقديم لمناسبة السابق عليه في السياق ، مما يرجح عندي الدلالة على سوء حال المخاطبين المقتضي تغليب معاقبتهم على مسامحتهم.

وقد سبق هذه الآية آية أخرى شبيهه بنظم هذه عطفت عليها هي قوله تعالى :﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٢]، فيكون قد ذكر من خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا واعترفوا بذنوبهم ، وهم إلى مغفرة الله لقوله تعالى: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ثم عطف عليهم من هم أسوأ حالا ممن ترجحت أعمالهم السيئة على الحسنة بدلالة تقديم احتمال العذاب على التوبة وبدلالة عدم ذكر اعترافهم بذنوبهم وتوبتهم عنها كما ذكر في الفريق السابق .

---

(١) تقدير الكلام : إما« تعذيبك (واقع بهم) » وإما اتخاذك فيهم حسني واقع ، فالمصدر المؤوّل (أن تعذّب) في محلّ رفع مبتدأ، والخبر محذوف أي إمّا تعذيبك واقع بهم والمصدر المؤوّل (أن تتّخذ) في محلّ رفع مبتدأ، والخبر محذوف أي اتّخاذك حسنا فيهم واقع بهم. ينظر[محمود بن عبد الرحيم صافي، صافي، محمود بن عبد الرحيم (ت: ١٣٧٦هـ)، **الجدول في إعراب القرآن الكريم** ،دار الرشيد، دمشق ، مؤسسة الإيمان، بيروت،ط٤، ١٤١٨ هـ عدد الأجزاء: ٣١ (٣٠ ومجلد فهارس) في ١٦ مجلدا: ٢٤٥/١٦].

(٢)والآيات الثلاث تصلح مثالا على التقسيم على نحو ترتيب اللف كما هو واضح .

وكون المقصود في الآية ما ذكرت هو ما ذهب إليه صاحب التفسير القرآني، لكن دون الإشارة إلى استفادة ذلك من دلالة تقديم العذاب على الرحمة .

قال عبد الكريم الخطيب: " قيل نزلت هذه الآية فى الثلاثة الذين خلفوا، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع ... هذا مما أجمع عليه المفسّرون.. غير أن لنا فى الآية رأيا آخر، وهو أنها تكشف عن جانب من رحمة الله بعباده، وتفضله على المذنبين العصاة منهم، وهم الذين لم يتوبوا إلى الله، ولم ينزعوا عما اقترفوا من إثم.. فهؤلاء مذنبون عصاة، ينتظرون حكم الله فيهم، إن شاء أخذهم بذنوبهم فعذّبهم، وإن شاء عاد بفضله عليهم، فعفا عنهم، هكذا كرما منه وفضلا.." [(١)] .

وهناك من يرى أن المقصود بهم المنافقون الذين اتخذوا مسجدا ضرارا كما نقل ابن عطية ذلك في تفسيره [(٢)]، ويقوي ذلك عندهم قراءة أبي جعفر ونافع وابن عامر، لأنهم يقرؤون الذين اتخذوا بحذف الواو[(٣)] ، وهو مروي عن الحسن البصري[(٤)]، وعليه يكون الكلام تابعا لما قبله نعتا له[(٥)] أو بدلا من "وآخرون" أو خبر ابتداء محذوف أي "هم الذين اتخذوا مسجدا ضرارا..." [(٦)].

وإن كنت أرجح ما ذكرت سابقا من كونهم الذين لم يعترفوا بذنوبهم من المؤمنين ولم يتوبوا عنها كما فعل الفريق الأول المعطوف عليه هؤلاء.

ولم أقف عند أحد من المفسرين ممن وقف عند سر تقدم ذكر احتمال التعذيب على التوبة على خلاف الترتيب الطبيعي من تقديم الرحمة على العذاب لسبق رحمته سبحانه بعباده، ولو فعلوا ذلك لربما ترجح لديهم ما ترجح لدي والله أعلم بمراده.

---

(١) عبد الكريم الخطيب، **التفسير القرآني** [٦/٨٩١-٨٩٢]

(٢) ابن عطية، **المحرر الوجيز** [٣/٨٠]. قال ابن عطية: " وقيل إنها نزلت في غيرهم من المنافقين الذين كانوا معرضين للتوبة مع بنائهم مسجد الضرار" .

(٣) ابن الجزري ، شمس الدين أبو الخير ، محمد بن محمد بن يوسف (ت : ٨٣٣ هـ)، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى ، دار الكتاب العلمية، عدد الأجزاء : ٢ [٢/٢٨١]

(٤) القاسمي ، **محاسن التأويل** [٥/٤٩٩]

(٥) الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، **معاني القراءات**، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب ، جامعة الملك سعود، السعودية، ط: ١، ١٩٩١ م عدد الأجزاء: ٣ [١/٤٦٤]

(٦) ابن عطية، **المحرر الوجيز** [٣/٨٠]. قال ابن عطية: " يكون (الذين اتخذوا بإسقاط واو العطف) بدلا من آخَرُونَ، أو خبر ابتداء تقديره هم الذين" .

خ- تقديم البشارة على النذارة على الأصل وعكسه

فتقديم البشارة على الأصل والغالب للتلطف بتقديم المرغوب فيه على المرغوب عنه،ومنه:

- قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم: ٩٧] .
- و قوله تعالى:﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ [الكهف: ٢ – ٤] .

وأكثر ما جاء عليه هذا المعنى كان من عطف المفردات كما في المواضع: [المائدة: ١٩]، [فاطر: ٢٤]، [البقرة: ١١٩]، [سبأ: ٢٨]، [فاطر: ٢٤]، [فصلت: ٤].

ومما جاء بتقديم النذارة على البشارة وهو ترتيب على خلاف الأصل لمناسبة تقديم النذارة لمعنى في سابق السياق ، كما في قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس: ٢] ، إذ تقديم النذارة للتعريض بالوعيد للناس المذكورين في الآية وهم المشركون، لأنهم هم الذين عجبوا واستنكروا بعثة الله بشرا رسولا منهم .

ومما جاء من عطف المفردات: [الأعراف: ١٨٨]،[هود: ٢] .

د- تقديم التسبيح على المغفرة وخلافه

تقديم التسبيح على المغفرة جاء في قوله تعالى:

- ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الشورى: ٥
- ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ النصر: ٣

وتقديم المغفرة على التسبيح جاء في قوله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [غافر: ٥٥] . فالكلام في "الشورى" متعلق بتسبيح الملائكة واستغفارهم، وفي موضع "النصر" و"غافر" متعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن الدواعي البلاغية في هذا التقديم للتسبيح في الموضعين:

- تقديم مطلوب الله بتسبيحه على مطلوب العبد بغفران ذنوبه .

- تقديم الوسيلة - وهو تسبيح الله - بين يدي طلب الحاجة منه - وهو غفران الذنوب - ليكون أدعى لاستجابة الدعاء.

وفي موضع الشورى خاصة هناك - بالإضافة لما ذكر - مناسبة بين تسبيح الملائكة ربها وما سبقها من تفطر السموات لعظم الله سبحانه .

وكذلك موضع النصر جاء فيه تقديم التسبيح لمراعاة التناسب المعنوي بينه وبين الكلام قبله المتضمن نعمة النصر والفتح، لأن التسبيح شكر الله على تلك النعم .

وخلاف ذلك بتقديم المغفرة على التسبيح جاء في قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ [غافر: ٥٥]

وهو هنا من تقديم التخلية على التحلية، واعتماد هذا الاعتبار في الترتيب في هذه السورة خاصة، لأنه المناسب فيها ، ليكون الابتداء بالأهم فيها وهو طلب المغفرة في سورة "غافر" الذي يغفر الذنب .

كما أن التصريح بالذنب في سورة غافر خاصة حيث قال تعالى : ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ دون سورتي: الشورى والنصر، إذ جاء فيهما على الترتيب : ﴿ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ،﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُ ﴾ لأن في سورة "غافر" قوله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ ﴾ [غافر: ٣] .

قال ابن ملا: " {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} الذي تراه ذنبا بالنسبة لمقامك، وإن لم يكن ذنبا بالنسبة لأمتك كترك ما عمله أولى وأفضل، وهذا من قبيل التعبد لزيادة الدرجات له صلّى الله عليه وسلم ولتستنّ أمته بذلك... ، وهذا الاستغفار أحد قسمي الطاعة وهي التوبة عما لا ينبغي فعله، والقسم الثاني الاشتغال بما ينبغي فعله، وهو قوله تعالى قوله {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكارِ } بعد التوبة لأن التوبة من قبيل التخلية، والتسبيح بعدها من قبيل التحلية، والتحلية تكون عادة بعد التخلية"(١) .

---

(١)عبد القادر بن ملّا حويش (ت: ١٣٩٨هـ)، **بيان المعاني** ، مطبعة الترقي، دمشق، ط١، ١٩٦٥ م [٥٨٩/٣]

ذ- تقديم الحياة على الموت وعكسه

أكثر ما جاء هذا المعنى معطوفا بالواو في القرآن الكريم - سواء أكان من عطف المفردات أم الجمل- جاء بتقديم الحياة على الموت ، فقد جاء في (١٧) موضع ، هي: الأعراف:٢٥، البقرة :٢٥٨ موضعان،الحجر:٢٣،ق:٢٣، آل عمران:١٥٦، الأعراف:١٥٨، التوبة:١١٦، يونس:٥٦، المؤمنون:٨٠، غافر:٦٨، الدخان:٨، الحديد:٢، الروم:١٩، المرسلات:٢٦، آل عمران:٢٧، الأنعام:٩٧.

بينما تقديم الموت جاء في (٧) مواضع فقط،هي: المؤمنون:٣٧، الجاثية:٢٤، طه:٧٤، الأعلى:١٣، النجم:٤٤، غافر:١١، الفرقان: ٣ (١).

تقديم الحياة بشكل عام لما فيها من معنى الرافعية والحيوية الفاعلية، وتقديم الموت لغرض التخويف والترهيب به بشكل عام .

وتبقى هناك اعتبارات أخرى مرتبطة بسياقاتها:

فتقديم الحياة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٥]، لشرف الحياة، وقد يكون من السبق في الوجود، إما بالْخِطَاب لِآدَمَ وَحَوَّاءَ، لِأَنَّ حَيَاتَهُمَا فِي الدُّنْيَا سَبَقَتِ الْمَوْتَ، وإما بالخطاب لِلْخَلْقِ لِمَنْ هُوَ حَيٌّ يَعْقُبُهُ الْمَوْتُ (٢).

وسبق الموت في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٤]، قد يكون التقديم لغرض قَهْرِ الخَلْقِ وَالْمَقَامُ يَقْتَضِيهِ (٣).

وتَقْدِيم الْمَوْتِ عَلَى الْحَيَاةِ في الحكاية عن منكر البعث في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٧]، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

و " الظاهر مِنْ معناها: يموت البعض مِنَّا، ويَحْيا آخرون ، يُشيرون إلى انقراضِ العصرِ وخَلْفِ غيره مكانَه، وقيل: نموت نحن ويَحْيا أبناؤنا" (٤).

---

(١) ينظر:المعجم المفهرس [٧٧٤-٧٧٦]
(٢) الزركشي،البرهان،٣/٢٤٤
(٣)المرجع السابق ،٣/٢٤٣
(٤)السمين، **الدر المصون** ٨/٣٤٢

وهذا الأخير الذي ضعفه "السمين" هو ما فهمه أبو موسى "لأنه ما من وقت إلا ويموت ناس ويولد آخرون"(١). وعليه يحتمل أن يكون من تقديم التخلية على التحلية، فموت البعض هو مما يحزن فهو من التخلية، وولادة البعض هو مما يسر فهو من التحلية .

وهناك توجيه آخر ذكره أبو موسى بأنه من تقديم ما يكرهون للدلالة على أن الأمر كله بيده سبحانه وبمشيئته لا بمشيئتهم، ولو كان بأيديهم لقدموا الحياة التي هي أهم عندهم ،وهم بشأنها أعنى(٢) .

وهذا التعليل هو عينه أحد التعليلات وأقواها في تقديم هبة الإناث على هبة الذكور في الآية : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٩ – ٥٠] ، أي تقدم الأدل على انفراد الله بالمشيئة ، لأنه سبحانه ذكر أنه يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لَا مَا يَشَاءُ الْأَبَوانِ فَإِنَّ الْأَبَوَيْنِ لَا يشاءان في الغالب إِلَّا الذُّكُورَ ، فَبَدَأَ بِذِكْرِ الصِّنْفِ الَّذِي ينفرد بمشيئته هو سبحانه .

ر- تقديم الشمس على القمر وخلافه

تقديم الشمس على الأصل من التقديم للشرف والفضل، وجاء في سياق موضوعات مختلفة كمحاجاة إبراهيم قومه في: [الأنعام: ٧٦ – ٧٩]، وفي حديث الله ابتداءً عن آياته الكونية في: [يس: ٣٨ – ٣٩]، وكاستدلال نوح بالآيات الكونية على توحيد الله في [نوح: ١٠ – ١٦] .

تقديم الشمس على القمر في نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٨ – ٣٩] .

وخلافه بتقديم القمر جاء في مواضع كقوله:﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح: ١٦].

وذلك عندي لأجل تناسب استحضار القمر المنير مع جو الإقناع والحوار الهادئ اللين ابتداء من قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح: ١٠ – ١٦] .

---

(١)أبو موسى،محمد، **آل حم-الجاثية والأحقاف**، مكتبة وهبة، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ١،٢٠١١، ص٢٠٢
(٢)المرجع السابق، ص٢٠٥ بتصرف

وهناك تعليل آخر: هو تقدم القمر على الشمس لتقدم الليل على النهار في السباق في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ [نوح: ٥]، وعليه يكون من اللف والنشر المرتب.

وهناك تعليل ثالث هو كون القمر المنير هو الأنسب لحال نوح الذي أرسله الله في زمان أطبق الكفر على وجه الأرض كلها فكان كالقمر المنير في ظلام هذا الليل (١).

- قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٦ – ٧٩]

تقديم القمر على الشمس هنا بقصد التدرج والترقي في الاستدلال على بطلان جميع المصابيح السماوية بالانتقال من الأصغر إلى الأكبر أمام الناظرين.

(١) منير المسيري، **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، ص٤٩٩

المطلب الثاني: ما جاء بترتيب في موضع وبخلافه في موضع آخر

وسوف أتناول تحليل جملة من الشواهد على هذا المبحث ، منها:

أ- تقديم مغفرة الذنوب على تكفير السيئات وخلافه

تقديم مغفرة الذنوب على تكفير السيئات هو ترتيب على الأصل، لأنه من تقديم الأعم على الأخص، وجاء في قوله تعالى: ﴿ فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

والتكفير أخص من الغفران، فكلاهما فيه معنى الستر، لكن معنى الستر في التكفير أشد، إذ التكفير مبالغة في الستر بالدفن لزيادة إخفاء الأثر [(١)] ، و يناسبه أن يكون معنى السيئات أخص من معنى الذنوب، فالسيئات كبائر الذنوب خاصة، فهي التي تسوء الإنسان أكثر من غيرها وتعظم المنة بتكفيرها دون غيرها[(٢)].

وخلافه بتقديم تكفير السيئات على مغفرة الذنوب جاء في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال:٢٩]. وهو من تقديم الأخص على الأعم .

ومعنى الفرقان في الآية: "ما يفرق به بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يَجْعَلُ لَهُمْ مِنْ ثَبَاتِ الْقُلُوبِ، وَثُقُوبِ الْبَصَائِرِ، وَحُسْنِ الْهِدَايَةِ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَهُمَا عِنْدَ الِالْتِبَاسِ"[(٣)].

---

(١)حبنكة، **التدبر الأمثل**،ص٤٣٨

(٢)هناك أقوال أخرى خلاف ما رجحته من معنى السيئات والذنوب في الآية الكريمة، كأن يكون الْمُرَاد بِالذُّنُوبِ في آية آل عمران الْكَبَائِرُ، وَبِالسَّيِّئَاتِ الصَّغَائِرُ. وقَالَ الإمام محمد عبده : الذُّنُوبَ هِيَ: التَّقْصِيرُ فِي عِبَادَةِ اللهِ - تَعَالَى - وَكُلِّ مُعَامَلَةٍ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، وَالسَّيِّئَاتُ: هِيَ التَّقْصِيرُ فِي حُقُوقِ الْعِبَادِ، وَمُعَامَلَةُ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. فَالذَّنْبُ مَعْنَاهُ الْخَطِيئَةُ، وَأَمَّا السَّيِّئَةُ فَهِيَ مَا يَسُوءُ، فَاشْتِقَاقُهَا مِنَ الْإِسَاءَةِ يُشْعِرُ بِمَا قُلْنَاهُ، وَغَفْرُ الذُّنُوبِ عِبَارَةٌ عَنْ سَتْرِهَا، وَعَدَمِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا أَلْبَتَّةَ ؛ وَتَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ عِبَارَةٌ عَنْ حَطِّهَا، وَإِسْقَاطِهَا، فَكُلٌّ مِنَ الطَّلَبَيْنِ مُنَاسِبٌ لِمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْمَعْنَيَيْنِ.[رشيد رضا،**تفسير المنار**:٢٨٤/٤] والرازي يفرق في موضع الأنفال بين أن يكون معنى {إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ} عَلَى الِاتِّقَاءِ مِنَ الْكُفْرِ، كَانَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ جَمِيعُ السَّيِّئَاتِ الَّتِي وُجِدَتْ قَبْلَ الْكُفْرِ، وَإِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الِاتِّقَاءِ عَنِ الْكَبَائِرِ، كَانَ الْمُرَادُ مِنْ هَذَا تَكْفِيرَ الصَّغَائِرِ.[الرازي،**التفسير الكبير**،٤٧٧/١٥]

(٣) الشوكاني،**فتح القدير**،[٣٤٦/٢] وقال الشنقيطي: " وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفُرْقَانِ هُنَا: الْعِلْمُ الْفَارِقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيدِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ الْآيَةَ [٥٧ \ ٢٨] . لِأَنَّ قَوْلَهُ هُنَا: وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ، يَعْنِي: عِلْمًا وَهُدًى تُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالنُّورِ هُنَا الْهُدَى، وَمَعْرِفَةُ الْحَقِّ قَوْلُهُ تَعَالَى فِيمَنْ كَانَ كَافِرًا فَهَدَاهُ اللَّهُ: لَمُشْرِكُونَ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ الْآيَةَ [٦ \ ١٢٢] ، فَجَعَلَ النُّورَ الْمَذْكُورَ فِي الْحَدِيدِ: هُوَ مَعْنَى الْفُرْقَانِ الْمَذْكُورِ فِي الْأَنْفَالِ كَمَا تَرَى، وَتَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ، وَالْغُفْرَانَ الْمُرَتَّبَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ فِي آيَةِ الْأَنْفَالِ، كَذَلِكَ جَاءَ مُرَتَّبًا أَيْضًا عَلَيْهَا فِي آيَةِ الْحَدِيدِ، وَهُوَ بَيَانٌ وَاضِحٌ كَمَا تَرَى. [الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**،[٥٢/٢-٥٣]

وسبب تقديم الأخص على الأعم في موضع الأنفال ، لأن ذلك هو الأنسب لما قبله ، لأن ما قبله أخص منه وهو جزاء الفرقان ، فالسياق فيه انتقال من الأشد خصوصية إلى الأقل منه خصوصية إلى الأعم .

فالابتداء بالأشد خصوصية أي جزاء الفرقان هو الذي حدد المسار بعده بالانتقال منه إلى الأقل منه خصوصية إلى الأعم دون العكس.

ويبقى السؤال ولماذا كان الابتداء بجزاء الفرقان أصلا ، والجواب عندي لأنه أهم ثمرة من ثمرات التقوى يحتاج إليها المؤمنون، وقد تبين في سورة الأنفال أن ما وقع بين الصحابة من خلاف على الأنفال كان للغبش واللبس عندهم في تبين وجه الحق في ذلك، وكان العلاج تقوى الله وإصلاح ذات البين، قال تعالى:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١] ، وقبل ذلك الغبش في تبين وجه الحق في الخروج للقتال في بدر بعد فوات العير ، إذ خرج الكثيرون للقتال وهم كارهون ،قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٥ - ٦]، وقد سمى الله يوم بدر يوم الفرقان أيضا قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ ﴾ [الأنفال: ٤١] .

ب- تقديم السجود على الركوع وعكسه

تقديم السجود على الركوع لشرفه عليه، و تقديم الركوع على السجود للسبق في الوجود، وهذا بشكل عام .

وقد جاء تقديم السجود على الركوع في قوله تعالى: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وعكسه في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

والتقديم للسجود في موضع آل عمران فيه تقديم اعتبار الشرف والفضل من ناحية، وتقديم الرتبة من ناحية أخرى، لما في السجود من معنى العموم بالنسبة للركوع ، لأن السجود يشرع وحده كسجود الشكر والتلاوة ، ويشرع في الصلاة بخلاف الركوع الذي لا يشرع إلا في الصلاة.

وهذا المعنى هو المناسب مع سابق السياق أي مع الأمر بالقنوت قبله، إذ يحصل الترتيب في الأوامر الثلاثة بالتدلي والتنزل من القنوت الذي هو المقدم شرفا فالأدنى منه وهو السجود فالأدنى مطلقا وهو الركوع، وكذلك هو انتقال من الأعم إلى الأخص وهو السجود إلى الأخص منه وهو الركوع .

قال ابن القيم: " والذي يظهر في الآية والله أعلم بمراده من كلامه أنها اشتملت على مطلق العبادة وتفصيلها، فذكر الأعم ثم ما هو أخص منه ثم ما هو أخص من الأخص . فذكر القنوت أولا وهو الطاعة الدائمة فيدخل فيه القيام والذكر والدعاء وأنواع الطاعة ثم ذكر ما هو أخص منه وهو السجود الذي يشرع وحده كسجود الشكر والتلاوة ويشرع في الصلاة فهو أخص من مطلق القنوت ثم ذكر الركوع الذي لا يشرع إلا في الصلاة فلا يسن الإتيان به منفردا فهو أخص مما قبله ففائدة الترتيب النزول من الأعم إلى الأخص إلى أخص منه "(١) .

ومسلك التدلي والتنزل دون التصعد والترقي ، لأن الأمر موجه لمن اصطفاها الله دون غيرها من نساء العالمين، وحباها بما حباها من المكرمات، فناسب الابتداء بأمرها بإتيان ما يتفق وهذا الإحسان العظيم الذي لم يتفق لغيرها .

قال البقاعي:" ولما أخبرها سبحانه وتعالى بما اختصها به أمرها بالشكر فقال: {يا مريم اقنتي} أي أخلصي أفعالك للعبادة {لربك} الذي عودك الإحسان بأن رباك هذه التربية. ولما قدم الإخلاص الذي هو روح العبادة أتبعه أشرفها فقال: {واسجدي} فإن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"(٢).

كما أن مريم من قبل ومن بعد هي من القانتات، فناسب الابتداء بأمر القنوت بقصد الثبات عليه والاستزادة .

أما عكس ذلك الترتيب في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧]، لقصد الترقي بالانتقال من الأخص إلى الأعم منه، وهذا الاعتبار في الترتيب في هذا الموضع هو الأنسب مع لاحق الكلام أي مع الأمر بالعبادة وفعل الخير،

---

(١)ابن القيم،**بدائع الفوائد**، [٨٠/١]
(٢)البقاعي،**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** [٣٧٢/٤]

لأجل إنشاء الترقي والتصعد بين المتعاطفات الأربعة، فيحصل الانتقال من الأخص " الركوع " إلى الأعم منه" السجود " إلى الأعم منهما " العبادة " إلى الأعم منهم "الخير العام المتضمن لذلك كله" .

فهما طريقتان معروفتان في الكلام : النزول من الأعم إلى الأخص إلى الأخص منه ، وعكسها بالترقي من الأخص إلى الأعم منه إلى أعم مطلقا [١].

ومن الملاحظ أن الترقي والتصعد في موضع الحج يتناسب مع اسم السورة، فهي تحمل اسم عبادة عظيمة في الإسلام، وهي ركن من أركانه، فناسب حث المسلمين على الإكثار من الطاعات على سبيل التدرج والترقي في الكمالات بادئا بالصلاة فغيره من العبادات كالحج والصوم والجهاد. قال الزمخشري: " للذكر شأن ليس لغيره من الطاعات. وفي هذه السورة دلالات على ذلك، فمن ثمة دعا المؤمنين أولا إلى الصلاة التي هي ذكر خالص، ثم إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو، ثم عمّ بالحث على سائر الخيرات"[٢].

(١)ابن القيم،**بدائع الفوائد**،[١/٨٠-٨١]
(٢)الزمخشري،**الكشاف** [١٧٢/٣]

الخاتمة
وأهم النتائج والتوصيات

وبعد..

أحمد ربي أولا وآخرا، أن ذلل لي الصعاب، وأن أمدني بعونه وكرمه حتى أنجزت هذه الرسالة.

وها أنا ذا أقف عند خاتمتها راجيا منه سبحانه أن يتقبلها، ويجعلها عملا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع بها كل من أقبل على كتابه تاليا له، ومتدبرا معانيه وعاملا بما فيه، وأن يرزقني وإياهم أحسن الفهم وأخلص العمل .

ولقد وقفت كثيرا عند جمل القرآن الكريم متفكرا في ترتيبها ، باحثا عن لطائف هذا الترتيب ونكته ، مستعينا بما يفتح الله علي في فهمها، وبما يدلي به علماؤنا فيها ، خاصة المهتمين منهم ببيان دقائق الكتاب ولطائفه البلاغية .

وأستطيع في الختام أن أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها في نقاط، وأهم التوصيات التي أوصي بها في هذا الحقل من الدراسة .

أهم النتائج

١. أن الموقع المتقدم من الكلام له امتياز على غيره - وهذا ما أولاه العلماء انتباههم- كذلك الموقع المتوسط منه له امتياز أيضا، ولقد بينت ذلك، واستدللت عليه بشواهد كثيرة من الذكر الحكيم، ووضحت كيف وظَّف القرآن هذا الموقع لإيصال جملة من الاعتبارات البلاغية، لم يلاحظها الباحثون من قبل لأنهم ركزوا في بحثهم على تبين وجوه الأهمية فيما تقدم من الكلام دون سواه .

٢. بينت الرسالة من خلال تناول كثير من الشواهد القرآنية حقيقة تعدد مقتضيات الترتيب في الموضع الواحد .

٣. بينت الدراسة أن الترتيب بين المتعاطفات قد يكون بملاحظة تناسبها مع السياق، وقد يكون بملاحظة الترتيب الطبيعي بين معاني المتعاطفات ، وقد يكون بملاحظة الأغراض البلاغية التي يقصدها المتكلم.

٤. إن دلالة السياق اعتبار مؤثر في ترتيب الكلام، وقد استطاعت هذه الرسالة أن تبين أن هذا الاعتبار لا يختص - عند وجوده - ببيان مقتضى التقديم فقط، بل يبين كذلك في بعض السياقات مقتضى التأخير، وفي بعضها الآخر يبين مقتضى التقديم والتأخير معا ومعهما التوسط - إن وجد - وذلك عندما نجد ترتيب المتعدد من المتعاطفات يتناسب مع ترتيب متعدد آخر في السياق ، وهذا التفصيل لم أسبق إليه من قبل على حد علمي .

٥. أكدت هذه الدراسة أن دلالة السياق هو الاعتبار االرئيسي المؤثر في فهم الاختلاف في التقديم والتأخير للجمل في مشتبه النظم.

أهم التوصيات

١. لا بد من الاهتمام بالموقع المتوسط من الكلام ، وتبين الوجوه البلاغية المعتبرة فيه ، سواء في القرآن أم في الشعر أم النثر، فلقد تبين لي من خلال هذه الدراسة أن العناية والاهتمام عند أهل البلاغة كان منصبا فقط على الموقع المتقدم من الكلام .

٢. تكثيف الدراسات القرآنية البلاغية التي تعنى بدراسة متشابه النظم من كل جوانبه : تقديما وتأخيرا،زيادة ونقصانا، وصلا وفصلا، وصلا بالواو هنا وبالفاء هناك وبغيرهما هنالك .

٣. الاهتمام بتأليف معاجم تعنى بإحصاء الشواهد القرآنية على عطف المفردات ، عطف الجمل ، ما جاء من الجمل أو المفردات متتابعا على سبيل الاستئناف إلى ما هنالك من التراكيب اللغوية لتكون مرجعا للباحثين ييسر عليهم دراستها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

- الأحمد نكري، عبد النبي بن عبد الرسول، **دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)**، ط١،عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص ، دار الكتب العلمية ، لبنان ،بيروت ، ٢٠٠٠م .
- ابن أبي الأصبع ،**بديع القرآن**، ط٢، (تحقيق حفني محمد شرف)، دار نهضة، مصر،١٩٥٧.
- الأزهري، محمد بن أحمد ، (ت: ٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، ط١، عدد الأجزاء: ٨، (تحقيق: محمد عوض مرعب)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ٢٠٠١م .
- الأزهري، محمد بن أحمد، (ت: ٣٧٠هـ)، **معاني القراءات**، ط١، عدد الأجزاء: ٣، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٩٩١ م .
- الأشموني، علي بن محمد، (ت: ٩٠٠هـ) ، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ط١، عدد الأجزاء ٤، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٨مـ .
- الأفغاني، سعيد بن محمد، ٢٠٠٣م ، **الموجز في قواعد اللغة العربية**، عدد الأجزاء : ١، بيروت : دار الفكر.
- الألباني، محمد ناصر الدين ، ١٩٨٨م، **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، ط٣، عدد الأجزاء : ٢ ، بيروت: المكتب الإسلامي .
- الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح السيرة النبوية**، ط ١،عمَّان: المكتب الإسلامي .
- الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، (ت: ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، ط١، عدد الأجزاء: ١٦، (تحقيق: علي عبد الباري عطية)، دار الكتب العلمية : بيروت ، ١٤١٥ هـ .
- الآمدي، علي بن أبي علي (ت: ٦٣١هـ)، **الإحكام في أصول الأحكام**، عدد الأجزاء: ٤ ، (تحقيق: عبد الرزاق عفيفي) ، المكتب الإسلامي، بيروت .
- الأمين الخضري، محمد،٢٠٠٧م، **من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم"الفاء وثم"**، ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة .
- ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي ،١٩٩٥م،**تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)**، ط١،عدد الأجزاء: ١، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية .
- البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، ط١، عدد الأجزاء: ٩، (تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر) ، دار طوق النجاة ، ١٤٢٢هـ .
- البغوي، الحسين بن مسعود (ت : ٥١٠هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**، ط١ ، عدد الأجزاء :٥، (تحقيق : عبد الرزاق المهدي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٠ هـ .
- البقاعي ،إبراهيم بن عمر (ت: ٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، عدد الأجزاء: ٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت: ٦٨٥هـ) ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط١، (تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٤١٨ هـ .

- التهانوى، محمد على، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦ م .
- التفتازاني، سعد الدين، **مختصر المعاني** ، دار الفكر، ١٤١١هـ .
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ)، **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**، ط٢، عدد الأجزاء:٦، (تحقيق: محمد السيد الجليند)، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق، ١٤٠٤هـ .
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت: ٤٧١هـ)، **الجمل في النحو**، ط ١، (تحقيق: يسري عبد الغني عبد الله)،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م .
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت: ٤٧١هـ)، **دلائل الإعجاز**، ط٣، عدد الأجزاء: ٣، (تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر)، مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة ، ١٩٩٢م .
- ابن الجزري ، محمد بن محمد (ت : ٨٣٣ هـ)، **النشر في القراءات العشر**، عدد الأجزاء : ٢، (تحقيق: علي محمد الضباع) المطبعة التجارية الكبرى ، دار الكتاب العلمية .
- ابن جني ، أبو الفتح عثمان:**الخصائص**، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة .
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، **اللمع في العربية**، (تحقيق: فائز فارس) ، دار الكتب الثقافية، الكويت .
- الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ط٤ ، عدد الأجزاء: ٦، (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار)، دار العلم للملايين – بيروت، ١٩٨٧ م .
- حبنكة، عبد الرحمن حسن الميداني ، ١٩٩٦م، **البلاغة العربية** ، ط١، عدد الأجزاء: ٢، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية.
- حبنكة،عبد الرحمن حسن الميداني،٢٠٠٩م، **قواعد التدبرالأمثل لكتاب الله عز وجل**، ط٤، دمشق: دار القلم.
- حبنكة،عبد الرحمن حسن الميداني،١٩٩٠م، **نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**، ط١، دمشق: دار القلم، و بيروت : الدار الشامية .
- حسام النعيمي، **موقع اسلاميات**، لمسات بيانية في سورة قريش ، جمع سمر ويسرا الأرناؤوط من برامج تلفزيونية هادفة لـ فاضل السامرائى - حسام النعيمى - أحمد الكبيسى .
- حماسة، محمد،١٩٨٢م، **في بناء الجملة العربية**، ط١، الكويت: دار القلم .
- الحموي، ابن حجة ، أبو بكر بن علي (ت: ٨٣٧هـ)، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، عدد الأجزاء: ٢، (تحقيق: عصام شقيو)، دار ومكتبة الهلال- بيروت، دار البحار- بيروت، ٢٠٠٤م .
- الحموي ، ياقوت بن عبد الله : **معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)**، ط١، (تحقيق: إحسان عباس) ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ١٩٩٣ م .
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ط: ١، تحقبق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، بإشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١ هـ .
- أبو حيان، أثير الدين، محمد بن يوسف بن حيان (ت: ٧٤٥هـ)، **البحر المحيط في التفسير** (تحقيق: صدقي محمد جميل) ، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ .
- الأشموني ، علي بن محمد (ت: ٩٠٠هـ) ، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك** ، ط١، عدد الأجزاء ٤، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ١٩٩٨مـ .

- الخازن ، علي بن محمد ، (ت: ٧٤١هـ) ،**لباب التأويل في معاني التنزيل**، ط١، (تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين)، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٥ هـ .
- الخراط، أبو بلال أحمد بن محمد ، ١٤٢٦ هـ، **المجتبى من مشكل إعراب القرآن**، عدد الأجزاء: ٤، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
- الخطيب ، أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني،**الإيضاح في علوم البلاغة، ط٣**، عدد الأجزاء: ٣، (تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي) ، دار الجيل ، بيروت .
- الخطيب، عبد الكريم يونس ، **التفسير القرآني للقرآن**، القاهرة: دار الفكر العربي .
- درويش، محيي الدين بن أحمد، ١٤١٥هـ، **إعراب القرآن وبيان**، ط٤، عدد المجلدات: ١٠،(حمص: دار الإرشاد للشئون الجامعية) ، (دمشق، بيروت: دار اليمامة) ، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير)
- الراغب الأصفهانى، الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، **تفسير الراغب الأصفهاني** ، ط١، (المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني) ، كلية الآداب - جامعة طنطا، ١٩٩٩ م .
- الرازي، محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)**، ط٣، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ .
- الرضي، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي: **شرح الرضي على الكافية**، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ، جامعة قاريونس، ١٩٧٨م .
- رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا ،١٩٩٠ م ، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، عدد الأجزاء: ١٢ جزءا، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- الزركشي، محمد بن عبد الله (ت: ٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن** ، ط١، عدد الأجزاء: ٤، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان ، ١٩٥٧م .
- زغلول، راغب محمد النجار،٢٠٠٧م، **من آيات الإعجاز العلمي: السماء في القرآن الكريم**، ط٤ ، بيروت : دار المعرفة .
- الزمخشري، محمود بن عمرو (ت: ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** ، ط٣، عدد الأجزاء: ٤، دار الكتاب العربي ، بيروت ، سنة ١٤٠٧ هـ .
- الزمخشري، محمود بن عمرو ، **المفصل في صنعة الإعراب** ، ط١، (تحقيق: علي بو ملحم)، مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٩٣ .
- أبو زهرة، محمد، **زهرة التفاسير**، القاهرة: دار الفكر العربي .
- السامرائي، فاضل صالح ،٢٠١٣م، **الجملة العربية تأليفها وأقسامها** ، ط ٤ ، عمّان: دار الفكر.
- السامرائي، فاضل صالح ،٢٠١٠م، **التعبير القرآني**، ط٧، عمّان: دار عمار .
- السامرائي، فاضل، **موقع اسلاميات**، من اللمسات البيانية فى سورة القمر.
- أبو السعود، محمد بن محمد (ت: ٩٨٢هـ)، **تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر (ت: ٦٢٦هـ)، **مفتاح العلوم**، ط٢، عدد الأجزاء: ١،ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ١٩٨٧ م .

- السلاوي ، أبو عبد الله محمد بن عمران، **شرح النظم المجرادية في الجمل** ، (شرح بيروك عبد الله بن يعقوب السملالي)،اعتنى به وراجعه عبد الكريم قبول، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٧م .
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت: ٥٨١هـ)، **نتائج الفكر في النَّحو** ، ط١، عدد الأجزاء: ١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٢ م .
- سيبويه ، عمرو بن عثمان: **الكتاب**، ط٣، (تحقيق:عبد السلام هارون)، عالم الكتب، ١٩٨٣م .
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، عدد الأجزاء: ٤، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ م .
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١هـ)، **الأشباه والنظائر**، ط١، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠ م .
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** ، (تحقيق عبد الحميد هنداوي) المكتبة التوفيقية ، مصر .
- الشعراوي، محمد متولي، ١٩٧٧م، **تفسير الشعراوي– الخواطر**، عدد الأجزاء: ٢٠، القاهرة: مطابع أخبار اليوم .
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، ١٩٩٥ مـ ، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، بيروت : دار الفكر.
- شهاب الدين، أحمد بن محمد (ت: ١٠٦٩هـ)، **حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي**، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي ، عدد الأجزاء: ٨، دار صادر، بيروت .
- الشوكاني، محمد بن علي، (ت: ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، ط١، دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب ، ١٤١٤ هـ .
- شيخون، محمود السيد ،١٩٨٣م، **أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم** ،القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية .
- صافي، محمود بن عبد الرحيم ، ١٤١٨ هـ ، **الجدول في إعراب القرآن الكريم** ، ط٤، عدد الأجزاء: ٣١ ، دمشق: دار الرشيد، بيروت: مؤسسة الإيمان .
- الصبان ، أبو العرفان محمد بن علي ، **حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك** ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م .
- الصعيدي، عبد المتعال،١٩٩١م، **البلاغة العالية (علم المعاني)**، ط٢، راجعه: عبد القادر حسين، القاهرة: مكتبة الآداب .
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت: ٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط١، عدد الأجزاء: ٢٤،(تحقيق: أحمد محمد شاكر) ، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠ م .
- ابن عادل ، عمر بن علي (ت: ٧٧٥هـ)، **اللباب في علوم الكتاب** ، ط١، عدد الأجزاء: ٢٠، (تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد)،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ١٩٩٨م .
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد ،١٩٨٤ م ، **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، عدد الأجزاء : ٣٠، تونس: الدار التونسية للنشر .
- عباس حسن: **النحو الوافي** ، ط١٥، دار المعارف.
- عبادة، محمد إبراهيم،٢٠٠٧م،**الجملة العربية:مكوناتها-أنواعها-تحليلها**،ط٤،القاهرة: مكتبة الآداب.

- عبد القادر بن ملّا حويش، ١٩٦٥ م ، **بيان المعاني** ، ط١، دمشق: مطبعة الترقي .
- ابن عطية ،أبو محمد عبد الحق (ت: ٥٤٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط١،عدد الأجزاء:١١، (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد)، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٢٢ هـ .
- ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن ، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** ، ط٢٠ ، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار التراث ، دار مصر للطباعة ،القاهرة، ١٩٨٠ م .
- العلوي، أحمد، **الطبيعة والمثال**، مسائل في الإسلام والمعرفة، الرباط: الشركة المغربية للناشرين المتحدين .
- العلويّ، يحيى بن حمزة ، **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز** ، ط١، عدد الأجزاء:٣ ، المكتبة العصرية – بيروت، ١٤٢٣ هـ .
- عون، علي أبو القاسم،٢٠٠٣، **بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، ط ١، المغرب: دار المدا الإسلامي .
- عيد، جمال عبد الناصر ، ٢٠١٠ م، **الصدارة في الجملة العربية**،القاهرة: مكتبة الآداب .
- العيني ، محمود بن أحمد (ت: ٨٥٥هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، عدد الأجزاء: ٢٥ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، (ت: ٧٠٨هـ)، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، عدد الأجزاء: ١، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .
- ابن فارس، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، عدد الأجزاء: ٦ ، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون) دار الفكر، ١٩٧٩م .
- ابن فارس، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، **مجمل اللغة**، ط٢، عدد الأجزاء: ٢، (تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان) مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٨٦ م .
- الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، عدد الأجزاء: ٦، (تحقيق: محمد علي النجار)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة .
- ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد (ت: ١٣٩٢هـ)، **حاشية مقدمة التفسير**، ط٢، (المقدمة والحاشية كلاهما لابن قاسم)، ١٩٩٠ م .
- القاسمي ، محمد بن محمد سعيد (ت: ١٣٣٢هـ)، **تفسير القاسمي (المحاسن التأويل)**، ط١، (تحقيق: محمد باسل عيون السود)، دار الكتب العلميه ، بيروت، ١٤١٨ هـ .
- ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد (ت: ٦٢٠هـ) ، **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، ط٢، عدد الأجزاء:٢، مؤسسة الريّان ، ٢٠٠٢م .
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد ، (ت: ٦٢٠هـ)، **المغني**، عدد الأجزاء: ١٠، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٩٦٨م .
- القطان، مناع بن خليل، ٢٠٠٠م ، **مباحث في علوم القرآن**، ط٣، مكتبة المعارف .
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن (ت: ٧٥١هـ)، **تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم)** ، ط١، (تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف إبراهيم رمضان) ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، ١٤١٠ هـ .

- الكاساني ، أبو بكر بن مسعود ، (ت: ٥٨٧هـ)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**،ط٢، عدد الأجزاء: ٧، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦م .
- الكبيسي، أحمد ،**موقع إسلاميات** ، برنامج "وأُخر متشابهات(٣٧) .
- الكرماني ، محمود بن حمزة (ت: نحو ٥٠٥هـ) ،**أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، عدد الأجزاء:١، (تحقيق: عبد القادر أحمد عطا) مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة .
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** ،(تحقيق عدنان درويش) - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت .
- كمال إبراهيم،٢٠١١ م ، **أسلوب المقابلة في القرآن الكريم** ، ط١، القاهرة: الدار الثقافية للنشر.
- ابن مالك، جمال الدين عبد الله محمد ، **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، (تحقيق: محمد كامل بركات)، القاهرة، ١٩٦٨م .
- ابن مالك ، جمال الدين عبد الله محمد بن مالك، **شرح التسهيل** ، ط١، (تحقيق: عبد الرحمن السيد و محمد بدوي) ،هجر للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٩٠ م .
- الماوردي، علي بن محمد (ت: ٤٥٠هـ)، **تفسير الماوردي (النكت والعيون)**، عدد الأجزاء:٦، (تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- الماوردي، علي بن محمد (ت: ٤٥٠هـ)، **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني**، ط١، عدد الأجزاء: ١٩، (تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود)، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩ م .
- المرادي ، حسن بن قاسم (ت: ٧٤٩هـ)، **الجنى الداني في حروف المعاني**، ط: ١، (تحقيق: فخر الدين قباوة) دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ١٩٩٢م .
- المبرد، محمد بن يزيد ، **المقتضب**، (تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة)، عالم الكتب، بيروت .
- مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر،١٩٩٣ م، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ط١، عدد المجلدات: ١٠ مجلدات، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية .
- المرادي، حسن بن قاسم (ت: ٧٤٩هـ)، **الجنى الداني في حروف المعاني** ، ط١، عدد الأجزاء: ١، (تحقيق: فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل)، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٢ م .
- المراغي ،أحمد بن مصطفى، ٢٠٠٢م ، **علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»**، ط٤، بيروت: دار الكتب العلمية .
- المثنى، عبد الفتاح محمود، ٢٠٠٨م، **نظرية السياق القرآني:دراسة تأصيلية دلالية نقدية**، ط١، عمَّان: دار وائل للنشر.
- مجمع اللغة العربية ، **المعجم الوسيط**،(إعداد: مصطفى، إبراهيم/ الزيات، أحمد / عبد القادر، حامد / النجار، محمد)، القاهرة: دار الدعوة .
- المسيري، منير محمود،٢٠٠٩، **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة.
- أبو المكارم ،علي،٢٠١١م ، **مقومات الجملة العربية**، القاهرة: دار غريب .
- ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ط٣، دار صادر، بيروت ، ١٤١٤ هـ .

- أبو موسى،محمد،٢٠١١م، **آل حم-الجاثية والأحقاف**،ط١، القاهرة: مكتبة وهبة .
- أبو موسى،محمد،١٩٨٨م، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**، ط ٢، القاهرة: مكتبة وهبة .
- أبو موسى محمد،٢٠٠٨م، **دلالات التراكيب** ، القاهرة: مكتبة وهبة .
- أبو موسى، **محمد**،١٩٩٦م ، **من أسرار التعبير القرآني**، ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة .
- الميداني، أحمد بن محمد (ت: ٥١٨هـ)، **مجمع الأمثال** ، (تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد)، دار المعرفة ، بيروت، لبنان .
- ابن النجار ، أبو البقاء محمد بن أحمد (ت: ٩٧٢هـ)، **شرح الكوكب المنير**، ط٢، عدد الأجزاء: ٤، (المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد)، مكتبة العبيكان، ١٩٩٧ مـ .
- النيسابوري، الحسن بن محمد، (ت: ٨٥٠هـ)، **تفسير النيسابوري(غرائب القرآن ورغائب الفرقان)**، ط١، (تحقيق: الشيخ زكريا عميرات)، دار الكتب العلميه ، بيروت، ١٤١٦ هـ .
- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، عدد الأجزاء: ١، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، بيروت: المكتبة العصرية .
- هارون، عبد السلام ، **الأساليب الإنشائية في النحو العربي**، بيروت: دار الجيل .
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف، (ت: ٧٦١هـ)، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، عدد الأجزاء: ٤، (تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي) ، دار الفكر، بيروت .
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف ، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، (تحقيق: عبد الغني الدقر) ، الشركة المتحدة للتوزيع ، سوريا .
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف ، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، ط٦، (تحقيق: مازن المبارك / محمد علي حمد الله) ، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥ .

الملاحق

- ملحق بالشواهد القرآنية
- ملحق بالأحاديث النبوية

ملحق بالشواهد القرآنية		
رقم الصفحة	(الشاهد القرآني)	
٤٦	﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ [النساء: ١٥٤]	1.
٤٦	﴿ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [الأنفال: ٢٦]	2.
٤٦	﴿ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٧٢]	3.
٤٦	﴿ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ [الأنفال: ٧٢]	4.
٤٦	﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [النور: ٦ - ٩]	5.
٤٧	﴿ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾ [النساء: ٦٤]	6.
٤٧	﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ [عبس: ١]	7.
٤٧	﴿ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ ﴾ [المنافقون: ٥]	8.
٤٧	﴿ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٨٣]	9.
٤٧	﴿ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [المعارج: ١٧]	10.
٤٨	﴿ سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود: ٧٧]	11.
٤٨	﴿ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾ [الدخان: ١٧ – ٢١]	12.
٤٩	﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [البقرة: ١٦١ - ١٦٢]	13.
٤٩	﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٨٦]	14.
٤٩	﴿ لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٨٦]	15.
٤٩	﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ [الكهف: ٩٧]	16.
٥٠	﴿ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٣]	17.
٥٠	﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران:٣١]	18.
٥٠	﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ الزلزلة:[١ - ٢]	19.
٥٠	﴿ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [مريم: ٥٩]	20.
٥٠	﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ... ﴾ [البقرة: ١٦٤ - ١٦٥]	21.

22.	﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩]	٥١
23.	﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ [المجادلة: ٢]	٥١
24.	﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[المجادلة: ٢٢]	٥١
25.	﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل: ٧٢]	٥١
26.	﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢]	٥١-٥٢
27.	﴿يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ...وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ٨ -١٠]	٥٢
28.	﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ ﴾ [الشورى: ٢٦]	٥٢
29.	﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج:٢٨]	٥٢
30.	﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ .. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ .. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ .. ﴾ [البقرة: ١٠ – ١٣]	٥٣
31.	﴿ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ ... وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾[البقرة: ٢٠٤-٢٠٦]	٥٣
32.	﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ .. وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ... ﴾[البقرة: ٢٠٤-٢٠٥]	٥٣
33.	﴿يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ.. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ .. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ .. ﴾ [البقرة: ٨ – ١٣]	٥٣
34.	﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٢١]	٥٣
35.	﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ ﴾ [البقرة: ١٧٨]	٥٣
36.	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ ...وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ ... ﴾ [محمد: ١٢]	٥٤
37.	﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ [يونس: ٣١]	٥٤
38.	﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]	٥٤
39.	﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ ﴾ [الأنعام: ٥٩]	٥٤
40.	﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾[فاطر: ١١]	٥٤
41.	﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۚ ...وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ ... ﴾ [يونس: ٤٢ – ٤٣]	٥٤
42.	﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾[البقرة: ٧]	٥٤
43.	﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠]	٥٤
44.	﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ... وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا ... ﴾ [يونس: ٢٦ – ٢٧]	٥٤
45.	﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾ [النحل: ١١٦]	٥٥
46.	﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾[البقرة: ٢٧٥]	٥٥

47.	﴿ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا ﴾ [التوبة: ٣٧]	٥٥
48.	﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح: ٢٩]	٥٥
49.	﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ...وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ ... وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ... ۖ ﴾ [الرعد: ٢ – ٣]	٥٥
50.	﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ... وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ... ﴾ [الحجر: ١٦ - ٢٢]	٥٥
51.	﴿ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾[البقرة: ٢٤٧]	٥٥
52.	﴿ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ ... وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٧]	٥٥
53.	﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٣]	٥٥
54.	﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [فاطر: ٣٢]	٥٦
55.	﴿ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ ﴾ [التغابن: ٢]	٥٦
56.	﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ ..وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ .. ﴾ [النساء: ١٢]	٥٦
57.	﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ... وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ... وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ ... وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ ﴾ النحل:[٦٥ – ٦٩]	٥٦
58.	﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ ... ﴾ [فاطر: ١١]	٥٧
59.	﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ ﴾ [النساء: ١٠٠]	٥٧
60.	﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ...وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾ [الحشر: ١١]	٥٧
61.	﴿ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ ﴾ [الفرقان:٦٧]	٥٧
62.	﴿ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ [البقرة: ٦٨]	٥٧
63.	﴿ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠]	٥٨
64.	﴿ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ [محمد: ٢]	٥٨
65.	﴿ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٠]	٥٨
66.	﴿ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]	٥٩
67.	﴿ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الحج: ٥٦]	٥٩

68.	﴿ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ [الحج: ٥٧]	٥٩
69.	﴿ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة: ٢]	٦٠
70.	﴿ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٥]	٦٠
71.	﴿ تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ الأعلى: [١٤ -١٥]	٦٠
72.	﴿ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾ [المؤمنون: ٧٥]	٦٠
73.	﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ [الأنبياء: ٨٩ – ٩٠]	٦٠
74.	﴿ نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ...وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا ...وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ ... ﴾ الحاقة: [١٣ – ١٦]	٦٠
75.	﴿ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧]	٦٠
76.	﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧ – ١٨]	٦١
77.	﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٥]	٦١
78.	﴿ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ...وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٧]	٦١
79.	﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ ... وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ... وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ ...ۚ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَـٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ ... ﴾ [النساء: ١١ - ١٢]	٦١
80.	﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه: ٣٣ – ٣٤]	٦١
81.	﴿ لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ ﴾ [الممتحنة: ١٢]	٦٢
82.	﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ ﴾ [آل عمران: ١٢٠]	٦٢
83.	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]	٦٢
84.	﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ ﴾ [يونس:١٠٧]	٦٢
85.	﴿ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ١٧]	٦٢
86.	﴿ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ [البقرة: ٥٠]	٦٢
87.	﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩]	٦٢
88.	﴿ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف: ١٨]	٦٣
89.	﴿ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ [المدثر: ٢٣]	٦٣
90.	﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ [البقرة: ٣٤]	٦٣
91.	﴿ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة: ٢]	٦٣

92.	﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨]	٦٣
93.	﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩]	٦٣
94.	﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣]	٦٤
95.	﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥]	٦٤
96.	﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ ...وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢]	٦٤
97.	﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ [البقرة: ٧١]	٦٤
98.	﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ الإسراء:١١١]	٦٤
99.	﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾[البقرة: ٢١٦]	٦٥
100.	﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]	٦٥
101.	﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم:٤]	٦٥
102.	﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ٩-١١]	٦٦
103.	﴿فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣]	٦٦
104.	﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١]	٦٦
105.	﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ ... وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ... فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: ٣٨ - ٤٠]	٦٨
106.	﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة:٦١]	٦٨
107.	﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠ – ٣٢]	٦٩
108.	﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢]	٦٩
109.	﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ٦ – ١١]	٧٠

110.	﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٤ - ٦]	٧١
111.	﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا ... وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ... ﴾ [هود: ١٠٥ - ١٠٨]	٧١
112.	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ... وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ... ﴾ [آل عمران: ١٠٦ – ١٠٧]	٧٢
113.	﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧]	٧٢
114.	﴿ هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ ﴾ [الأنعام:١٣٦]	٧٣
115.	﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ [آل عمران: ٥٥ – ٥٧]	٧٣
116.	﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ﴾[آل عمران: ٢٦]	٧٧
117.	﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ [طه: ١١٨ – ١١٩]	٧٧
118.	﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٣ – ٤٤]	٧٧
119.	﴿ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ...نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة: ٣٠]	٧٨
120.	﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل: ٥ – ١٠]	٧٨
121.	﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ [القيامة: ٣١ – ٣٢]	٧٨
122.	﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ... وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى ... ﴾ [عبس: ٥ - ١٠]	٧٨
123.	﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾[آل عمران: ٢٧]	٧٨
124.	﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: ٣]	٧٩
125.	﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[البقرة: ٢٢٨].	٧٩
126.	﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]	٨٠
127.	﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ [البقرة: ٢٠٣]	٨٠

128.	﴿فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦]	٨٠
129.	﴿إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال:٣٨]	٨٠
130.	﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣].	٨٠
131.	﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ ...وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ... ۚ﴾ [النساء: ١٩ – ٢٠]	٨٠
132.	﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦ - ٢٢٧]	٨١
133.	﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ [الأعراف: ١٦٥]	٨١
134.	﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ﴾ [يونس: ٧٣]	٨١
135.	﴿لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠ – ٢١]	٨١
136.	﴿إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١ – ٣]	٨١
137.	﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحج: ١١]	٨١
138.	﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ﴾ [النساء: ٧٨]	٨١
139.	﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ ...وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ...﴾ [الأعراف: ١٣١]	٨١
140.	﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤]	٨٢
141.	﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ ...وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ ...﴾ [يوسف: ٢٦ – ٢٧]	٨٢
142.	﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا ...ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا ...﴾ [غافر: ٢٨]	٨٢
143.	﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧]	٨٢
144.	﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: ٣٣]	٨٢
145.	﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ...﴾ [البقرة: ٢٦]	٨٢
146.	﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ... وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ...﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥]	٨٣
147.	﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥]	٨٣
148.	﴿لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٦ - ٧]	٨٤
149.	﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ ...وَءَاتَى ٱلْمَالَ ...وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ...﴾ [البقرة: ١٧٧]	٨٥
150.	﴿أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ ..وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [آل عمران: ٤٩]	٨٥

151.	﴿ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ ...وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ ... تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ... ﴾ [المائدة: ١١٠]	٨٦
152.	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨]	٨٦
153.	﴿ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]	٨٧
154.	﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠]	٨٨
155.	﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]	٨٩
156.	﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [غافر: ٧]	٨٩
157.	﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧]	٩٠
158.	﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ [آل عمران: ٣ – ٤]	٩٠
159.	﴿ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢]	٩١
160.	﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]	٩٢
161.	﴿ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]	٩٣
162.	﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ [الشورى: ٤٩ – ٥٠]	٩٥
163.	﴿ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ ﴾[القصص: ٤]	٩٦
164.	﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡ ...وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ ... وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ ﴾ [البقرة: ١١٣– ١١٨]	٩٧
165.	﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ ﴾ [البقرة:٢٦]	٩٨
166.	﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠٠ – ٢٠١]	٩٩
167.	﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ [النمل: ٢٥]	٩٩
168.	﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ [النجم: ٣٠]	١٠٠

169.	﴿قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ [طه: ٨٠]	١٠٠
170.	﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]	١٠٠
171.	﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢]	١٠٢
172.	﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأعراف: ١٥٨]	١٠٢
173.	﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ... وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ...﴾ [المائدة: ٢٣]	١٠٢
174.	﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧]	١٠٢
175.	﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]	١٠٢
176.	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]	١٠٢
177.	﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]	١٠٢
178.	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٠٨]	١٠٣
179.	﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]	١٠٣
180.	﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[المائدة: ٤٩]	١٠٣
181.	﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]	١٠٣
182.	﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ﴾ [لأنعام: ٧٢]	١٠٣
183.	﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [مريم: ٢٤ – ٢٦]	١٠٣
184.	﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]	١٠٣
185.	﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٨]	١٠٣
186.	﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥]	١٠٣
187.	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]	١٠٣
188.	﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]	١٠٣
189.	﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ [يونس: ١٠٩]	١٠٣
190.	﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]	١٠٤

191.	﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١]	١٠٤
192.	﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]	١٠٤
193.	﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣]	١٠٤
194.	﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ [الحديد: ٧]	١٠٤
195.	﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة: ٦]	١٠٤
196.	﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾ [المائدة: ٦]	١٠٥
197.	﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]	١٠٥
198.	﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ ... وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠ - ٤١]	١٠٥
199.	﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]	١٠٥
200.	﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]	١٠٥
201.	﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾ [البقرة: ١٠٩]	١٠٦
202.	﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]	١٠٦
203.	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣]	١٠٦
204.	﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ﴾ [هود:٨٤]	١٠٦
205.	﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [لقمان: ١٧]	١٠٦
206.	﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النساء: ٨٤]	١٠٦
207.	﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٥]	١٠٦
208.	﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]	١٠٦
209.	﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٠]	١٠٧

210.	﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ ﴾ [آل عمران: ١٠٢ – ١٠٣]	١٠٧
211.	﴿ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ [آل عمران: ١٣٠ –١٣٣]	١٠٧
212.	﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ ﴾ [آل عمران: ٨]	١٠٧
213.	﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨]	١٠٧
214.	﴿ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]	١٠٨
215.	﴿ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [يونس:٢]	١٠٨
216.	﴿ ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨]	١٠٩
217.	﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ [هود: ٣٧]	١٠٩
218.	﴿ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ ﴾ [إبراهيم: ٥]	١٠٩
219.	﴿ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧]	١٠٩
220.	﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ ...وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ... وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ... وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً ﴾ [الإسراء: ٢٦- ٢٩]	١١٠
221.	﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ... يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴾ [الحج: ١٢ – ١٣]	١١٠
222.	﴿ نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ... تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢ – ١١٤]	١١١
223.	﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ... فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ٩ – ١٠]	١١٢
224.	﴿ قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ ﴾ [مريم: ٢٤ – ٢٦]	١١٢
225.	﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ ...وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ... وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ ... ﴾ [الحديد: ٧– ١٠]	١١٢

226.	﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ...وَإِنۡ حَكَمۡتَ ...﴾ [المائدة: ٤٢]	١١٣
227.	﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ ...وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ...لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾[البقرة: ٢٣٣]	١١٣
228.	﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤]	١١٤
229.	﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ ...وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ... وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٥٨ - ٦١]	١١٤
230.	﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [النساء: ٦]	١١٦
231.	﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ...وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡ﴾ [النساء: ١٠٥– ١٠٧]	١١٦
232.	﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]	١١٧
233.	﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ﴾ [المائدة: ٤١]	١١٧
234.	﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ...فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾[النساء: ٩٢]	١١٧
235.	﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١]	١١٧
236.	﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [النساء: ٢٥]	١١٧
237.	﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ ... وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]	١١٨
238.	﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].	١١٨
239.	﴿يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ﴾ [النور: ٣٠]	١٢٠
240.	﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ ...وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ [البقرة: ١٥٢]	١٢٠
241.	﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١]	١٢٠
242.	﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ﴾[البقرة: ٢٨٦]	١٢٠
243.	﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة: ٣]	١٢١

244.	﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [البقرة: ١٢٩] ﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة: ٢] ﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ... ﴾ [البقرة: ١٥١]	١٢٥
245.	﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل: ٥٧]/ ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٩] /﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾ [الزخرف: ١٦] / ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ [الطور:٣٩]/﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٢١] / ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ﴾ [الإسراء: ٤٠]	١٢٩
246.	﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج: ٢٣] ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر: ٣٢ - ٣٥] ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الكهف: ٣١] ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ [الإنسان: ٢٠ – ٢١]	١٣٠
247.	﴿ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤] ﴿ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل: ٦١] ﴿ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٩] ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ [الحجر: ٥]	١٣٣
248.	﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٧ – ٤٨] ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢٢ – ١٢٣]	١٣٥
249.	﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾ [البقرة: ٥٨] ﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ [الأعراف:١٦١]	١٣٧
250.	﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ... ﴾ [البقرة: ٦١] ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ ...وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ [آل عمران: ١١٢]	١٤١
251.	﴿ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ﴾ [آل عمران: ٤٠] ﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ [مريم:٨]	١٤٣
252.	﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [القمر: ٩ – ١٢] ﴿ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى ﴾ [هود: ٤٤]	١٤٥

253.	﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة: ١٤٢ – ١٤٣] ﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج: ٧٧ – ٧٨]	١٤٥
254.	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴾ [الشعراء: ١٢ – ١٤] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصص: ٣٣ – ٣٤] ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي هَٰرُونَ أَخِي ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه: ٢٥ – ٣٥]	١٤٦
255.	﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ ﴾ [الأنفال: ٤٥ – ٤٦] ﴿ فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم ﴾ [آل عمران:١٥٢]	١٤٨
256.	﴿ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٢٦] ﴿ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ [قريش: ١ – ٤] ﴿ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا ...لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ ﴾ [النحل: ١١٢]	١٥١
257.	﴿ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ ﴾ [الفرقان: ٦٨] ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ ... وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ ﴾ [الإسراء: ٣٢ – ٣٣]	١٥٣
258.	﴿ لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ ﴾ [الممتحنة: ١٢] ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ ... وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ ﴾ [الإسراء: ٣١ – ٣٢]	١٥٤
259.	﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ .. وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ ... ﴾ [الإسراء: ٣٣ - ٣٤] ﴿ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ... وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ ﴾ [النساء: ٢٩]	١٥٥
260.	﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ ... وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ... ﴾ [الإسراء: ٣٤ – ٣٥] ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ...وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]	١٥٥

261.	﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف:٢٣] ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٧] ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿ فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾ [الأعراف: ١٥٥] /﴿ فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾ [المؤمنون: ١٠٩] ﴿ اغْفِرْ وَارْحَمْ ﴾[المؤمنون: ١١٨] ﴿ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٩] ﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ [سبأ: ١ – ٢]	١٥٨
262.	﴿ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [المائدة: ٦٥] ﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٥] ﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ ﴾ [المائدة: ١٢] ﴿ يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ ﴾ [التحريم: ٨] ﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ ﴾ [التغابن: ٩] ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ ...وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ [الفتح: ٥] ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٢١]	١٦١
263.	﴿ يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [البقرة: ١٠٢] /﴿ لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [يونس: ١٨] ﴿ لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [يونس: ١٠٦] /﴿ لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٦٦] ﴿ لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ [الأنعام: ٧١] / ﴿ لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ [الفرقان: ٥٥]	١٦٢
264.	﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ... وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ... ﴾ [يونس: ٤٢ – ٤٣] ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ [هود: ٢٠] ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٠] ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [الروم: ٥٢] ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ [مريم: ٣٨]/﴿ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦] ﴿ فَعَمُوا وَصَمُّوا ...عَمُوا وَصَمُّوا ﴾ [المائدة: ٧١]	١٦٦
265.	﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾ [النساء: ٩٣] ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٦] ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٦٠]	١٦٨

266.	﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٨٤]﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٢٩]،[المائدة: ١٨]،[الفتح: ١٤] ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٣١] ﴿ فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[آل عمران: ١٦] ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾[غافر: ٧] ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٤٠] ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ﴾ [العنكبوت: ٢١] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٦٧] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٦٥] ﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧] ﴿ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ ..وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا. ﴾ [الكهف: ٨٦– ٨٨] ﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٦]	١٦٩
267.	﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم: ٩٧] ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ... وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ [الكهف: ٢ – ٤] ﴿ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [يونس: ٢]	١٧٤
268.	﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٥] ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ [النصر: ٣] ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [غافر: **٥٥**]	١٧٤
269.	﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٥]/ ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٤] ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ [المؤمنون: ٣٧] /﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ [الجاثية: ٢٤]	١٧٦
270.	﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ... وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ... ﴾ [يس: ٣٨ – ٣٩] ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح: ١٦] ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا ... فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً ... ﴾ [الأنعام: ٧٦ – ٧٩]	١٧٧
271.	﴿ فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا ﴾ [آل عمران: ١٩٣] ﴿ وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٩]	١٧٩
272.	﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣] ﴿ ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾[الحج: ٧٧]	١٨٠

ملحق بالأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
١-	عن ابن عباس: " وددت أني حججت راجلًا"	١٠٠
٢-	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد	١٣٨
٣-	لن يدخل أحدا عمله الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة فسددوا وقاربوا	١٥٩
٤-	عينان لا تمسها النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله	٧٧
٥-	كثرة الضحك تميت القلب	٧٧
٦-	من مات فقد قامت قيامته	٧٦
٧-	مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ سِتْرًا لَهُ مِنَ النَّارِ	٩٥

RHETORICAL ORDER BETWEEN SENTENCES COORDINATED BY THE CONJUNCTION "AL WAW" IN THE HOLLY QURAN

By

TAREQ EZZAT AHMAD HASAN

Supervisor

Dr. AHMAD ISMAEL NOFAL

ABSTRACT

This study sheds light on an aspect of the miraculous nature of Holy Qur'an, which uncovers a part of its rhetorical secrets and perfection in respect of its phrases accompanied by the coordinating conjunction "and". For this purpose, this study highlights several Qur'anic citations.

The study makes a focus on a couple of pillars having the largest impact on the order of sentences; namely: Implication of context, implication of meaning and implication of the purpose of the speaker.

The study covered the sentences in similar Qur'an texts between forward and delay in arrangement, and the sentences in dissimilar Qur'an texts.

The research came to several findings; the most important of which are that:

- The context is the key pillar for uncovering the secrets of changing the order of sentences in the similar Qur'an texts in particular, and that it and the purpose of speaker underlie the justification of arranging the sentences in an order different from their ordinary one.
- The causes of arrangement of order are mostly consistent rather than contradictory, some of which are stronger than others. This is an aspect of inimitability.
- The study revealed that the arrangement of phrase in the middle of sentence has a privilege, so is the forwarded phrases, and the Holy Qur'an contains a wide variety of rhetorical considerations that appear through being positioned in the middle of speech.
- The study revealed that the phrases preceding the coordinating conjunction is consistent with the preceding context, while the succeeding phrase is consistent with the subsequent context, and the order of items accompanied by the coordinating conjunction is consistent with the order of other items in the context.